

نموذج رقم (1)

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الغفلة في ضوء القرآن الكريم - دراسة موضوعية

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name:

اسم الطالب: إيمان صالح مصطفى الرياشي

Signature:

التوقيع: إيمان برياشي

Date:

التاريخ: 2014 / 03 / 29



الجامعة الإسلامية - غزة
كلية أصول الدين
عمادة الدراسات العليا
قسم التفسير وعلوم القرآن

الغفلة في ضوء القرآن الكريم

HEED LESSNESS IN THE LIGHT OF THE HOLY QURAN

دراسة موضوعية

SUBJECTIVE STUDIED

إعداد الطالبة

إيمان صالح مصطفى الرياشي

٢٢٠١٢٠١٩٦

إشراف

د. رياض محمود قاسم

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير

في قسم التفسير وعلوم القرآن

١٤٣٤هـ - ٢٠١٤م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الجامعة الإسلامية - غزة
The Islamic University - Gaza

هاتف داخلي 1150

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا

الرقم: /35/ج
Ref

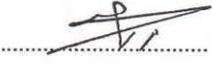
التاريخ: 2014/02/25
Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ إيمان صالح مصطفى الرياشي لنيل درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الغفلة في ضوء القرآن الكريم-دراسة موضوعية

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الثلاثاء 25 ربيع آخر 1435هـ، الموافق 2014/02/25م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

	مشرفاً ورئيساً	د. رياض محمود قاسم
	مناقشاً داخلياً	أ.د. عصام العبد زهد
	مناقشاً خارجياً	د. فايز حسان أبو عمرة

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا


أ.د. فؤاد علي العاجز



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

قال تعالى:

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾

[الأنبياء-١]

وقال تعالى:

﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾

[ق-٢٢]

وقال تعالى:

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ . . .﴾

[مريم-٣٩]

الإهداء

- إلى خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه .
- إلى الذين بذلوا عمرهما وجهدهما ومالهما في سبيل تعليمي وتربيتي وأعطيانني من حبهما وشفقتهم ما لا قدرة لي على أداء حقه، ووفاء قدره، إلى روح والدي العزيز رحمه الله ووالدتي الكريمة حفظها الله.
- إلى روح شقيقتي الغالية الاستشهادية ريم الرياشي رحمها الله وأدخلها فسيح جناته.
- إلى جميع أرواح الشهداء الأبطال الذين قدموا أرواحهم فداء للدين والوطن.
- إلى زوجي وأبنائي الأعزاء .
- إلى إخواني وأخواتي حفظهم الله تعالى .
- إلى أستاذي الفاضل الدكتور رياض قاسم حفظه الله تعالى .
- إلى جميع أقاربي وصديقاتي في العمل والدراسة .
- إلى كل هؤلاء وإلى المسلمين عامة .
- أهدي هذا الجهد المتواضع سائلة المولى عز وجل أن يتقبله مني وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة .

إنه ولي ذلك والقادر عليه .

شكر وتقدير

يقول الله تعالى: ﴿...وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ...﴾ [النمل: ٤٠]، ويقول الرسول ﷺ: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"^(١)، واعترافاً مني بالفضل لأهله أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والعرفان إلى: أستاذي الفاضل الدكتور رياض قاسم "حفظه الله"، حيث يقف لساني عاجزاً عن شكره لقبوله الإشراف علي، فقد منحني الكثير من وقته وجهده وخبرته، فلم يبخل علي بتوجيهه ونصحه وإرشاده، فعم المشرف الذي لمست فيه العلم الوافي، والنصيحة السديدة وسعة الصدر، وكان له الفضل الكبير بعد الله تعالى في إخراج هذا الجهد المتواضع متمنية له وافر الصحة ودوام العافية.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذين الفاضلين، وعضوي لجنة المناقشة :

الأستاذ الدكتور: عصام زهد حفظه الله ورعاه

والأستاذ الدكتور: فايز أبو عمرة حفظه الله ورعاه

لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وكلي ثقة بالله أولاً ثم بهما بأن ملاحظتهما السديدة حول هذه الرسالة سيكون لها بالغ الأثر في إثرائها وإخراجها في أحسن صورة، فجزاهما الله عنا خير الجزاء .

وأتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى كلية أصول الدين التابعة للجامعة الإسلامية وأساتذتها الأجلاء، وعلى بذلها، وعطائها المستمر .

كما وأشكر عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية وأخص بالذكر قسم التفسير وعلوم القرآن على موافقتها لي دراسة الماجستير، وأخص بالشكر العميق أعضاء الهيئة التدريسية الكرام بقسم التفسير وعلوم القرآن، والشكر موصول إلى رئاسة الجامعة الإسلامية وإدارتها، وكذلك أشكر القائمين على مكتبة الجامعة الإسلامية لما وفروه من خدمة لطلاب وطالبات العلم.

ولا أنسى الشكر الجزيل لزوجي العزيز وأبنائي الكرام على ما وفروه لي من جو مناسب لكتابة الرسالة وأخص بالذكر ولدي العزيز محمد الذي وقف جانبي طوال فترة الدراسة وعلى جهده الكبير في كتابة هذه الرسالة.

(١) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (ح ١٩٥٤)، (ص ٤٤)، قال أبو عيسى: حديث صحيح.

مقدمة:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف: ١]، أنزله هدى للمتقين وعبرة للمتعظين، فأحيا به القلوب وأصلح به الأعمال وذكر به من الغفلة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.. أما بعد:

فإن الغفلة داء عضال، ومرض خطير، بل أخطر من الأمراض العضوية؛ حيث يُضعف الدين ويدمر القلب، ويؤدي إلى الهلاك، وخسارة الدنيا والآخرة، وهذا المرض يصاب به كثير من الناس وهم لا يشعرون، وتقع الكارثة حين يموتون، وهناك يتمنون الرجعة لكن بعد فوات الأوان، لماذا تمنوا الرجعة؟ لأنهم استيقظوا من الغفلة التي كانوا فيها.

ولذلك فإن هذا البحث يعالج مشكلة من أخطر المشاكل التي تعاني منها البشرية اليوم، إذ استفحلت الغفلة بصورها المختلفة، وشملت جميع جوانب الحياة، بحيث تكاد تكون بمثابة القانون العام الذي يحكم العالم بأسره، ومما يزيد الوضع سوء لجوء الغافلين إلى الأعذار والمبررات لتلك الممارسات الشنيعة التي يقعون فيها.

ومن الملفت للنظر إسهاب القرآن الكريم في الحديث عن هذا الموضوع في واحد وعشرين سورة في خمس وثلاثين آية من آياته، هذا بالإضافة إلى ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ متقاربة وأخرى مقابلة للفظ الغفلة في مواضع عديدة من آياته كلفظ النسيان.

ولاشك أن تعرض القرآن الكريم للحديث عن هذا الموضوع بهذا القدر، يدعو إلى إفراده بالبحث، وجعله جديراً بالتأمل والتدبر، لبيان جوانبه، والكشف عن حقائقه من خلال النصوص القرآنية.

أولاً: أهمية البحث

برزت لنا أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

- ١- تجلت أهمية هذا الموضوع في العناية الكبيرة التي أولاها له القرآن الكريم، لما له من أثر في تبصير الناس بحقيقة الغفلة، وأنواعها، والتنبيه لبعض صورها، والتحذير من عواقب التماذي فيها.
- ٢- ارتباط موضوع البحث بواقع الأمة الإسلامية.
- ٣- محاولة الأخذ بأيدي الغافلين إلى مدارج التوبة، والرجوع إلى الله قبل حلول الأجل.
- ٤- هذا البحث رسالة للدعاة إلى الله، وللمسلمين جميعاً لأن يبتعدوا عن الغفلة، وأسبابها لما تسببه من آثار مدمرة للأفراد، والمجتمعات.
- ٥- تحذير الناس من ترك النهي عن الغفلة والركون إلى الغافلين ومجاراتهم في غفلتهم.
- ٦- الاتعاظ والاعتبار من مآل الأمم الغافلة وفقه سنن الله والتصرف وفقها.
- ٧- هذه الدراسة تمثل جانباً تطبيقياً من ألوان التفسير الموضوعي.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

- ١- حاجة الناس لهذا الموضوع في الزمن الذي تكاثرت فيه الفتن.
- ٢- درء المفسد قبل الوقوع فيها.
- ٣- نيل مرضات الله والتقرب إليه بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان.
- ٤- غنى النصوص القرآنية التي تتطرق إلى موضوع الغفلة، وأنواعها، وآثارها، المختلفة وسبل الوقاية منها.
- ٥- تجسيد منهج التفسير الموضوعي التجميعي من خلال هذا البحث.
- ٦- الرغبة في التواصل الدائم مع القرآن الكريم، والتفاعل مع أجوائه.

ثالثاً: أهداف البحث

- ١- ابتغاء مرضات الله والفوز برحمته أسمى ما أرجو من كتابة هذا البحث.
- ٢- تكوين تصور شامل وواضح، حول موضوع الغفلة من خلال القرآن الكريم.
- ٣- توعية أن تدرك الأمة الإسلامية من خلال هذا البحث مدى خطورة الغفلة على الأفراد والجماعات.
- ٤- المساهمة في النهي عن الغفلة والتحذير منها بشتى صورها، وأنواعها، وبيان سنن الله في إمهال الغافلين واستدراجهم.

٥- ربط الموضوع بالواقع المعاصر.

٦- بث روح الأمل في نفوس الناس بالرجوع إلى كتاب الله كمنهج حياة، لأنه كتاب هداية وإرشاد.

٧- دعوة للتأمل، والتدبر في كلام الله للوقوف على الجواهر والدرر المكنونة فيه.

٨- المساهمة في إثراء مكتبة التفسير الموضوعي بدراسة علمية حول هذا الموضوع.

رابعاً: الدراسات السابقة

على الرغم من أهمية هذا الموضوع في حياة المسلم، وعلى الرغم من كثرة الآيات التي وردت فيه، إلا أنني لم أعثر على دراسة تناولت الموضوع كدراسة قرآنية موضوعية مستقلة، ولكن وردت على شكل مقالات، ومحاضرات مقروءة ومكتوبة، وعلى شكل إشارات في بعض الكتب أو دراسات متفرقة تحدثت عن الغفلة.

وبعد مراسلة مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية حول الموضوع، كان الرد بعدم وجود رسالة محكمة تناولت هذا الموضوع.

خامساً: منهجية البحث

تتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي الموضوعي، فالبحث عبارة عن دراسة موضوعية لآيات الغفلة، وأداة البحث استقراء تفسير الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع وفقاً للآتي:

- ١- جمع الآيات القرآنية التي تناولت موضوع البحث.
- ٢- توزيع العناوين الرئيسية للموضوع على فصول ومباحث ومطالب الدراسة.
- ٣- الالتزام بالقواعد المقررة بالتفسير الموضوعي.
- ٤- التحليل العميق للآيات وربطها بالواقع الذي تحياه الأمة.
- ٥- الاستدلال بالآيات القرآنية مضبوطة بالحركات، ووضعها بين قوسين مزهرين، وعزوها إلى سورها وفق الضوابط المعروفة بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن بعد الآية مباشرة وكتابة الآية بالرسم العثماني.
- ٦- الاستدلال بالأحاديث النبوية التي تخدم الموضوع، وتخريجها تخريجاً علمياً وذكر حكم العلماء عليها إن لم تكن في الصحيحين وذلك في حواشي الصفحات.
- ٧- الرجوع إلى المصادر الأصلية في علم التفسير وعلوم القرآن القديمة والحديثة.
- ٨- ذكر معاني المفردات الغريبة من كتب غريب القرآن والمعاجم اللغوية.
- ٩- عمل تراجم للأعلام المغمورين عند ذكرهم لأول مرة.

١٠- استخدام منهجية واحدة في التوثيق، وذلك لتوثيق المصادر والمراجع في الهوامش، وذلك لذكر اسم الكتاب ومؤلفه فقط، أما البيانات الخاصة بالكتاب كاملة فندعها في فهرس المصادر والمراجع وذلك تخفيفاً عن الحواشي.

١١- إعداد الفهارس العلمية التي تخص البحث وتضم التالي:

- فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب المصحف.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام مترجم لهم.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

سادساً: خطة الدراسة

وقد اشتملت الخطة على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

المقدمة تشتمل على:

- ١- أهمية الموضوع.
- ٢- أسباب اختيار الموضوع.
- ٣- أهداف الدراسة.
- ٤- الدراسات السابقة.
- ٥- منهج البحث.
- ٦- خطة البحث.

الفصل الأول

وقفات مع الغفلة ومشتقاتها في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الغفلة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الغفلة لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: العلاقة بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي للغفلة

المبحث الثاني: لفظ الغفلة ومشتقاتها في السياق القرآني

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ورود لفظ الغفلة في القرآن الكريم

أولاً: الغفلة في الآيات المكية

ثانياً: الغفلة في الآيات المدنية

المطلب الثاني: نفي الغفلة عن ذات الله تعالى

المبحث الثالث: أنواع الغفلة في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الغفلة المحمودة في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الغفلة المذمومة في القرآن الكريم وأقسامها

المطلب الثالث: الموقف الشرعي من الغفلة

الفصل الثاني

نظائر الغفلة في القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: النسيان في السياق القرآني

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النسيان لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: معاني النسيان في القرآن الكريم

المطلب الثالث: علاقة الإنسان بالنسيان

المطلب الرابع: الفرق بين الغفلة والنسيان

المطلب الخامس: الغفلة، والنسيان، والسهو، وعلاقتها بالقلب

المبحث الثاني: نفي النسيان عن ذات الله تعالى وحكمه وعاقبته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نفي النسيان عن ذات الله تعالى

المطلب الثاني: حكم النسيان ونهي الله تعالى عنه

المطلب الثالث: عاقبة النسيان

المبحث الثالث: أسباب النسيان في القرآن الكريم

وفي ستة مطالب:

المطلب الأول: الشيطان

المطلب الثاني: الكفر والنفاق

المطلب الثالث: الظلم

المطلب الرابع: الفسوق، والفساد، والعصيان

المطلب الخامس: الغرور بالحياة الدنيا

المطلب السادس: الضلال

المبحث الرابع: آثار النسيان في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما يترتب على نسيان الله تعالى ونسيان ذكره

المطلب الثاني: آثار النسيان من خلال قصص الأنبياء:

- أولاً: آثار النسيان من خلال قصة آدم عليه السلام مع إبليس
- ثانياً: آثار النسيان من خلال قصة يوسف عليه السلام
- ثالثاً: آثار النسيان من خلال قصة موسى مع فتاه، والرجل الصالح

الفصل الثالث

أسباب الغفلة وخطرها وآثارها ومظاهرها في حياتنا المعاصرة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب الغفلة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسباب فطرية لا علاقة للإنسان بها

المطلب الثاني: أسباب مكتسبة تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الكفر بالله، وعدم الإيمان به

المسألة الثانية: الاستكبار

المسألة الثالثة: الرياء

المطلب الثالث: ضلال السعي في الحياة الدنيا

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: الظلم

المسألة الثانية: الجهل

المسألة الثالثة: اتباع الهوى، واللهو، والتفريط

المسألة الرابعة: إثثار الحياة الدنيا

المطلب الرابع: خلل في الطاعة، والاتباع

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: عدم طاعة الله وعبادته

المسألة الثانية: اتباع الشيطان وحزبه

المسألة الثالثة: الغفلة عن مكر الله

المسألة الرابعة: صحبة الغافلين جلساء السوء

المسألة الخامسة: اتباع النفس الأمارة بالسوء

المسألة السادسة: اتباع المعاصي

المبحث الثاني: خطر الغفلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحذير الله عز وجل الشديد للغافلين

المطلب الثاني: خطر الغفلة في الحياة الدنيا

المطلب الثالث: خطر الغفلة في الآخرة

المبحث الثالث: آثار الغفلة ومظاهرها في حياتنا المعاصرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الغفلة

وفيه خمس مسائل

المسألة الأولى: التكذيب بآيات الله

المسألة الثانية: الطبع على القلوب والأسماع والأبصار

المسألة الثالثة: عدم إدراك الأدلة والبراهين والاتعاظ بها

المسألة الرابعة: الإعراض عن ذكر الله

المسألة الخامسة: الضلال

المطلب الثاني: مظاهر الغفلة في حياتنا المعاصرة

وفيه ست مسائل

المسألة الأولى: الغفلة عن أشرط الساعة

المسألة الثانية: الغفلة عن المهمات والأولويات

المسألة الثالثة: الغفلة عن الدار الآخرة والاستعداد لها

المسألة الرابعة: الاستخفاف بأوامر الله ورسوله

المسألة الخامسة: الانشغال بالألعاب والرياضات

المسألة السادسة: التقليد الأعمى للكفار

الفصل الرابع

سبل الوقاية من الغفلة وطرق علاجها

المبحث الأول: سبل الوقاية من الغفلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق الإيمان

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بالله، وآياته، ورسوله

المسألة الثانية: إخلاص النية لله

المسألة الثالثة: دوام الاستقامة

المسألة الرابعة: القيام بالأعمال الصالحة

المطلب الثاني: اجتناب المنهيات

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: اجتناب الشرك بالله

المسألة الثانية: اجتناب الفساد

المسألة الثالثة: اجتناب الظلم

المطلب الثالث: الالتزام بالمأمورات

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: طاعة الله ورسوله

المسألة الثانية: الصبر

المسألة الثالثة: التقوى

المسألة الرابعة: التوبة

المسألة الخامسة: الذكر

المسألة السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الثاني: علاج الغفلة

المطلب الأول: علاج الغفلة في القرآن الكريم

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ما ورد في القرآن الكريم من علاج الغفلة

المسألة الثانية: عبادات تساهم في علاج الغفلة:

أولاً: العلم

ثانياً: مجالس الذكر

ثالثاً: الاستقامة

رابعاً: تدبر القرآن

خامساً: الاستغفار

سادساً: الدعاء والتضرع

سابعاً: المحافظة على الصلوات جماعة

ثامنا: الحرص على قيام الليل
تاسعا: صيام التطوع
عاشرا: الزهد في الدنيا
الحادي عشر: الإكثار من ذكر الموت

المطلب الثاني: التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه
وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه.
المسألة الثانية: وسائل محاربة الشيطان.

المطلب الثالث: خطوات لتأديب النفس وإصلاحها
وفيه أربعة مسائل:

المسألة الأولى: التوبة

المسألة الثانية: المراقبة

المسألة الثالثة: المحاسبة

المسألة الرابعة: المجاهدة

الخاتمة

تشتمل على أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة وبيان لأهم التوصيات كما تشتمل

على الفهارس العلمية للبحث:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجمة

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

خامساً: فهرس الموضوعات

الفصل الأول

وقفات مع الغفلة ومشتقاتها في القرآن الكريم

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الغفلة

المبحث الثاني: لفظ الغفلة ومشتقاتها في السياق القرآني

المبحث الثالث: أنواع الغفلة في القرآن الكريم

المبحث الأول

تعريف الغفلة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الغفلة لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني: العلاقة بين المعنى اللغوي، والمعنى الاصطلاحي للغفلة

المبحث الأول

تعريف الغفلة

المطلب الأول: تعريف الغفلة لغةً واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الغفلة لغةً:

قال ابن فارس في مُعْجَمِهِ: "الغين والفاء واللام أصلٌ صحيحٌ يَدُلُّ على تَرْكِ الشَّيْءِ سَهْوًا وربما كان عن عَمْدٍ، من ذلك غفلتُ عن الشَّيْءِ غَفْلَةً وَغَفُولًا، وذلك إذا تَرَكْتَهُ سَاهِيًا، وَأَغْفَلْتَهُ إِذَا تَرَكْتَهُ على دُكْرِ منك له"^(١).

وقال ابن منظور: الغفلة لغة: مصدر غَفَلَ يغفل غفولاً وغفلةً: تركه وسهى عنه، وأغفلت الشيء: تركته غَفْلًا وأنت له ذاكراً، والتغافل والتغفل: تعمُد الغفلة، والغُفْلُ: من لا يرجى خيره ولا يخشى شره، وما لا علامة فيه^(٢)، وفي الحديث: "من اتبع الصيد غفل"^(٣)،^(٤) أي: يشتغل به قلبه ويستولي عليه، حتى يصير فيه غفلة^(٥).

وذكر صاحب المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد: "يقال غفلت عن الشيء غفولاً، من باب قعد، وله ثلاثة مصادر: غُفُولٌ، وهو أعمها، وغفلةٌ وزان تمره، وغُفْلٌ وزان سبب، واسم الفاعل غافل والتغافل والتغفل تعمده، والتغفيل أن يكفبك صاحبك وأنت غافلاً: لا تعني بشيء، ومغفل كمعظم: من لا فطنة له، والغفول الناقة البلهاء، والغُفْلُ: من لا يرجى خيره ولا يخشى شره، وما لا عماره فيه من الأرضين، ومن لا حسب له، والشعر المجهول قائله، والشاعر المجهول، وغفله تغفيلاً ستره"^(٦).

(١) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، مادة "غَفَلَ" (٣٨٦/٤)، الصَّحاح - تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حمَّاد الجَوْهَرِي، مادة "غَفَلَ"، (٥/ ١٧٨٢).

(٢) انظر لسان العرب لابن منظور (٤٩٧/١١)، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي، (ص ١٣٤٣).

(٣) وتام الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "من بدا جفاً، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن، وما ازداد عبد من السلطان قريباً إلا ازداد من الله بعداً". وللحديث شاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "من سكن البادية جفاً، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن".

(٤) سنن أبو داود، كتاب الصيد، باب في اتباع الصيد، (ح ٢٨٥٩)، (ص ٥٠٧)، صححه الألباني.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٣/٣٧٥).

(٦) المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد، للشيخ كامل الجزار، (ص ٧٥٢).

وقيل: "الغفلة غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً كما في قوله تعالى ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]"^(١).

وترى الباحثة أن الغفلة هي انطماس القلب عن إدراك معنى الذكر، أو هي انغلاق باب القلب عن الاستجابة لواردات الرب.

أوهي الذهول، والنسيان، وعدم التذكر، والسهو عن الشيء المراد الانتباه له، وعدم التقطن، وعدم التحفظ، وهي اللامبالاة، وإنسان غافل: يعني لا يبالي بشيء، ولا يعبه له، ويترتب على ذلك كله: أن الإنسان يكون غافلاً تاركاً لأمره، مفرطاً فيها، غير مبالٍ، ولا مكترث بها.

وقد وردت آيات أخرى في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي السابق، منها قوله تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١٠٢]. وقوله: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١]. وقوله: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَدْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣]"^(٢).

ثانياً: تعريف الغفلة اصطلاحاً:

قال المناوي^(٣): "الغفلة فقد الشعور بما حقه أن يشعر به"^(٤).

وقال الراغب الأصفهاني: "الغفلة سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والنتيظ"^(٥).

وقيل: "متابعة النفس على ما تشتهي"^(٦).

(١) المصباح المنير للفيومي (٤٤٩/٢)، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم لصالح بن عبد الله بن حميد (٥٠٩٨ / ١١).

(٢) انظر: سورة الكهف ٢٨، والأعراف ١٧٩، ويونس ٧، و٩٢، والنحل ١٠٨، والروم ٧، ويس ٦، ومريم ٣٩، والأنبياء ١، و٩٧، وق ٢٢.

(٣) الإمام المناوي: هو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن نور الدين علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري الشافعي (زين الدين)، ولد سنة (٩٥٢هـ) وتوفي سنة (١٠٣١هـ). من كبار العلماء بالدين والفنون، له أكثر من مائة مصنف، منها الكبير والصغير والتام والناقص. ومن كتبه فيض القدير، كنوز الحقائق، شرح الشمائل للترمذي، [انظر خلاصة الأثر (١٩٣/٢)، البدر الطالع (٣٥٧/١)].

(٤) التوقيف على مهمات التعارف، للإمام المناوي، (ص ٥٤٠).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص ٦٠٩)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر، (ص ٦٨٩).

(٦) التعريفات، للجرجاني، (ص ١٦١).

وقال الكفوي^(١): "الغفلة عدم إدراك الشيء مع وجود ما يقتضيه"^(٢).

وقال البغوي^(٣) في تفسيره: "هي معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور"^(٤).

وأورد الشوكاني^(٥) تعريفاً لها في تفسيره فقال: "الغفلة: ذهاب الشيء عنك لانشغالك بغيره"^(٦).

وبالتأمل في التعريفات السابقة لحقيقة الغفلة وبيان المراد منها، يتضح للباحثة أن تعريف الراغب، والله أعلم . هو أقربها للصواب.

فقول الراغب: "سهو" تعريف للغفلة بمثلها ونظيرها، وفيه معنى الشروء وعدم التفكير والاهتمام بالمراد.

وقوله "يعتري" يفيد أن الغفلة غير لازمة للإنسان فهي عارضة تطرأ عليه أحياناً وتفارقه أحياناً أخرى.

فمتى ما سها أقبلت ومتى ما تيقظ أدبرت.

وقوله "من قلة التحفظ والنيقظ" بيان لسبب الغفلة ومنشئها.

وتبين من خلال الدراسة أن جميع التعريفات السابقة تصب في بيان حقيقة الغفلة التي هي الانغماس في الدنيا وشهواتها ونسيان الآخرة وأهوالها، فيتابع المرء نفسه في كل ما تشتهي وهواه في كل ما يطلب حيث يصير الإنسان له قلب ولكن لا يفقه وله عين ولكن لا ترى وله أذن ولكن لا تسمع، فيصير كالأنعام بل هو أضل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا

(١) هو: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، المكنى بأبي البقاء. صاحب "الكليات". من قضاة الأحناف، ولي القضاء في كفه بتركيا وغيرها، له كتب بالتركية، توفي سنة (١٠٩٤هـ). [انظر: ترتيب الأعلام، للزركلي، ١/٦٠٤، برقم ٣٨/٢].

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي، (ص ٥٠٦).

(٣) هو: الحسين بن مسعود بن محمد العلامة أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي، يُعرَف بابن الفراء ويُلقَّب بِمُحِبِّي السُّنَّة، توفي سنة ٥١٠هـ [انظر ترجمته: تذكرة الحفاظ؛ لشمس الدين محمد الذهبي].

(٤) تفسير معالم التنزيل للبغوي، (٤ / ٣٥٨).

(٥) هو أبو علي بدر الدين محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ولد سنة (١١٧٣ هـ)، وتوفي سنة (١٢٥٠ هـ)، نشأ بصنعاء اليمن وترى في بيت العلم والفضل وكان كثير الاشتغال بمطالعة كتب التاريخ، والأدب. بلغت مؤلفاته (٢٧٨) مؤلفاً من أهمها "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير". [انظر البدر الطالع (٢ / ٢١٤)، للشوكاني].

(٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (٢ / ٢٧٢).

يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنُ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿ [الأعراف: ١٧٩].

المطلب الثاني: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للغفلة:

عند النظر في المعنى اللغوي والاصطلاحي للغفلة فإننا نخرج من ذلك: بأن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للغفلة علاقة تكامل وتداخل، فالمعاني الاصطلاحية مستقاة من المعاني اللغوية والتي تأتي في معظمها على المعنى اللغوي الذي هو الذهول وعدم الانتباه والسهو عن الشيء المراد الانتباه له.

المبحث الثاني

لفظ الغفلة ومشتقاتها في السياق القرآني

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ورود لفظ الغفلة في القرآن الكريم

أولاً: الغفلة في السور المكية

ثانياً: الغفلة في السور المدنية

المطلب الثاني: نفي الغفلة عن ذات الله تعالى

المبحث الثاني

لفظ الغفلة ومشتقاتها في السياق القرآني

المطلب الأول: ورود لفظ الغفلة في القرآن الكريم

إذا نظرنا لفظ الغفلة، ومشتقاتها في الآيات المكية، والآيات المدنية نجد أنها وردت خمساً وثلاثين مرة، في خمس وثلاثين آية، منها خمس وعشرون آية مكية وعشر آيات مدنية، وقد جاءت هذه الآيات في إحدى وعشرين سورة من كتاب الله تعالى.

وجاء هذا اللفظ بعدة صيغ وسوف يتم عرضها - إن شاء الله تعالى.

أولاً: الغفلة ومشتقاتها في الآيات المكية^(١).

اسم السورة	رقم الآية	الآية القرآنية	زمن نزولها	الصيغة الواردة
الأنعام	١٣٢	﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾	مكية	بِغَافِلٍ
هود	١٢٣	﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	مكية	بِغَافِلٍ
النمل	٩٣	﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	مكية	بِغَافِلٍ
إبراهيم	٤٢	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾	مكية	غَافِلًا
الأنعام	١٣١	﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾	مكية	غَافِلُونَ
الأعراف	١٧٩	﴿ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾	مكية	الْغَافِلُونَ
يونس	٧	﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴾	مكية	غَافِلُونَ
يونس	٩٢	﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾	مكية	لَغَافِلُونَ

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (ص ٥٠٣).

يوسف	١٣	﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّبَّ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾	مكية	غَافِلُونَ
النحل	١٠٨	﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾	مكية	الغَافِلُونَ
الروم	٧	﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾	مكية	غَافِلُونَ
يس	٦	﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾	مكية	غَافِلُونَ
الأحقاف	٥	﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾	مكية	غَافِلُونَ
الأنعام	١٥٦	﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾	مكية	لغَافِلِينَ
الأعراف	١٣٦	﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾	مكية	غَافِلِينَ
الأعراف	١٤٦	﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾	مكية	غَافِلِينَ
الأعراف	١٧٢	﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾	مكية	غَافِلِينَ
الأعراف	٢٠٥	﴿مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾	مكية	الغَافِلِينَ
يونس	٢٩	﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾	مكية	لغَافِلِينَ
المؤمنون	١٧	﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾	مكية	غَافِلِينَ
مريم	٣٩	﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	مكية	غَفْلَةٍ
الأنبياء	١	﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾	مكية	غَفْلَةٍ
الأنبياء	٩٧	﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾	مكية	غَفْلَةٍ
القصص	١٥	﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾	مكية	غَفْلَةٍ
ق	٢٢	﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾	مكية	غَفْلَةٍ

ثانيا: لفظ الغفلة في الآيات المدنية^(١).

اسم السورة	رقم الآية	الآية القرآنية	زمن نزولها	الصيغة الواردة
النساء	١٠٢	﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ﴾	مدنية	تَغْفُلُونَ
الكهف	٢٨	﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا﴾	مدنية	أَغْفَلْنَا
البقرة	٧٤	﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	مدنية	بِغَافِلٍ
البقرة	٨٥	﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	مدنية	بِغَافِلٍ
البقرة	١٤٠	﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	مدنية	بِغَافِلٍ
البقرة	١٤٤	﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	مدنية	بِغَافِلٍ
البقرة	١٤٩	﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	مدنية	بِغَافِلٍ
آل عمران	٩٩	﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	مدنية	بِغَافِلٍ
يوسف	٣	﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾	مدنية	الْغَافِلِينَ
النور	٢٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا...﴾	مدنية	الْغَافِلَاتِ

من خلال الاطلاع على الجدول الشامل للغفلة ومشتقاتها في الآيات المكية والآيات المدنية يمكن الوقوف على الملاحظات الآتية:

١- ورد لفظ الغفلة في القرآن الكريم خمساً وثلاثين مرة في خمس وثلاثين آية منها خمس وعشرون آية مكية وعشر آيات مدنية وقد وردت تلك الآيات في إحدى وعشرين سورة من كتاب الله منها خمس عشرة سورة مكية وست سور مدنية، وقد ورد هذا اللفظ بعدة صيغ واشتقاقات منها الماضي

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، (ص ٥٠٣).

المجرد من الضمائر، والمضارع - حيث ورد بصيغته مرة واحدة فقط - لأن المضارع يفيد التجديد والله ﷻ لا يريد تجديد الغفلة للإنسان وإنما ينهائنها ويحذره منها، ووردت كذلك عدة مرات بصيغة المصدر واسم الفاعل، لأن ذلك يدل على استمرارية الغفلة من الكفرة ومن عصاة المسلمين، فهو حدث قائم ومستمر إلى قيام الساعة.

٢- الآيات المكية التي تحمل لفظ الغفلة ومشتقاتها أكثر من الآيات المدنية، مما يوحي بأن الناس في العهد المكي لم يكن الإيمان قد استقر في قلوبهم، ولم يتحللوا بعد من عادات وتقاليد الجاهلية، فضيعوا كثيرًا من ثواب الأعمال في الدنيا والآخرة وانحرفوا عن الصراط المستقيم، وانغمسوا في لذات الدنيا وشهواتها مما اقتضى مزيدًا من الغفلة لهم، لذلك جاءت الآيات المكية بنسبة أكثر نظرًا لحالهم. أما في العهد المدني فقد غرس الإسلام في قلوبهم حقيقة الإيمان، وغلبت عليهم الاستقامة على دين الله، وتجنبوا انحراف السعي مما اقتضى أن تقل وتضمحل غفلتهم، لذلك جاءت الآيات المدنية بنسبة أقل نظرًا لحالهم أيضًا، والله أعلم.

٣- لم يأت لفظ الغفلة بصيغة الأمر التي تفيد الاستقبال مطلقًا، لأن الله لا يحب السوء ولا يأمر به، بل ينهى عن الغفلة ويحذر منها .

٤- بالنظر إلى لفظ الغفلة ومشتقاتها نجد أنها قد جاءت بعدة صيغ وسنين نوع المشتقات، سواء كانت مجردة من الضمائر أم متصلة بها وهي على النحو التالي:

- تَغْفُلُونَ: وردت مرة واحدة بصيغة المضارع المتصل بواو الجماعة.
- أَغْفَلْنَا: وردت مرة واحدة بصيغة الماضي المتصل بنا الفاعلين.
- الغَافِلَاتِ: وردت مرة واحدة، جمع لاسم الفاعل، جمع مؤنث سالم.
- غَفْلَةٌ: وردت خمس مرات بصيغة المصدر.
- بِغَافِلٍ: وردت عشر مرات بصيغة اسم الفاعل المجرد من الضمائر.
- غَافِلِينَ، غَافِلُونَ: وردت سبع عشرة مرة، جمع لاسم الفاعل، المذكر السالم.

ومن خلال تتبع الآيات التي ورد فيها لفظ الغفلة، نجد أن الله ﷻ نهى عن الغفلة وحذر المؤمنين من الوقوع فيها، فهي من الصفات الذميمة التي يجب على الإنسان الابتعاد عنها، وعلى الرغم من ذلك، إذا ما نظرنا إلى واقعنا المعاصر نجد أن هناك كثيرًا من الناس قد وقعوا في الغفلة بسبب ما نراه من لهفة الناس ولهتهم وراء متاع الدنيا وشهواتها التي لا فائدة منها.

وما يحصل من النزاعات والخلافات على المكانة العالية والأمور الدنيوية، وانغماس الناس في مشاكل الحياة التي يتعرضون لها جعلتهم يغفلون عن القيام بالأعمال التي تقربهم من الله، إذ يخسر الناس أعمالهم بسبب ضلال سعيهم في الدنيا، وذلك بالابتعاد عن صراط الله المستقيم الذي أمرنا

باتباعه وارتكاب المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

"فالدنيا سريعة الفناء قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ثم تخلف في الوفاء، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة، وهي سائرة سيرًا عنيقًا، ومرحلة ارتحالًا سريعًا، ولكن الناظر إليها قد لا يحس بحركتها فيطمئن إليها، وإنما يحس عند انقضائها، ومثالها الظل فإنه متحرك ساكن، متحرك في الحقيقة ساكن الظاهر، تدرك حركته بالبصر الظاهر، بل بالبصيرة الباطنة... .

وقيل: مثل طالب الدنيا، مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربًا، ازداد عطشًا حتى يقتله"^(١).

وقيل: "من عرف أن الدنيا كالتلج يذوب ، والآخرة كالدر يبقى، قويت رغبته في بيع هذه بهذه، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظَلِّمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء: ٧٧]^(٢). وقوله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

ومع ذلك نجد الناس يغفلون عن الهدف الذي لأجله خلقوا فينحرفون عن الصراط ويضل سعيهم، مما يترتب عليه خسارة الأعمال، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤]، فلنحذر من الغفلة ولنعمل عمل المتيقظين، ولنحذر من المعاصي فإنها سيئة العواقب، ولنحذر من الذنوب خصوصًا ذنوب الخلوات، فإن المبارزة لله - تعالى - تسقط العبد من عينه سبحانه، ولا ينال لذة المعاصي إلا دائم الغفلة، فأما المؤمن اليقظان فإنه لا يلتذ بها، لأنه عند التذاذذ يقف بإزائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها، فإن قويت معرفته رأى بعين علمه قرب الناهي وهو الله، وإن كان الطبع في شهوته فما هي إلا لحظة ثم خزي دائم وندم ملازم، وبكاء متواصل، وأسف على ما كان مع طول الزمان حتى إنه لو تيقن العفو وقف بإزائه جذار العتاب، فأف للذنوب ما أقبح آثارها وأسوأ أخبارها^(٣).

(١) بغية الطالبين من إحياء علوم الدين، للغزالي، (ص ١٧٦ ، ١٧٥).

(٢) المرجع السابق، (ص ٣٤١).

(٣) انظر: موارد الظمان لدروس الزمان، لعبد العزيز المحمد السلطان، (٨٧/٥).

المطلب الثاني: نفي الغفلة عن ذات الله تعالى

نفي الله سبحانه وتعالى الغفلة عن ذاته في آيات عديدة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩] وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِرِّيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣] (١).

فهو سبحانه مُطَّلِعٌ على أعمالنا لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها علينا، وهذا هو مكنم الخطر، أن الإنسان غافل، ساه، لاه، لا يبالي، والله تعالى لا يغفل، يراقب كل أعماله ويحصىها عليه ويحاسبه عليها، كما قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وهذا النَّفْيُ للغفلة عن الله تعالى يستلزم إثبات كمال ضدَّ الصفة المنفية عنه سبحانه وتعالى؛ فتكون دالة على كمال علمه، وسعة اطلاعه، وسرعة حسابه وعقابه، وبذلك تكون الصِّفَةُ المثبتة بالضدِّ صفة مدحٍ وكمالٍ له جَلٌّ وعلا، وهذا مقرر عند علماء الاعتقاد من أهل السنة والجماعة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وينبغي أن يُعلم أن النَّفْيَ ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا، وإلا فمجرد النَّفْيِ ليس فيه مدح ولا كمال؛ لأنَّ النَّفْيَ المَحْضُ عدمٌ مَحْضٌ، والعدم المَحْضُ ليس بشيء، وما ليس بشيء فهو كما قيل: ليس بشيء؛ فضلًا عن أن يكون مدحًا أو كمالًا" (٢).

ولأنَّ النَّفْيَ المَحْضُ يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال.

فلهذا كان عامَّة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنًا لإثبات مدح؛ كقوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فنفي السُّنَّةِ والنَّوْمِ: يتضمن كمال الحياة والقيام؛ فهو مبين لكمال أنَّه الحي القيوم، وكذلك قوله تعالى: (وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا) "أي لا يُكْرِثُهُ ولا يُثْقَلُهُ وذلك مستلزم لكمال قدرته وتامها" (٣).

(١) وكذلك البقرة: الآيات (٧٤، ٨٥، ١٤٠)، وآل عمران: (٩٩)، والأنعام: (١٣٢)، هود: (١٢٣)، النمل: (٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (٣/٣٥).

(٣) انظر: المرجع السابق، (٣/٣٦).

ومن الآيات التي نفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه الغفلة قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤]. وفي معنى الآية قوله تعالى: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١].

قال الرَّمْخَشَرِيُّ: "فإن قلتَ يتعالى عن الله السَّهو والغفلة، فكيف يحسبه رسول الله، وهو أعلم الناس به غافلاً حتى قيل ولا تحسبن الله غافلاً؟ قلت: إن كان خطاباً لرسول الله، ففيه وجهان: أحدهما: التثبیت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً، كقوله: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٤] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]. الثاني: أن المراد بالنهي عن حسابانه غافلاً، الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون، لا يخفى عليه منه شيء، وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، يريد الوعيد.

ويجوز أن يراد: ولا تحسبته يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون، ولكن معاملة الرقيب عليهم، المحاسب على التفسير^(١) والقطمير^(٢)، وإن كان خطاباً لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلاً، لجهله بصفاته، فلا سؤال فيه^(٣).

وقال الطاهر ابن عاشور في الآية: "وصيغة (لا تحسبن) ظاهرها نهى عن حُسان ذلك. وهذا النهي كناية عن إثبات وتحقيق ضد المنهي عنه في المقام الذي من شأنه أن يثير للناس ظناً وقوع المنهي عنه لقوة الأسباب المثيرة لذلك، وذلك أن إمهالهم وتأخير عقوبتهم يشبه حالة الغافل عن أعمالهم، أي تحقّق أنّ الله ليس بغافل، وهو كناية ثانية عن لازم عدم الغفلة وهو المؤاخذة، وعلى هذا الاستعمال جاءت الآية سواء جعلنا الخطاب لكل من يصح أن يخاطب فيدخل فيه النبي، أم جعلناه النبي ابتداءً ويدخل فيه أمته، ونفي الغفلة عن الله ليس جارياً على صريح معناه؛ لأن ذلك لا يظنه مؤمن بل هو كناية عن النهي عن استعجال العذاب للظالمين، ومنه جاء معنى التسلية للرسول"^(٤).

اتضح من خلال هذا المبحث، عدد المرات التي ورد فيها لفظ الغفلة في القرآن الكريم وتبين أن هذا اللفظ ورد في الآيات المكية والمدنية وقد نفى الله ﷻ الغفلة عن ذاته تعالى، في كثير من المواضع، إذ حاشا لله ﷻ أن يغفل عن عباده طرفة عين.

(١) التفسير: النُّكْتة في ظهر النواة [الكليات، ص ٩٠٩].

(٢) القطمير: شقّ النواة، أو القشرة الرقيقة بين النواة والتمر [الكليات، ص ٩٠٩].

(٣) الكشّاف للزمخشري، (٥٢٧/٢).

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (٢٤٥/١٣).

المبحث الثالث

أنواع الغفلة في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الغفلة المحمودة في القرآن الكريم

المطلب الثاني: الغفلة المذمومة في القرآن الكريم وأقسامها

المطلب الثالث: الموقف الشرعي من الغفلة

المبحث الثالث

أنواع الغفلة في القرآن الكريم

المطلب الأول: الغفلة المحمودة في القرآن الكريم:

وردت الغفلة المحمودة في موضعين اثنين فقط في القرآن الكريم، وقد يتساءل سائل: كيف تكون الغفلة محمودة، مع أن القرآن الكريم ذم الغفلة والغافلين في كثير من المواضع؟.

وجواب هذا التساؤل: كل غفلة تنفع في الدين أو في الدنيا، هي محمودة، وكل غفلة سوى ذلك فهي مذمومة.

"الغفلة عن القبائح مانعة من فعلها، إذ لا يتأتى فعلها إلا بالعزم عليها، ولا عزم عليها مع عدم الشعور بها"^(١).

وقد جاء هذا النوع النادر من الغفلة المحمودة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]. فالغفلة في هذا الموضع جاءت محمودة لأنها غفلة عن الفاحشة، وهي في وصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأن الفاحشة لا تخطر لها على بال.

قال ابن جزي^(٢): "ومعنى (الغافلات) السليطات الصدور، فهو من الغفلة عن الشر"^(٣).

وقال البغوي: "والغافلة عن الفاحشة: أي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة"^(٤).

ومن قال إن الرمي للمحصنات على العموم جعل الغفلة عامّة للمذكر والمؤنث، كما قال النحاس^(٥): "ومن أحسن ما قيل أي في (يرمؤون) أنه عام لجميع الناس القذفة من ذكر وأنثى، وأنّ

(١) شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، عبدالعزيز بن عبد السلام السلمي، (ص ١٤٥).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي المالكي، يُكنى أبا القاسم، من أهل غرناطة وذوي الأصالة والنباة فيها، إمام مقرئ عارف، توفّي شهيداً يوم الكائنة في عام (٧٤١هـ). [أنظر ترجمته: غاية النهاية في طبقات القراء؛ لشمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري، ٨٣/٢].

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل؛ لمحمد بن جزي الكلبي، (٦٣/٣).

(٤) معالم التنزيل، للبغوي، (٢٧/٦).

(٥) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي المصري، مفسر، نحوي، أديب، أبو جعفر النحاس، اشتغل بالتصنيف في علوم القرآن والأدب، توفّي سنة (٣٣٨هـ) [أنظر ترجمته: معجم الأدباء، ٦١٧/١، طبقات المفسرين، للداودي، ٦٨/١].

التقدير يرمون الأنفس المحصنات فيدخل فيه المذكّر والمؤنث، وكذا في الذين يُرمون إلا أنه غُلبَ المذكّر على المؤنث^(١).

وعند أبي السعود: "إِنَّ الَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ": أي العفاف مما زُمن به من الفاحشة (الغافلات) عنها على الإطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها أصلاً. ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس في (والمُحْصَنَاتِ) أي السَلِيمَاتِ الصُّدُورِ النَّقِيَّاتِ القلوب عن كل سوء^(٢).

ويشير البقاعي عند ذكر هذه الآيات بكلام لطيف؛ فيقول: "(والمحصنات) أي اللاتي جعلن أنفسهن من العفة في مثل الحصن، ولما كان الهام بالسيء والمقدم عليه عالماً بما يرمي به منه، جاعلاً له نصب عينه، أكد معنى الإحصان بقوله: (الغافلات) أي عن السوء حتى عن مجرد ذكره، ولما كان وصف الإيمان حاملاً على كل خير ومانعاً من كل سوء، نبّه على أنّ الحامل على الوصفين المتقدمين إنّما هو التقوى، وصرف مالهن من الفطنة إلى ما لله عليهن من الحقوق فقال: (المؤمنات)"^(٣).

ولما جاء المؤمنات إلى رسول الله ﷺ يبايعنه أخذ عليهن العهد كما أمره الله تعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِفْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢]، قالت هند بنت عتبة رضي الله عنها: وهل تزني الحرة^(٤).

فهي تتعجب أن تقوم الحرة المحصنة بالإقدام على هذا الأمر المشين، مع أنه ليس مستغرباً في زمانهم، وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق إحدى الغافلات عن الفحش الذي رميت به كما في قصة الإفك^(٥)، وما هذه الآية^(٦) إلا في أمرها وبيان صدقها وعفافها،

(١) إعراب القرآن، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، (٤٣٦/٢).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبي السعود، (٤٤٨/٤).

(٣) تظّم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٢٤٩/٥).

(٤) القصة في مسند أبي يعلى، (١٩٤/٨)، وذكرها ابن جرير في تفسيره. بسنده. (٧٨/٢٨)، وابن حجر في الإصابة (٣٤٦/٨).

(٥) القصة وردت في الصحيحين صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضاً، (ح ٢٦٣٧)؛

(٦) صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك، وقبول توبة القاذف، (ح ٢٧٧٠)، (٢١٢٩/٤).

(٦) آية النور ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ [الآية: ٢٣].

وكفى بها شرفاً أن تتلى هذه الآيات ببراءتها إلى يوم القيامة، إضافة إلى أن الله تعالى رتب على من قذفها وكذا من جاء بعدها من المؤمنات النقيات اللعن في الدنيا والآخرة والعذاب العظيم.

وهذا القول الذي اختير أي القول بعموم الوعيد فيمن رمى عائشة، وكل مُحصنة غافلة مؤمنة، هو ما اختاره الإمام ابن جرير في تفسيره حيث قال: "وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب: قول من قال: نزلت هذه الآية في شأن عائشة رضي الله عنها، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها"^(١).

وإن كان هذا القول يتنافى مع قول ابن عباس رضي الله عنه الذي خص هذه الآية في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وباقي نساء النبي ﷺ، أما ما يخص نساء المؤمنين ففي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤]

"عن ابن عباس في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) نزلت في عائشة خاصة، وعن ابن عباس في هذه الآية أيضا (هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ)، ولم يجعل الله لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة - ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. [النور: ٤-٥]، وعلى هذا فإن قبول توبة القاذف وإن كان مخصصاً لعموم قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ) لا يتناول بالتخصيص من قذف عائشة أو سائر أزواج النبي ﷺ، فإن هذا لا توبة له"^(٢).

"وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب؛ لأن الله تعالى عم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، كل محصنة غافلة مؤمنة، رماها رام بالفاحشة، من غير أن يخص بذلك بعضاً دون بعض، فكل رام محصنة بالصفة التي ذكر الله جل ثناؤه في هذه الآية؛ فملعون في الدنيا والآخرة، وله عذاب عظيم، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، (١٠٥/١٨).

(٢) علوم القرآن، لمناع القطان، (ص ٧٣).

قبل وفاته، فإنَّ الله تعالى دلَّ باستثنائه بقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٨٩]، على أنَّ ذلك حكم رامي كلِّ مُحصَّنة بأيِّ صفة كانت المُحصَّنة المؤمنة المزميَّة، وعلى أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، معناه: لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا^(١).

ومن الغفلة المحمودة في القرآن أيضا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥]^(٢). والمراد بالغفلة هنا وقت القيلولة، وهي من السنة.

وقال السعدي في تفسير هذه الآية: "إما وقت القائلة، أو غير ذلك من الأوقات التي بها يغفلون عن الانتشار"^(٣).

المطلب الثاني: الغفلة المذمومة في القرآن الكريم وأقسامها

نفى الله ﷻ الغفلة عن نفسه في العديد من الآيات -وقد بينا ذلك في مطلب سابق- كما وردت آيات عديدة في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي الذي قدمناه سابقا للغفلة الذي هو الذهول، وعدم الانتباه، والسهو عن الشيء المراد الانتباه له.

والغفلة سبب عظيم من أسباب الضلال، والانصراف عن الهداية، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

كما أنها سبب من أسباب عقوبة الدنيا وسوء الخاتمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٨].

وقال تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، (١٠٥/١٨).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٢٥٩ / ١٣).

(٣) تفسير السعدي، (٦١٣/١).

وبناء على ما تقدم فإن الغفلة من الصفات الذميمة التي ينبغي أن لا يقع فيها المؤمن، بل عليه أن يتنبه لها، ويحذر من أسبابها، ويخاف عواقبها، ويلتزم الطرق التي تقي من الوقوع فيها.

ويكفي دليلاً على أنها من الصفات المذمومة شرعاً، أنها جاءت في آيات القرآن الكريم مقترنة بصفات أخرى ذميمة، فقد جاءت مقترنة بـ: الكفر، والتكذيب، وعدم الإيمان، والتكبر، والجحود، والإعراض، والضلال، والظلم، واللغو، واللعب، والتفريط، وحب الحياة الدنيا، وغير ذلك.

وذلك أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا غفل وسوس وإذا ذكر الله خنس أي تأخر وأقصر^(١).

قال الطبري: "وقوله: (من شر الوسواس الخناس)، يعني من شر الشيطان الخناس الذي يخنس مرة ويوسوس أخرى، وإنما يخنس فيما ذكر عند ذكر العبد ربّه، وذكر من قال ذلك ما روي بسنده عن ابن عباس قال: ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإذا عقل فذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس، قال: فذلك قوله (الوسواس الخناس)"^(٢).

وللغفلة المذمومة أقسام منها:

القسم الأول: الغفلة العارضة:

وهي الغفلة التي تعرض للصالحين من الناس في بعض الأوقات، وهؤلاء الصالحون غفلتهم يسيرة سريعة، سرعان ما ينتبهون لها، ويتذكرون الجزاء والحساب، فيتوبون منها، ويتراجعون عنها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

القسم الثاني: الغفلة المتكررة:

وهي الغفلة التي يعيشها العصاة والفاسقون من المسلمين حال عصيانهم، قلت معصيتهم أم كثرت فتراهم يغفلون أحياناً، ويستيقظون أحياناً.

وهؤلاء لأبد من تذكيرهم في كل حين.. حتى يلتزموا الطريق المستقيم والصرراط السوي^(٣).

(١) انظر: تفسير القرطبي، (٢٠/٢٦٢).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، (٣٠/٣٥٥).

(٣) انظر: سلسلة أعمال القلوب، لمحمد صالح المنجد، (ص ١١).

القسم الثالث: الغفلة التامة:

وهي الغفلة التي يعيشها الكفار، فهم في غفلة تامة عن الله والدار الآخرة، حتى كأنهم بهائم لا يدرون لماذا خلقوا؟ ولا لأي شيء يعيشوا؟، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]. بل هم في غفلتهم كأنهم سكارى لا ينتبهون إلى ما حولهم، ولا يفقهون ما يُقال لهم، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]. وقال تعالى: "﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. ويكون إخراج هؤلاء الكفار من غفلتهم بدعوتهم إلى دين الإسلام، ومحاولة إدخالهم فيه^(١).

المطلب الثالث: الموقف الشرعي من الغفلة:

ذم الله تعالى الغفلة، وحذر من الغافلين، وحذر نبيه أن يكون معهم ومنهم، فقال تعالى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

والنهي هنا موجه لرسول الله ﷺ (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) وهو بالأحرى ملزم لأمة رسول الله ﷺ؛ إذ حاشا لقلب ينزل عليه الوحي، ولا ينام وإن نامت عيننا صاحبه أن يغفل عن الله طرفة عين، وقد أتى النهي عنها أيضا في صورة نقض العهد الذي أخذه الله تعالى على بني آدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فكان من ضمن بنود هذا العهد والميثاق عدم الغفلة عن التوحيد للربوبية، وما يستلزمه من توحيد الإلهية بعبادة الرب وحده^(٢).

وقد نهى الله تعالى عن مصاحبة الغافلين، فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

(١) انظر: سلسلة أعمال القلوب، لمحمد صالح المنجد، (ص ١٢).

(٢) انظر: تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (٣٢٦/٩).

وذم الله أقوامًا لغفلتهم، فقال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

والويل كل الويل لمن غفل حتى قضي الأمر وخسر، قال تعالى: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

وقد قرأ النبي ﷺ هذه الآية حينما ذكر لأصحابه ذبح الموت، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يُجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، هل تعرفون هذا؟ فيشربون، وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت، ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون، وينظرون، ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر به فيذبح. قال: ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت". قال ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلى الدنيا^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (ح ٦٥٤٨)، (ص ١٤٢).

الفصل الثاني

نظائر الغفلة في القرآن الكريم

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: النسيان في السياق القرآني

المبحث الثاني: حكم النسيان ونفيه عن ذات الله تعالى

المبحث الثالث: أسباب النسيان في القرآن

المبحث الرابع: آثار النسيان في القرآن الكريم.

المبحث الأول

النسيان في السياق القرآني

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف النسيان لغةً واصطلاحًا

المطلب الثاني: معاني النسيان في القرآن الكريم

المطلب الثالث: علاقة الإنسان بالنسيان

المطلب الرابع: الفرق بين الغفلة والنسيان

المطلب الخامس: الغفلة والنسيان والسهو وعلاقتها بالقلب

المبحث الأول

النسيان في السياق القرآن

تمهيد:

لم يرد في القرآن الكريم سوى مفردة واحدة من نظائر الغفلة وهي النسيان، والنسيان من العوارض البشرية التي تطرأ على الإنسان فيغيب عن ذهنه بعض الحوادث والمعلومات دون فعل منه أو إرادة، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف: ٧٣]، وقد يكون عن قصد منه وتعمد، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٤].

وردت مادة النسيان في القرآن الكريم في عشرين سورة، في خمس وأربعين آية، على سبعة وعشرين تصريحاً^(١).

المطلب الأول: تعريف النسيان لغةً واصطلاحاً.

تعريف النسيان لغة:

النسيان بكسر النون : خلاف الدُّكْر والحفظ، ورجلٌ نسيان (بفتح النون) : كثير النسيان للشَّيء، قال ابن فارس: "النُّونُ والسَّيْنُ والياءُ أصلان صحيحان يدلُّ أحدهما على إغفال الشَّيء، والثاني على ترك الشَّيء"^(٢).

والنَّسِيُّ: "ما نُسِيَ وما سَقَطَ في منازل المُرتحلين من رُذال أمتعتهم، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: (وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا)^(٣) أي: شيئاً حقيراً مُطْرَحاً لا يُلتفت إليه"^(٤).

تعريف النسيان اصطلاحاً:

قال الرَّاغِب الأصفهاني: "هو ترك الإنسان ضبط ما استودع، إمَّا لضعف قلبه، وإمَّا عن غفلة، وإمَّا عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره"^(٥)، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ [الكهف: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ [الكهف: ٧٣].

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة: (نسي)، (ص ٤٧٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (٥/٤٢١).

(٣) صحيح البخاري كتاب موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج، باب مواقفها من الخوارج، (١/٢٧٥).

(٤) لسان العرب، لابن منظور، (١٥/٣٢٢).

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، (ص ٨٠٣).

وعرّفه الجرجاني "بأنّه الغفلة عن معلوم في غير حالة السّنة"^(١).

وقيل: "عبارة عن الغفلة عن الشيء مع انمحاء صورته أو معناه عن الخيال، أو الذكر، بالكلية، ولذلك يحتاج الناسي إلى تجشم كسب جديد وكلفة في تحصيله ثانياً"^(٢).

والراجح قول الراغب وذلك لأنه ذكر في تعريفه أسباب النسيان في حين أغفلتها التعريفات الأخرى.

المطلب الثاني: معاني النسيان في القرآن الكريم.

لم يخرج معنى النسيان في القرآن عن المعاني السابقة التي ذكرها العلماء له في اللغة والاصطلاح.

يقول ابن الجوزي: "ذكر بعض أهل التفسير أن النسيان في القرآن على وجهين: أحدهما: الترك مع التعمد. ومنه قوله تعالى: ﴿ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٤]. والثاني: خلاف الذكر. ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ [الكهف: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴾^(٣) [الأعلى: ٦].

المطلب الثالث: علاقة الإنسان بالنسيان.

اختلف العلماء في لفظ الإنسان هل هو من النسيان أو من الأُنس.

يقول أبو هلال العسكري: "والإنسان يقتضي مخالفته البهيمية فيذكرون أحدهما في مضادة الآخر، ويدل على ذلك أن اشتقاق الإنسان من النسيان، وأصله إنسيان، فلهذا يصغر فيقال أنيسان، والنسيان لا يكون إلا بعد العلم، فسمي الإنسان إنساناً لأنه ينسى ما علمه، وسميت البهيمة بهيمة لأنها أبهمت على العلم والفهم ولا تعلم ولا تفهم فهي خلاف الإنسان، والإنسانية خلاف البهيمية في الحقيقة؛ وذلك أن الإنسان يصح أن يعلم إلا أنه ينسى ما علمه والبهيمة لا يصح أن تعلم"^(٤).

(١) التعريفات، للجرجاني، (ص ١٦٧).

(٢) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، (١ / ٥٣٨).

(٣) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لابن الجوزي، (ص ٥٨٠).

(٤) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، (١ / ٨٠).

وقال ابن مسكويه^(١): "والسبب في هذه المحبة الأنس، وذلك أن الإنسان أنس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور، ومنه اشتق اسم الإنسان في اللغة العربية، وقد تبين ذلك في صناعة النحو وليس كما قال الشاعر: سميت إنسانا لأنك ناس.

قال: فإن هذا الشاعر ظن أن الإنسان مشتق من النسيان وهو غلط منه. وينبغي أن يعلم أن هذا الأنس الطبيعي في الإنسان هو الذي ينبغي أن نحرص عليه ونكتسبه مع أبناء جنسنا حتى لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا، فإنه مبدأ المحبات كلها.

قال: والشريعة تدعو إلى الأنس والمحبة، وإنما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع في المآدب ليحصل لهم هذا الأنس.

والشريعة إنما أوجبت على الناس أن يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد ليحصل لهم هذا الأنس الطبيعي الذي هو فيهم بالقوة حتى يخرج إلى الفعل ثم يتأكد بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم^(٢). وسواء اشتق لفظ الإنسان من النسيان أو الأنس فإنه لا شك متصف بالأمرين وهما من الصفات الملازمة له بأصل الخلقة التي خلق الله الناس عليها.

والراجح قول العلماء أن لفظ الانسان مشتق من الأنس وذلك لأن الانسان يأنس بغيره من الناس حينما يجلس معهم.

المطلب الرابع: الفرق بين الغفلة والنسيان:

بعد بيان معنى كل من الغفلة والنسيان لغةً واصطلاحاً، يتضح الفرق بينهما، وزيادة في الإيضاح فهذه بعض الفروق بين الغفلة والنسيان:

- "أن النسيان زوال الصورة عن القوة المدركة مع بقائها في الحافظة، والسهو زوالها عنهما معاً، وقيل: غفلتك عما أنت عليه لتفقدته سهو، وغفلتك عما أنت عليه لتفقد غيره نسيان"^(٣)، فكأن الغفلة عامة تشمل الأمرين معاً.

(١) ابن مسكويه هو أحمد بن يعقوب، أبو علي الملقب ابن مسكويه، ويطلق عليه اسم أبي علي الخازن، أو صاحب تجارب الأمم، كان مجوسياً وأسلم، ومن أشهر مؤلفاته، كتاب تهذيب الأخلاق و تطهير الأعراق، و كتاب تجارب الأمم في التاريخ، [انظر: موسوعة علماء العرب، عبدالسلام سيد].

(٢) تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه، (١ / ٥٢).

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي، (ص ٥٠٦).

وقيل: "إنَّ الغفلة عبارة عن عدم التفطن للشيء وعدم عقليته بالفعل سواء بقيت صورته أو معناه في الخيال أو الذكر، أو انمحت عنه إحداهما، وهي بذلك أعمُّ من النسيان، لأنه عبارة عن الغفلة عن الشيء مع انمحاء صورته أو معناه بالكلية، ولذلك يحتاج الإنسان إلى تجشم (جهد) كبير جديد وكلفة في تحصيله ثانيًا"^(١).

- وقيل: إنَّ الغفلة والنسيان عبارات مختلفة، لكن يقرب أن يكون معانيها مُتَّحِدَةً، وكلُّها مضادَّة للعلم بمعنى أنَّه يستحيل اجتماعهما معًا^(٢).

وهذا هو الظاهر، فإنَّ المعاني مُتَّحِدَةٌ، ثم إنَّ الغفلة اسم عام، فكل نسيان غفلة، وليس كل غفلة نسيانًا.

بعد التأمل في التعريفات السابقة، يتضح أن الغفلة ترك باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختيار الإنسان.

أما الذكر: فهو التلخص من الغفلة والنسيان^(٣).

المطلب الخامس: الغفلة والنسيان والسهو وعلاقتها بالقلب.

يجمع بين الغفلة والنسيان والسهو أنها جميعا من أمراض القلوب، وأنها تحصل للقلب عند ضعفه أو انشغاله، وهي كذلك تشترك في الكثير من الأسباب والآثار، وكذلك طرق العلاج، وهي متداخلة ويؤدي بعضها إلى بعض، لأن من غفل سها، ومن سها نسي، وكلها فيها معنى الترك لأمر من الأمور التي حقها الأداء.

والفرق الأساس الذي يميز الغفلة والسهو عن النسيان بعد هذا التداخل الذي ألمحنا إليه أن بينها عمومًا وخصوصًا، فالغفلة: "غيبية الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له"^(٤)، وهي الأعم.

أما السهو فهو عدم التفطن للشيء مع بقاء صورته أو معناه في الخيال أو الذكر.

وأما النسيان فهو عبارة عن الغفلة عن الشيء مع انمحاء صورته أو معناه عن الخيال أو الذكر بالكلية، ويحتاج إلى كسب جديد^(٥).

(١) فرائد اللغة، لهنريكوس لامنس اليسوعي، (ص ٢٣٥).

(٢) انظر: كَشَّاف اصطلاحات العلوم والفنون، للتهانوي، (١٣٣٧/٦).

(٣) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، (٤٣٤/٢).

(٤) المصباح المنير، للفيومي، (٤٤٩/٢).

(٥) انظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، (١ / ٥٣٨).

المبحث الثاني

نفي النسيان عن ذات الله تعالى وحكمه وعاقبته

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نفي النسيان عن ذات الله تعالى

المطلب الثاني: حكم النسيان ونهي الله تعالى عنه

المطلب الثالث: عاقبة النسيان

المبحث الثاني

نفي النسيان عن ذات الله تعالى وحكمه وعاقبته

المطلب الأول: نفي النسيان عن ذات الله تعالى

نفي الله سبحانه وتعالى النسيان عن ذاته الكريمة في القرآن الكريم على لسان أمين الوحي جبريل وعلى لسان أنبيائه، وذلك لأن النسيان من صفات المخلوقين، وهي صفة نقص تعتر بهم وتوصف بكونها مذمومة شرعاً، ولا يوصف المولى ﷺ بصفات النقص، بل هو سبحانه متصف بكل صفات الكمال، فالنسيان الذي بمعنى الذهول والغفلة والسهو وعدم العلم منفي عن ذات الله تعالى. قال تعالى على لسان جبريل: ﴿ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [طه: ٥٢].

قال السعدي: "قد أحصى أعمالهم من خير وشر، وكتبه في كتاب وهو اللوح المحفوظ"^(١)، وقال الطاهر: "وأحاط به علماً وخبراً فلا يضل عن شيء منها ولا ينسى ما علمه منها، والضلال الخطأ في العلم، والنسيان عدم تذكر الأمر المعلوم في ذهن العالم"^(٢).
وأما النسيان الذي هو بمعنى الترك المتعمد، فقد وصف الله تعالى به نفسه في القرآن الكريم، وقد ورد ذلك على سبيل المشاكلة، ومن جنس جزاء العمل بالمثل، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ حُجُورًا وَلِعِبَاءَ وَاغْرَثْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَاَلْيَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥١]، قال الطبري: "تركهم في العذاب المبين جياً عطاشاً بغير طعام ولا شراب، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ورفضوا الاستعداد له بطاعة الله"^(٣).

قال الراغب: "وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد، وما عذر فيه نحو ما روي عن النبي ﷺ: "رفع عن أمي الخطأ والنسيان"^(٤)، وقوله تعالى ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾ [السجدة: ١٤]، هو ما كان سببه عن تعمد منهم وتركه على طريق الإهانة، وإذا نسب ذلك إلى الله تعالى فهو تركه إياهم استهانة بهم ومجازاة لما تركوه"^(٥).

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن السعدي، (ص ٥٤٢)

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، (٢٣٣/١٦).

(٣) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، للطبري، (١٢ / ٤٧٥).

(٤) ابن ماجه، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، (ح ٢٠٤٥)، (٦٥٩/١)، صححه الألباني.

(٥) مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، (٤٩١/١).

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ. الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ هَوًى وَلَعِبًا وَعَرَّتِهِمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾. [الأعراف: ٥١].

قال السعدي: "فاللوم ننسأهم) أي: نتركهم في العذاب، كما نسوا لقاء يومهم هذا، فكأنهم لم يخلقوا إلا للدنيا، وليس أمامهم عرض ولا جزاء"^(١)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

قال الطاهر: "قالمعنى: نسوا دين الله، وميثاقه الذي واثقهم به، وقد أطلق نسيانهم على الترك، والإعراض عن عمد، أي فنسوا دلائل توحيد الله، ودلائل صفاته ودلائل صدق رسول الله ﷺ، وفهم كتابه، ومعنى (أَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) أن الله لم يخلق في مداركهم التفطن لفهم الهدى الإسلامي، فيعملوا بما ينجيهم من عذاب الآخرة، ولما فيه صلاحهم في الدنيا، إذ خذلهم بذبذبة آرائهم، وأشعر فاء التسبب بأن إنساء الله إياهم أنفسهم مسبب على نسيانهم دين الله، أي لما أعرضوا عن الهدى بكسبهم وإرادتهم عاقبهم الله بأن خلق فيهم نسيان أنفسهم"^(٢)، وقال ﷺ: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الجاثية: ٣٤].

"لما أودعوا جهنم وأحاطت بهم نودوا (الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ) إلى آخره تأبيسا لهم من العفو عنهم، والكاف في (كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ) للتعليل كما في قوله تعالى (وَأذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ) أي جزاء نسيانكم هذا اليوم، أي إعراضكم عن الإيمان به"^(٣).

وقال ﷺ: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

"أي يقال للمجرمين، الذين ملكهم الذل، وسألوا الرجعة إلى الدنيا، ليستدركوا ما فاتهم، قد فات وقت الرجوع ولم يبق إلا العذاب، فذوقوا العذاب الأليم، بما نسيتم لقاء يومكم هذا، وهذا النسيان نسيان ترك،

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (٢٩٠/١).

(٢) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (١١٢/٢٨).

(٣) المرجع السابق، (٣٧٤/٢٥).

أي: بما عرضتم عنه، وتركتم العمل له، وكأنكم غير قادمين عليه، ولا ملاقوه، (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) أي: تركناكم في العذاب، جزاء من جنس عملكم، فكما نسيتم نسيتم^(١).

وقال ﷺ: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [طه: ٢٦].

ومعنى قوله تعالى: (فَنَسِيَتْهَا) أي بإعراضك عنها (وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى) أي: تترك في العذاب، فأجيب، بأن هذا هو عين عملك، فكما عميت عن ذكر ربك ونسيته ونسيت حظك منه، أعمى الله بصرك في الآخرة، فحشرت إلى النار أعمى، أصم، أبكم، وأعرض عنك، ونسيك في العذاب^(٢).

المطلب الثاني: حكم النسيان ونهي الله تعالى عنه

أولاً: حكم النسيان:

النسيان مرض يصيب القلب يصرفه عن واجباته، فإذا كان الأمر المنصرف عنه من واجبات الدين، أو أوامر الشرع التي ألزم الشرع المكلف فعلها، فهو نسيان، وترك لفعل أمر واجب، وقد يتدرج المكلف في ترك الواجبات وفعل المنكرات، ونسيانها، والتغافل عنها، والاستهانة بها حتى يقع في فعل الكبائر المهلكة، وحينئذ يأخذ النسيان حكمها.

وإثم المكلف الناسي إنما يكون إذا كان نسيانه، وانشغاله عن عمد منه، واستهانة بأمر الشرع، وترك لها، وانصراف عنها إلى غيرها.

قال ابن حجر: "قُلْتُ: مَحَلُّ عَدَمِ تَكْلِيفِ النَّاسِي، وَالْعَافِلِ حَيْثُ لَمْ يَنْشَأِ النَّسِيَانُ، وَالْعَفْلَةُ، وَالْجَهْلُ عَنِ تَقْصِيرِهِ، وَالْأَنَّ كَانَ مُكَلَّفًا آثِمًا"^(٣).

وقال الراغب الأصفهاني: "وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد"^(٤).

ومن القسم الأول: الذي لا إثم فيه لكون الناسي لم يتعمد النسيان، ولم يصر عليه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ [يوسف: ٤٢].

(١) تفسير السعدي، (٦٥٤/١)

(٢) انظر: المرجع السابق، (٥١٦/١).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر العسقلاني، (٣ / ٢٥٢).

(٤) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة: (نسي)، (ص ٤٩١).

كما جاء هذا النسيان في اعتذار فتى موسى عليه السلام حين قال: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ﴾ [الكهف: ٦٣]، وفي اعتذار موسى عليه السلام للخضر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٣]، ومن هذا القبيل نسيان آدم عليه السلام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

وقد شرع الله تعالى لنا ما يمكن أن نستدرك به بعض ما فرط منا بسبب النسيان كما في قوله ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٢٤].

أي بذكر الله عند النسيان لأنه يزيله، ويُذكر العبد ما سها عنه، وكذلك يؤمر الساهي الناسي لذكر الله، أن يذكر ربه، ولا يكون من الغافلين^(١).

وعلى معنى التكليف والمواخظة آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨]. وقوله جل شأنه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

قال الطاهر: "والنسيان مراد به الإهمال المفضي إلى النسيان غالبًا، وقد جمعت الآية من الدلائل على قلة اكتراثهم بالدين ورقة اتباعهم"^(٢).

وهذا شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم، وشامل لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوقفوا للقيام بما أمروا به، فكل من لم يقم بما أمر الله به كان له نصيب من اللعنة، وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذكر به، وأنه لا بد أن يبتلى بالخيانة^(٣).

ففي هذا يكون المكلف مؤاخذاً؛ لأنه تعمد النسيان، والانشغال عن أمر الانتباه له واجب، ولذلك نرى أن النسيان اقترن في الآية الأولى بالكفر بالله تعالى، والضلال، واقترن في الآية الثانية بنقض الميثاق، وتحريف الكلم عن مواضعه، والخيانة.

(١) انظر: تفسير السعدي، (٤٧٤/١).

(٢) التحرير والتنوير، (١٤٢/٦).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (٢٣٥/١).

ومثله قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ
بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

"أي تركوا ما ذكروا به، واستمروا على غيهم واعتدائهم"^(١). ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ
إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

"والنسيان منهم مستعار للإشراك بالله، أو للإعراض عن ابتغاء مرضاته، وامتنال ما أمر به، لأن الإهمال، والإعراض يشبه نسيان المعرض عنه"^(٢)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

"ومعنى نسيان ما قدمت يداه أنه لم يعرض حاله وأعماله على النظر والفكر ليعلم أهي صالحة لا تخشى عواقبها أم هي سيئة من شأنها أن لا يسلم مقترفها من مؤاخذة، والصلاح بين والفساد بين، والنسيان: مستعمل في التغاضي عن العمل، ومعنى (مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ما أسلفه من الأعمال وأكثر ما يستعمل مثل هذا التركيب في القرآن في العمل السيء، فصار جاريا مجرى المثل، قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ كَيْسَ بَظُلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [الحج: ١٠]"^(٣).

وقد يكون هذا النسيان المذموم بسبب الاشتغال بالمحرمات، والمباحات حتى يهمل الإنسان الواجبات: كقوله ﷻ: ﴿ فَاتَّخَذُواهُمُ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [النجم: ٦٠]. وهذا الذي أوجب لهم نسيان الذكر اشتغالهم بالاستهزاء بهم، كما أن نسيانهم للذكر يحثهم على الاستهزاء، فكل من الأمرين يمد الآخر، فهل فوق هذه الجراءة جراءة؟"^(٤).

وقوله ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَقُولُ أَأُنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هُوَ لَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا
بُورًا ﴾ [الفرقان: ١٧-١٨].

(١) تيسير الكريم الرحمن ، (٢٥٦/١).

(٢) التحرير والتوير ، (٢٥٣/١٠).

(٣) المرجع السابق ، (٣٥٤/١٥).

(٤) تيسير الكريم الرحمن ، (٨٢٢/١).

"(حَتَّى نَسُوا الذُّكْرَ) اشتغالاً في لذات الدنيا وانكباباً على شهواتها، فحافظوا على دنياهم وضيعوا دينهم (وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) أي: بائرين لا خير فيهم ولا يصلحون لصالح، لا يصلحون إلا للهلاك والبور، فذكروا المانع من اتباعهم الهدى وهو التمتع في الدنيا الذي صرفهم عن الهدى، وعدم المقتضي للهدى"^(١).

ومن الأدلة على أن النسيان المتعمد من الصفات المذمومة شرعاً، أنه جاء في آيات القرآن الكريم مقترناً بصفات أخرى لها علاقة بهذا المرض، ولها ارتباط وثيق به، ورد ذكرها في القرآن على سبيل الذم؛ فقد جاء مقترناً بـ: الكفر، والتكذيب، وعدم الإيمان، والتكبر، والجحود، والإعراض، والضلال، والظلم، ونسيان ذكر الله تعالى، ونسيان اليوم الآخر وما يكون فيه من الحساب، واللهو، واللعب، والتفريط، وحب الحياة الدنيا، وغير ذلك من مهلكات الأمور.

وأغلب هذه المواطن التي ذم الله تعالى فيها الناس إنما وردت في سياق الحديث عن الكفار والمنافقين، ولم ترد في سياق وصف المؤمنين، مما يدل على أن المؤمن لا ينبغي له أن يتصف بصفات الكفار والمنافقين.

ثانياً: نهى الله تعالى عن النسيان:

نظراً إلى أن النسيان من الأمراض الخطيرة التي تमित القلب، وتجعل عاقبة العبد سيئة، نهى الله تعالى عباده المؤمنين من الوقوع فيه، وحذرهم من التلبس به، وأمرهم بالانتباه له، وأمرهم بذكره تعالى إذا اعتراهم النسيان.

قال تعالى محذراً عباده المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

وامتنَّ على عبده ونبيه عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى: ﴿سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ [الأعلى: ٦-٧].

(١) تفسير السعدي، (١/٥٨٠).

قال الرازي: "والمعني سنقرئك إلى أن تسير بحيث لا تتسى وتأمين النسيان"^(١)، وقال السعدي: "أي سنحفظ ما أوحينا إليك من الكتاب ونوعيه قلبك فلا تتسى منه شيئاً، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد ﷺ أن الله سيعلمه علماً لا ينساه"^(٢).

المطلب الثالث: عاقبة النسيان:

وأما عاقبة النسيان فسيئة للغاية وأمره خطير جداً، لأنه ينتهي بصاحبه إلى العذاب الأليم بل يصل أمره لنسيان الله تعالى له، ولم يوصف قلب المؤمن بالنسيان في معرض الذم وإنما ورد إشفاق المؤمنين منه وسألوا الله تعالى عدم المؤاخظة عند النسيان قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِرْسَارَ مَا كُنَّا حَامِلِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦].

قال السعدي: "والفرق بينهما: أن النسيان، زهول القلب عن ما أمر به فيتركه نسياناً، والخطأ، أن يقصد شيئاً يجوز له قصده ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله، فهذان قد عفا الله عن هذه الأمة ما يقع بهما رحمة بهم وإحساناً"^(٣).

(١) مفاتيح الغيب للرازي، (١٣٠/٣١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي، (٩٢٠/١).

(٣) المرجع السابق، (١٢٠/١).

المبحث الثالث

أسباب النسيان في القرآن الكريم

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الشيطان

المطلب الثاني: الكفر والنفاق

المطلب الثالث: الظلم

المطلب الرابع: الفسوق والفساد والعصيان

المطلب الخامس: الغرور بالحياة الدنيا

المطلب السادس: الضلال

المبحث الثالث

أسباب النسيان في القرآن الكريم

الغفلة والنسيان من أمراض القلوب، التي نفاها الله ﷻ عن نفسه، وحذر عباده من الوقوع فيها، وتشارك في الكثير من الأسباب، والآثار، وطرق العلاج، وهي كذلك متداخلة يؤدي بعضها إلى بعض، وللنسيان أسباب كثيرة ومتعددة، يتمثل أهمها فيما يلي:

المطلب الأول: الشيطان

شَطَن: الشَطَن الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به، وشَطنت الدار إذا بعدت، وغزوة شطون أي بعيدة، والشَطَن مصدر شَطَنه يشَطُنه إذا خالفه عن نيته ووجهه، وبئر شَطون إذا استقي ماؤها بجبلين لعوج فيها، وحرب شَطون عسرة شديدة، ورمح شَطون طويل أعوج، وأشطن أبعد، والشيطان كل عات متمرّد من الإنس والجن والدواب^(١).

إن وسوسة الشيطان في قلب ابن آدم من أهم الأسباب التي تنتهي عن الحق وتجعله متشرّبا بالأمراض، وقد توعد الشيطان ابن آدم بأن يجتهد في غوايته، ويقعد له في كل طريق يقوده إلى الخير حتى يكفه عنه، والأخطر من ذلك أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، وأوتي من أسباب الغواية والإضلال ما الله أعلم به، وقد بين القرآن الكريم ذلك كله بياناً شافياً كافياً، وقص علينا ما يكون من الشيطان في الدنيا وما يتبرأ به منا في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَّا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْيَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ [الأنفال: ٤٨].

إن أحد أهم أسباب النسيان في القرآن الكريم الشيطان، وخطورة هذا السبب على المؤمنين أنه غير مختص بالكفار والمنافقين، فهو يوسوس لكل أحد، وانشغاله بالمؤمنين أكثر من انشغاله بالكفار والمنافقين.

(١) انظر: معجم العين، للفراهيدي، (ص ٤٧٩)، مجمل اللغة، لابن فارس، (٢/٥٠٢)، المحيط في اللغة، للصاحب بن

عباد، (٣٠٤/٧)

ويتسبب الشيطان في النسيان في خمسة مواطن من القرآن الكريم، بيّن الله تعالى فيها أن الشيطان يُنسي ابن آدم، وأغلب هذه المواطن خاصة بوقوع بعض الأنبياء في النسيان:

الموضع الأول: ما ورد في قصة أبينا آدم عليه السلام مع إبليس في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

في هذا الموضع لم يرد التصريح بأن سبب النسيان هو الشيطان، بل نسب النسيان إلى آدم عليه السلام، وقد أشار القرآن إلى ذلك في مواطن أخرى كثيرة منها قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُوءُ * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهَا سَوْءَاتُهَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢٠-١٢١].

الموضع الثاني: ما ورد في قصة يوسف عليه السلام عندما سجن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

لما ظن يوسف، عليه السلام، نجاة أحدهما -وهو الساقى- قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم، (اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ) أي: اذكر قصتي عند ربك -وهو الملك- فنسى ذلك الموصى أن يُذكَرَ مولاه بذلك، وكان ذلك من جملة مكائد الشيطان، لئلا يخرج نبي الله من السجن، الصواب أن الضمير في قوله: (فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ) عائد على الناجي، كما قال مجاهد، ومحمد بن إسحاق وغير واحد^(١).

الموضع الثالث: ورد في قصة موسى عليه السلام مع فتاه ومع الرجل الصالح في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٢-٦٣].

ثم يعتذر الفتى عما بدر منه من نسيان الحوت، ويقول: ﴿وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣] فالشيطان هو الذي لعب بأفكاره وخواطره حتى أنساه واجبه، وأنساه ذكر الحوت^(٢).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤ / ٣٩١).

(٢) تفسير الشعراوي، (١٤/٨٩٥٢).

الموضع الرابع: ما ورد خطاباً للنبي ﷺ ولأمته في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٨-٦٩].

قال ابن كثير: "قوله تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا) أي: بالتكذيب والاستهزاء، (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ) أي: حتى يأخذوا في كلام آخر غير ما كانوا فيه من التكذيب، (وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ)، والمراد بهذا كل فرد من آحاد الأمة، ألا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات الله ويضعونها على غير مواضعها، فإن جلس أحد معهم ناسياً (فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى)، بعد التذکر (مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)"^(١).

الموضع الخامس: خاص بالمنافقين ومعهم الكافرين، وهو مذكور في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

المطلب الثاني: الكفر والنفاق

الكفر والنفاق من أمراض القلوب، وهما أيضا من أعظم أسباب النسيان، لأنهما مصدر كل مرض، ومنبع كل بلية، وأصل كل فتنة، وقد جمعنا بينهما في هذا المطلب، لأن معظم الأمراض في القرآن الكريم إنما نسبت إلى الكفار والمنافقين.

قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ * وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ مُّعْتَمِدٌ﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨].

"يقول تعالى منكرًا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كان هؤلاء (يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) أي: عن الإنفاق في سبيل الله، (نَسُوا اللَّهَ) أي: نسوا ذكر الله، (فَنَسِيَهُمْ) أي: عاملهم"^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٣ / ٢٧٨).

(٢) تفسير ابن كثير، (٤ / ١٧٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].

وفي هذه الآية نلاحظ أن المعنى يتوقف على صفة الكفر التي ذيلت بها الآية في قوله تعالى: (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا)، فهذا الكفر هو السبب الأساس في الانحراف عن جادة الطريق، ونسيان نعمة الله تعالى في حال الرخاء.

المطلب الثالث: الظلم

الظلم داء خطير لا بد من تجنبه لأنه يورد صاحبه في مهالك الردى، يعمي القلب، ويصد عن الحق، ويتسبب في النسيان الشديد، وصاحبه غافل عن عبادة ربه، ناس لوعده ووعدته، منهمك في ظلم الناس والاعتداء عليهم.

وهو من أهم وأعم أسباب أمراض القلوب، ومن أخطر أسباب النسيان، وقد اقترن الظلم بالعديد من الأمراض والصفات الذميمة شرعاً، ووصف الكفار، والمشركون بالظلم، ووصف المنافقون بالظلم، ووصف المتكبرون، والمستهزئون بالظلم، وما من معصية إلا وصف صاحبها بأنه ظلم نفسه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِقَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

"قوله تعالى: (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) أي: فلما أبى الفاعلون المنكر قبول النصيحة، (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) أي: ارتكبوا المعصية (بِعِقَابٍ بَيِّسٍ) فنص على نجات الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل"^(١).

والظلم يورث القلب النفاق، ويجعل عليه طبقة من الران وهي الصدأ، عن أبي ذر قال، يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: "يا عبادي ! إنني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا..."^(٢)

(١) تفسير ابن كثير، (٣/ ٤٩٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، (ح ٦٥٧٢)، (ص ١١٢٩).

المطلب الرابع: الفسوق والفساد والعصيان

الفسوق والفساد والعصيان صفات متلازمة يقود بعضها إلى الآخر، وهناك علاقة قوية وتداخل بين هذه المصطلحات فيما بينها وكذلك هي داخلة في الظلم لأنه أعم منها جميعاً، وإن كان الفسوق أيضاً عام، لأنه في عمومته يعني الخروج عن حجر الشرع، وبعض هذه الأمراض يقود إلى بعض ويؤثر فيه.

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وما قيل في تسبب الظلم في النسيان يقال كذلك في الفسوق والعصيان، لأنهما من أخطر أنواع الظلم، فلا غرو إذن أن تتكرر هذه الآية في هذا الموضع وتحت هذا السبب.

قال أبو السعود: "وتتكرر العذاب للتفخيم والتهويل (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) ... أي أخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان أيضاً"^(١).
وقال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

وهذه الآية أيضاً تقدمت عند الحديث على النفاق وتسببه في النسيان، لأن النفاق من الفسوق الذي هو الخروج عن الطاعة والانقياد لله تعالى، وحجر الزاوية في المسألة يدور على الفسوق الذي ختمت به الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

وقال تعالى محذراً المؤمنين من مشاكلة الفاسقين: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

المطلب الخامس: الغرور بالحياة الدنيا

"الدنيا مشتقة من الفعل (دنا) بمعنى قرب وسميت دنيا لدنوها، ولأنها دنت وتأخرت الآخرة، والدنيا نقيض الآخرة، وجمعها دنى، وهي اسم لهذه الحياة لبعدها الآخرة عنها"^(٢)، "ويطلق مسمى الحياة الدنيا على هذه الأرض البسيطة التي جعلت قراراً للخلق، تخرج منها أقاتهم ويدفن فيها موتاهم"^(٣).

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود، (٣ / ٥٩).

(٢) لسان العرب، لابن منظور، مادة دنى، (٢٧٢/١٤).

(٣) صيد الخاطر، لابن الجوزي، (ص ٢٧).

إن من شر الأمور ومن الأمراض الشائعة، حب الدنيا والاهتمام بها اهتماماً ملحوظاً على حساب الآخرة لذلك فإن أغلب الشهوات والشبهات وارتكاب المعاصي، إنما يكون بسبب حب الحياة الدنيا حباً يسيطر على القلب حتى يعميه ويجعله لاهياً غافلاً عما خلق من أجله، والكسب إنما يكون من أجل الحياة الدنيا أو الحياة الآخرة، أو من أجلهما، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنَّ نَظْنَ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُصْتَفِينَ * وَبَدَأَ هُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ * ذَلِكَ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرِجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الجاثية: ٣١-٣٥].

هذا سياق مطول بين الله تعالى فيه كيف تسبب الغرور بالحياة في الكثير من الأمراض؛ فقد بدأ السياق بالحديث عن الكفر الذي هو الصفة الأساس لمن اتصف بهذه الأمراض، ثم ذكر من صفات الكافرين: الاستكبار والإجرام، والمجادلة بالباطل مع سوء الظن، والاستهزاء، ونسيان اليوم الآخر وما يحصل فيه من العقاب الأليم للذين كفروا، ثم قال تعالى: (ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا)، فجعل سبحانه وتعالى اتخاذ آيات الله هزواً وغروراً بالحياة الدنيا سبباً لكل هذه البلايا.

عن أبي سعيد الخدري قال، قال النبي ﷺ: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء"^(١).

المطلب السادس: الضلال:

هناك علاقة بين الضلال والنسيان من حيث المعنى اللغوي، حيث يطلق الضلال ويراد به النسيان ويراد به كذلك الغفلة والخطأ.

قال ابن منظور: "وأصل الضلال الغيبوبة، وضلَّ الناسي إذا غابَ عنه حفظه. قال: والضلال النسيان، وفي التنزيل العزيز: ﴿مَنْ تَرَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢]، أي تَغيب عن حِفْظها أو يَغيب حِفْظها عنها"^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء، (ح٦٩٤٨)، (ص ١١٥٣).

(٢) لسان العرب لابن منظور، مادة: (ضلال) (ص ٥٧).

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [الزمر: ٨].
ارتبط الضلال في هذه الآية بالإضافة لنسيان نعمة الله تعالى بجعل الأنداد لله تعالى، ومن ثم الكفر.

"(ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ) الله (نِعْمَةً مِّنْهُ) بأن كشف ما به من الضر والكربة، (نَسِيَ- مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ) أي: نسي ذلك الضر الذي دعا الله لأجله، ومر كأنه ما أصابه ضر، واستمر على شركه"^(١).

وقد اقترن النسيان بالضلال وبصفات أخرى في سياق طويل في بيان عاقبة وخسران الضالين المكذابين الظالمين في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴾ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٥-١١٠].

"هذا تقرير من الله تعالى لأهل النار، وتوبيخ لهم على ما ارتكبوا من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم، التي أوبقتهم في ذلك، فقال: (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ) أي: قد أرسلت إليكم الرسل، وأنزلت الكتب، وأزلت شبهكم، ولم يبق لكم حجة تدلون بها"^(٢).

تعرفنا في هذا المبحث على أهم أسباب النسيان والتي تتمثل في الشيطان، الكفر والنفاق، الظلم، الفسوق الفساد والعصيان، الغرور في الحياة الدنيا، الضلال.

(١) تفسير السعدي، (١ / ٧٢٠).

(٢) تفسير ابن كثير، (٥ / ٤٩٨).

المبحث الرابع

آثار النسيان في القرآن الكريم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ما يترتب على نسيان الله تعالى ونسيان ذكره

المطلب الثاني: آثار النسيان من خلال قصص الأنبياء:

- أولاً: آثار النسيان من خلال قصة آدم عليه السلام مع إبليس
- ثانياً: آثار النسيان من خلال قصة يوسف عليه السلام
- ثالثاً: آثار النسيان من خلال قصة موسى مع فتاه والرجل الصالح

المبحث الرابع

آثار النسيان في القرآن الكريم

المطلب الأول: ما يترتب على نسيان الله تعالى ونسيان ذكره:

ذكر القرآن الكريم في بعض الآيات أن الكفار والمنافقين نسوا الله تعالى وغفلوا عن ذكره، مع أن الله تعالى هو المنعم على عباده وهو القائم بكل شيء، وقد نجم عن ذلك النسيان، والغفلة عن ذكر الله تعالى آثار خطيرة، وعواقب وخيمة، تتمثل في ترك الله تعالى لهم، وحلول اللعنة عليهم، وخلودهم في العذاب المقيم، ومن ثم الخسران المبين، بل ترتب على ذلك أن أنساهم الله أنفسهم من أن يعملوا لخلاصها من العذاب المقيم، وفي الدنيا أغرى بينهم العداوة والبغضاء، وألبسهم شيعًا، وأذاق بعضهم بأس بعض، وقد صورت الآيات القرآنية هذه الآثار والعواقب في مشاهد حية، وصور موحية، بأساليب متنوعة فيها تحذير، ووعيد شديد، وترغيب، وترهيب.

قال تعالى: ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٧-٦٨].

أول هذه الآثار: نسيان الله تعالى لهم، والله تعالى لا ينسى، ولكنه سبحانه تركهم في العذاب عن عمد، والتعبير عنه بالنسيان للمشكلة^(١).

والثاني: حلول العذاب الأليم، والطرده من رحمة الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: (وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ) أي: على هذا الصنيع الذي ذكره عنهم، (خَالِدِينَ فِيهَا) أي: ماكنين فيها مخلدين، هم والكفار، (هِيَ حَسْبُهُمْ) أي: كفايتهم في العذاب، (وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ) أي: طردهم وأبعدهم، (وَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)^(٢).

والثالث: أنه تعالى أنسى هؤلاء المنافقين، ومعهم الكافرين أنفسهم أن يعملوا لخلاصها بطاعة الله تعالى، واتباع أمره، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٣ / ١٨٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤ / ١٧٢-١٧٣).

[الحشر: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

صرحت الآية السابقة بالأثر الذي ترتب على نسيان ذكر الله تعالى، وهو أن العذاب الأليم قد حل بالفريق الثاني

والإعراض عن ذكر الله تعالى مثل نسيانه، بل هو أسوأ منه؛ لأنه ينطوي - مع الترك المتعمد - على المحادة والمجادلة بغير الحق، والتمادي في الظلم والإصرار عليه، وفيه كذلك الذهول والغفلة عن هذه الأفعال المنكرة، وعدم المبالاة بالعواقب، ولذلك جاء وصف ظلمه بعبارة (وَمَنْ أَظْلَمُ)، وهو ما جعل الآثار المترتبة عليه أكثر وأخطر.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [الكهف: ٥٧].

أظهرت الآية السابقة وصف دقيق، وأسلوب بديع، جاء في شكل جوامع كلم، ومقاطع، يدل كل مقطع منها على سبب أو أثر، فقوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ)، أي: وأي عباد الله أظلم؟ ولا ظلم أعظم.

وقوله: (ذُكِّرَ) هو مع أنه لم يذكر وحده ولكنه ذكر، يعني: تولى الله سبحانه تذكيره بهذه الكتب والمواعظ، والترغيب، والترهيب. وقوله: (بِآيَاتِ رَبِّهِ)، لم يكن التذكير بأي شيء بل هو بآيات ربه، يعني: بالدلائل والبراهين الساطعة البينة التي لا تترك في النفس شكًا ولا ريبًا، ومع ذلك: (فَأَعْرَضَ عَنْهَا)، النسيان والترك مرحلة أولية، أما الإعراض ففيه معنى الترك على سبيل المحادة، وهو لم يكتف به بل تجاوزه إلى أنه: (وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ). ثم تأتي الآثار السالبة التي ترتبت على ذلك كله، وهي آثار بعضها في الدنيا وبعضها في الآخرة، فقال تعالى: (إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا)، لأنه تعالى ذكرهم ورجبهم ورهبهم فلم ينفذ ذلك، وتظهر المحادة والإصرار على الذنب في قوله تعالى (وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا)، انظر إلى النفي ب(لن)، و(أبدًا)، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَلَّمْنَا آيَاتِ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ * يَوْمَ يَعْتَنِيهِمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾^(١) [المجادلة: ٥-٦].

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، (٣٠٩/٣)

ومن الآثار المترتبة على الإعراض عن ذكر الله تعالى في الدنيا والآخرة: المعيشة الشاقة، والمعاناة والضيق، والضعف، والعمى، والصمم والبكم في الآخرة لمن عمي في الدنيا، والتهديد بالعذاب الأليم يوم القيامة، كل هذه الآثار المذكورة في قول الله تعالى: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

وكذلك مما يترتب على نسيان ذكر الله تعالى قساوة القلوب، وموتها فهي من آثار النسيان على القلوب بالإضافة إلى الطبع، والختم وجعل الأكنة: قسوة القلب، وهو وصف أخطر من الأوصاف السابقة؛ لأن القلب القاسي هو الميت الذي لا حياة فلا يعرف ربه ولا يعبد به بأمره وهو الجامد الذي ليس فيه خير البتة^(١).

وهذا الوصف في القرآن الكريم خاص بقلوب الكفار دون غيرهم، ولم يشترك المنافقون معهم فيه، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقُضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة: ١٣].

قال المراغي: "قاسية يابسة غليظة تنبو عن قول الحق"^(٢).

وقال البيضاوي "وجعلنا قلوبهم قاسية لا تتفعل عن الآيات والنذر، وقرأ حمزة والكسائي (قسية) وهي إما مبالغة قاسية أو رديئة، من قولهم درهم قسي إذا كان مغشوشا"^(٣).

فبسبب أنهم نسوا ذكر الله تعالى فنقضوا عهده لهم وبدلوا كلام الله، وهذا من أعظم الخيانة، أصابهم الله تعالى بقسوة القلب وموته.

هكذا يظهر لنا من خلال سياق الآيات القرآنية أن الحديث عن هذه الأوصاف خاص بالمنافقين والكفار، غير أن الدرس الذي ينبغي أن يعيه المؤمن ولا ينبغي له أن يغفل عنه، هو أن

(١) انظر: مرض القلوب وشفائها، لابن تيمية وابن القيم، (١٠/٣١٠).

(٢) تفسير المراغي، (٦/٧٣).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، (٢/١١٩).

على المؤمن أن يبحث عن قلبه بين هذه الأوصاف، ويجد له محلاً بينها، فإما أن قلبه سليماً، أو يكون مريضاً أو مطبوعاً عليه.

المطلب الثاني: آثار النسيان من خلال قصص الأنبياء:

أولاً: آثار النسيان من خلال قصة آدم عليه السلام مع إبليس

ورد ذكر قصة أبينا آدم عليه السلام مع إبليس عليه اللعنة في القرآن الكريم في مواطن عديدة، ذكر الله تعالى فيها خَلَقَ آدم وأمره الملائكة بالسجود له تشريفاً وتكريماً، وبين عداوة إبليس لبني آدم ولأبيهم منذ القدم، وقد نسب فيها النسيان إلى أبينا آدم عليه السلام وذلك بفعل وسوسة الشيطان الرجيم، وهو نسيان جاء وفق أمر الله القدري، لحكمة أرادها الله تعالى^(١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "حاج موسى آدم، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر قد كتبه الله عليّ قبل أن يخلقني أو: قدره الله عليّ قبل أن يخلقني - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فحج آدم موسى"^(٢).

قال تعالى في شأن هذه القصة: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ نَسِيهِ وَلمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ الآيات: إلى أن قال: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَى﴾ [طه: ١١٥-١٢٧]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٤-٢٥].

وترتب على النسيان وعدم الصبر على العهد والمحافظة عليه، والتمسك به، ومن ثم الوقوع في المعصية آثار كثيرة، أول هذه الآثار المذكور في قوله تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهَا سَوْءَاتُهَا وَطِيفَا بِحُصْفَانٍ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١].

ثم يأتي الأثر الأساس الذي يكشف لنا أمر الله الكوني وحكمته من إخراج آدم وحواء من الجنة واستخلافهما مع أبنائهما في الأرض وابتلائهم بالخير والشر. قال: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٥ / ٣٢١).

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب واصطنعتك لنفسي، (ح ٤٧٣٦)، (ص ٩١٦).

وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿البقرة: ٣٦﴾ أي: قرار وأرزاق وآجال (إلى حين) أي: إلى وقت مؤقت ومقدار معين، ثم تقوم القيامة^(١).

ثانياً: آثار النسيان من خلال قصة يوسف عليه السلام:

قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام عندما سجن: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

والآثر الذي ترتب على هذا النسيان الذي وقع فيه الساقى هو مكوث نبي الله يوسف عليه السلام في السجن بضع سنين طبقاً لنص الآية القرآنية، وللوهلة الأولى قد يظهر للقارئ أن يوسف وقع في غفلة عوقب بناء عليها بالبقاء في السجن؛ ولكن بالنظر إلى القصة من أولها - أعني قصة يوسف مع إخوته - إلى آخرها يظهر لنا الأمر الكوني الذي أراده الله لبني إسرائيل على يد يوسف عليه السلام، وتلك الرؤيا التي رآها يوسف في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. ما كان لها أن تتحقق لو تخلف أي فصل من فصول هذه القصة على طولها، ولتنفيذ هذا الأمر الذي قدره الله تعالى وقع الكيد من أخوة يوسف فألقوه في الجب، ولذات السبب التقطه السيارة ودخلوا به مصر فباعوه للملك بثمان بخرس، فابتلي في بيت الملك بامرأته فصرف الله عنه الكيد كله وأدخل السجن، وفي السجن جاء تأويل الرؤيا التي سيكون لها فيما بعد شأن عظيم أو يكون الشأن ليوسف ومن بعده لبني إسرائيل، حيث يكون هذا التأويل مدخلاً ومقدمة لتأويل رؤيا الملك فيما بعد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣].

فيتذكر الساقى يوسف بعد ما نسي أمره سنوات طويلة، وما كان للشيطان أن ينسيه في هذه المرة أبداً؛ لأن الأمر منطوق على أمر قدره الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ * يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ [يوسف: ٤٥-٤٦].

وبعد تأويل الرؤيا الصادقة يأتي الفرج، ويأتي اليسر، ويخرج يوسف من محنته التي جعلها الله تعالى خيراً له ولأبويه، ولإخوته، ولأهله جميعاً فيتولى خزائن الأرض، ومن هنا يظهر لنا أن النسيان الذي حصل في هذا الموضع ترتب عليه آثار حسنة وحميدة، كيف وقد وقع من نبي وابن نبي عليهما السلام.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (١ / ٢٣٦).

ثالثاً: آثار النسيان من خلال قصة موسى مع فتاه والرجل الصالح:

قال تعالى في قصة موسى عليه السلام مع فتاه: ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [الكهف: ٦٢-٦٤].

"وضم حفص الهاء في (أَنسَانِيهِ) وهو قليل في مثل هذا التركيب قلة النسيان في مثل هذه الواقعة... وفي إثبات أن والفعل على المصدر نوع مبالغة لا تخفى"^(١)، فناسب الضم قوة الحركة وهي الضمة مناسبة لقوة النسيان، وندرة هذه الحركة في مثل هذه الموطن مناسبة لندرة النسيان في مثل هذا الموطن.

والأثر الذي ترتب على النسيان في هذا الموضع هو المشقة والتعب، فقد قطع موسى وفتاه مسافة ليست بالقصيرة، وكان بالإمكان أن يجدا الرجل الصالح قبل مجاوزة مجمع البحرين، ولكن نظراً لنسيان يوشع وعدم انتباهه سار موسى مسافة أخرى، أحس فيها بالتعب والنصب، ولما أراد أن يأخذ راحة ويأكل، تفاجأ بعملية النسيان التي ترتب عليها كل هذا النصب، وزاد الأمر مشقةً وتعباً أن عليهما أن يرجعا هذه المسافة ويقطعاها مرة أخرى ليجدا الرجل الصالح، ولذلك قال: (فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا).

ثم قال تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [الكهف: ٧٢-٧٣].

ويظهر لنا أثر النسيان الأول أنه عقاب من الله تعالى على الهفوة التي وقع فيها موسى عليه السلام؛ لأن قصة الخروج في طلب علم الرجل الصالح كلها منظوية على ذلك.

وأثر النسيان الثاني الذي وقع من موسى عليه السلام عندما سحب الخضر أنه حرم علماً كثيراً وحكمة، لأنه لو صبر مع الخضر لحصل له علم كثير^(٢)، يدل على ذلك قول النبي ﷺ في آخر الحديث: "وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خيرهما"^(٣).

(١) روح المعاني، (١٥/٣٣٥).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٥ / ١٧٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير سورة الكهف، باب "وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح"، (ح ٤٧٢٥)، (ص ٩٠٩).

ملاحظة:

لم أتحدث في هذا الفصل عن موضوع علاج النسيان وذلك نظرًا للترابط الشديد بين الغفلة والنسيان من حيث العلاج لذلك سأحدث عن علاج كل منهما في الفصل الأخير إن شاء الله تعالى.

الفصل الثالث

أسباب الغفلة وخطرها وآثارها ومظاهرها في حياتنا المعاصرة

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أسباب الغفلة

المبحث الثاني: خطر الغفلة

المبحث الثالث: آثار الغفلة ومظاهرها في حياتنا المعاصرة

المبحث الأول

أسباب الغفلة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسباب فطرية لا علاقة للإنسان بها

المطلب الثاني: أسباب مكتسبة تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الكفر بالله وعدم الإيمان به

المسألة الثانية: الاستكبار

المسألة الثالثة: الرياء

المطلب الثالث: ضلال السعي في الحياة الدنيا

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: الظلم

المسألة الثانية: الجهل

المسألة الثالثة: اتباع الهوى واللهو والتفريط

المسألة الرابعة: إثارة الحياة الدنيا

المطلب الرابع: خلل في الطاعة والاتباع

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: عدم طاعة الله وعبادته

المسألة الثانية: اتباع الشيطان وحزبه

المسألة الثالثة: الغفلة عن مكر الله

المسألة الرابعة: صحبة الغافلين جلساء السوء

المسألة الخامسة: اتباع النفس الأمانة بالسوء

المسألة السادسة: اتباع المعاصي

المبحث الأول

أسباب الغفلة

مقدمة:

سنتحدث في هذا المبحث - إن شاء الله تعالى - عن أسباب الغفلة، وكما نعلم فأسباب الغفلة عديدة، وأحببنا أن نوضحها من أجل أخذ الحيطة والحذر من الوقوع فيها، وذلك لأجل النجاة يوم القيامة من عذاب الله، والفوز برضوانه والجنة، ولم لا نكون مثل حذيفة بن اليمان الذي كان يسأل الرسول ﷺ عن الشر، مخافة أن يصيبه، فقد روى أبو إدريس الخولاني^(١) أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم..."^(٢).

يقول ابن الجوزي في الحديث عن الغفلة، وأسبابها، وكيفية تجنبها: "أعظم الأسباب في توليد الغفلة أمران: أحدهما امتلاء البطون، والآخر معاشررة البطالين. فعليك بالرجوع والعزلة إن أردت العتق من رق الغفلة. إذا أردت أن يعتزلك الناس فاصمت عن محادثتهم فإن أكثر مواصلات الناس بينهم بالكلام، فمن صمت منهم اعتزلوه.

لا أضر على العبد من أمرين: غفلته عن ذكر الله، ومخالفته لأمر الله. الغفلة تحرم الربح والمعصية توجب الخسران، الغفلة تغلق أبواب الجنة والمعصية تفتح أبواب النار"^(٣).

وقد بيّن الله تعالى كثيراً من الأسباب التي توقع في الغفلة من خلال عدد من الآيات القرآنية، وهي أسباب في أغلبها ناتجة عن مخالفة الإنسان لتعاليم الشرع الحنيف، وعدم الالتزام بأوامره والابتعاد عن نواهيه.

ويلاحظ أن بعض الآيات التي ورد فيها بيان أسباب الغفلة، اشتملت كذلك على الإشارة إلى بعض الجوانب الأخرى؛ كذكر الآثار، أو طرق العلاج، فبعض الآيات اشتملت على هذه الأمور كلها،

(١) أبو إدريس: عائذ الله بن عبد الله بن عمرو الخولاني، ولد عام حنين، يعد من كبار التابعين، كان قاضياً في دمشق بعد فضالة بن عبيد لمعاوية وابنه يزيد إلى أيام عبد الملك بن مروان، ومات في آخرها قاضياً، [انظر أسد الغابة - لابن الأثير - ٨/٥].

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، (ص ٢٩٣)، (ح ٣٦٠٦).

(٣) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي، (ص ٨٠ - ٨١).

وبعضها اقتصر على شيء منها، وليس هناك فصل واضح بينها في آيات القرآن، وربما صعب التمييز في بعض الأحيان بين ما هو سبب وما هو أثر؛ ولذلك سوف تتكرر بعض الآيات بناء على هذا التقسيم.

المطلب الأول: أسباب فطرية لا علاقة للإنسان بها: عدم نزول الوحي:

هذا سبب في الواقع خارج عن حدود الإنسان، ولا دخل له فيه، وهو أمر فطري، وذلك أن الإنسان إذا لم يرشده الله تعالى إليه، وإلى كيفية عبادته وببين له حدودها، فإنه لا يستطيع وحده معرفة خالقه على الوجه المطلوب اعتماداً على عقله، بل ربما غفل عن خالقه، وانصرف عنه بالكلية إلى الانغماس في ملذات الدنيا ومتع الحياة.

قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، فالنبي ﷺ - كما تؤكد هذه الآية - كان هو وقومه قبل نزول الوحي في غفلة وعدم دراية بشرائع ربه وأخبار الأمم السابقة.

وقد أكد المولى ﷺ على هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿ يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ [يس: ١-٦]. فالغفلة كانت بسبب أنهم لم يأتهم نذير من قبل.

قال سيد قطب: "والغفلة أشد ما يفسد القلوب، فالقلب الغافل قلب معطل عن وظيفته، معطل عن الالتقاط، والتأثر، والاستجابة، تمر به دلائل الهدى، أو يمر بها دون أن يحسها أو يدركها، ومن ثم كان الإنذار هو أليق شيء بالغفلة التي كان فيها القوم، الذين مضت الأجيال دون أن ينذروهم منذر، أو ينبههم منبه، فهم من ذرية إسماعيل ولم يكن لهم بعده من رسول، فالإنذار قد يوقظ الغافلين المستغرقين في الغفلة، الذين لم يأتهم ولم يأت آباءهم نذير" (١).

وقال السعدي: "وهم العرب الأميون، الذين لم يزلوا خالين من الكتب، عادمين الرُّسل، قد عمَّتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة، فأرسل الله إليهم رسولاً من أنفسهم، يُزكِّيهم ويُعلِّمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين، ومن لحق بهم من كلِّ أمي" (٢).

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ، (ص ٢٩٥٩).

(٢) تفسير السعدي ، (١/٦٩٢).

وحتى لا يتعلل البشر بهذه الغفلة الفطرية التي ذكرها الله تعالى فيحتجوا عليه كما في قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ [الأنعام: ١٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّا إِنَّا نَحْنُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّا إِنَّا نَحْنُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. [طه: ١٣٤].

فقد اقتضت حكمته تعالى أن يرسل الرسل للبشر، كما في قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَتْلَىٰ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥]. وقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

المطلب الثاني: أسباب مكتسبة تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة:

المسألة الأولى: الكفر بالله وعدم الإيمان به

الكفر بالله تعالى وعدم الإيمان بآياته من أعظم الأسباب التي تجعل المرء لاهياً، وقلبه غافلاً، عما يصيبه جراء هذا النكران والجحود. كيف والكفر في اللغة هو الستر والتغطية^(١)، فهل لقلب سترٍ وغطى بصيرة يدرك بها؟ قال تعالى: ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [مريم: ٣٧-٣٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُخَبِّرُهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٣٧].

فهؤلاء بسبب غفلتهم لم يصدقوا بآيات الله، بل كذبوا بها، ولم يبالوا بالإنذار الشديد، والوعيد الأكيد الذي وجه لهم من خالقهم، والمعادلة من خلال الآية الأولى هي: كفر، ظلم، ضلال، ثم إنذار، والنتيجة هي غفلة ثم عدم إيمان، ولشدة غفلة هؤلاء وذهولهم عما يحيق بهم، فإنهم ربما عرفوا العاقبة ولكنهم لا يبالون، وربما تعجبوا منها كما قال تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ [ق: ٢]. وقال: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [النحل: ٨٣].

(١) التمهيد لابن عبد البر، (٢٣/ ٢٩٥).

ويبين الله ﷻ مدى الخسارة التي يقع بها هؤلاء الكافرون الغافلون عن أنعمه سبحانه وتعالى فيقول ﷻ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٢].

"الخاسرون على الإطلاق، الخاسرون لكل شيء، الخاسرون للدنيا والآخرة، الخاسرون لأنفسهم وللهدى، والاستقامة، والطمأنينة، والحق والنور، إن الإيمان بالله كسب، كسب في ذاته، والأجر عليه بعد ذلك فضل من الله، إنه طمأنينة في القلب، واستقامة على الطريق، وثبات على الأحداث، وثقة بالسند، واطمئنان للحمى، ويقين بالعاقبة، وإن هذا في ذاته لهو الكسب؛ وهو الذي يخسره الكافرون" (١).

كما يبين الله ﷻ عاقبة ومصير كل من يكفر بآياته ولا يؤمن بها فيقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: ٣٩] أي: أنتم خلفاء في أرضي، ولقد حكمت أنه من يكفر بالله سبحانه وتعالى، وبنعمه، فعليه وبال كفره ووزره، وعلى نفسه ضر كفره، لا يتعداه إلى غيره، وهو العقاب والعذاب، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند الله إلا بعداً من رحمة الله، ومقتاً، وغضباً، وبغضاً شديداً، واحتقاراً من الله، ونقصاً وهلاكاً، ولا يزيدهم إلا خساراً، وضلالاً في الآخرة، وعذاباً أليماً، وكلما اطمأنوا إلى كفرهم خسروا أنفسهم يوم القيامة (٢).

المسألة الثانية: الاستكبار

الكبر والعجب والزهو والاختيال، من أمراض القلوب التي يترتب عليها سلوك قبيح مذموم شرعاً، وهي من أخطر الأمور التي تتسبب في غفلة القلب وتجعل المرء ذاهلاً عن وظيفته التي خلق من أجلها، وتكون سبباً في حلول العقاب الأليم به، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس" (٣).

الكبر معناه الارتفاع عن الناس، واحتقارهم، ودفع الحق وإنكاره ترفعاً، وتجبراً.

(١) في ظلال القرآن ، (٢٧٤٧/٢١)

(٢) انظر: فتح القدير للشوكاني ، (٤٠٦/٤)، التفسير الواضح لمحمد حجازي ، (٧٨/٢٢)، المبصر لنور القرآن لنانة صبري، (٢٣٨/٢٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (ح١٤٧)، (٩٣/١).

وغمط الناس: هو احتقارهم وازدراؤهم، والكبر في الأصل هو خلق النفس الذي هو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه، فهو يستدعي متكبراً عليه ومتكبراً به، والعجب مجرد استعظام الشيء^(١).

قال الشوكاني: "الكبر مانع من دخول الجنة وإن بلغ في الفلة إلى الغاية، ولهذا ورد التحديد بمثقال ذرة، وقال: وبدل أيضاً على أن محبة لبس الثوب الحسن والنعل الحسن وتخير اللباس الجميل ليس من الكبر في شيء، وهذا مما لا خلاف فيه فيما أعلم"^(٢).

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، تبين الآيات ما تسبب فيه التكبر، من الغفلة الشديدة التي أدت إلى التكذيب بآيات الله تعالى، وعدم قبول الحق واتباع طريق الهداية، بل الانجراف وراء سبيل الغواية، فكان نتيجة ذلك أن صرف الله تعالى قلوب المتكبرين بالكلية عن الهداية بآياته.

قوله تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) قال قتادة: سأمنعهم فهم كتابي، وقاله سفيان بن عيينة. وقيل: سأصرفهم عن الإيمان بها. وقيل: سأصرفهم عن نفعها، وذلك مجازاة على تكبرهم. نظيره: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]. وقوله: (يَتَكَبَّرُونَ) أي يرون أنهم أفضل الخلق، وهذا ظن باطل، فلماذا قال: (بِغَيْرِ الْحَقِّ) فلا يتبعون نبياً ولا يصغون إليه لتكبرهم، وقوله تعالى: (وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا)، أخبر عنهم أنهم يتركون طريق الرشاد ويتبعون سبيل الغي، والضلال، أي يتخذون الكفر ديناً، ثم علل فقال: (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)، أي ذلك الفعل الذي فعلته بهم بتكذيبهم. (وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) أي كانوا في تركهم تدبر الحق كالجافلين. ويحتمل أن يكونوا غافلين عما يجازون به^(٣).

قال سيد قطب: "وما يتكبر عبد من عبيد الله في أرضه بالحق أبداً، فالكبرياء صفة الله وحده، لا يقبل فيها شريكاً، وحيثما تكبر إنسان في الأرض كان ذلك تكبراً بغير الحق! ومن ثم تجيء بقية الملامح: (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا). فهي جبلة تجنح بهم عن سبيل الرشاد حيثما رآته، وتجنح إلى سبيل الغي حيثما لاح لها، وهذه هي السمة التي يرسمها التعبير، ويطلع بها هذا النموذج

(١) انظر: سبل السلام، للصنعاني، (٤/٢٠٠-٢٠١).

(٢) انظر: نيل الأوطار للشوكاني، (٢/١٠٩-١١٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي، (٧/٣٤٢).

المتكبر، الذي قضت مشيئة الله أن يجازيه على التكذيب بآيات الله والغفلة عنها بصرفه عن هذه الآيات أبداً^(١). وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وللكبر في الأرض بغير الحق آثار سيئة، وعواقب مهلكة ومن هذه الآثار:

- المتكبر يختم القدير على قلبه، فلا يميز بين الحق والباطل يقول الله جل جلاله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]. متكبر في نفسه على الحق برده، وعلى الخلق باحتقارهم، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

- الكبر مهلكة وأي مهلكة فالمتكبر يصرفه العزيز الجبار عن تدبير آياته، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٤٦]. سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في آياتي من العز والكرامة، المعادين للأنبياء والمؤمنين، وإنما يصرفهم عن ذلك بواسطة إنزال الذل والإذلال بهم، وذلك يجري مجرى العقوبة على كفرهم، وتكبرهم على الله تعالى.

- إنه متى استبد بالإنسان، أحاط نفسه بهالة من الزهو والخيلاء، وجن بحب الأناية والظهور، فلا يسعده إلا الملق المزيف، والثناء الكاذب، فيتعامى آنذاك عن نقائصه وعيوبه، ولا يهتم بتهديب نفسه، وتلافي نقائصه، مما يجعله هدفاً لسهام النقد، وعرضة للمقت والازدراء.

- إنه يشيع في المجتمع روح الحقد والبغضاء، ويعكر صفو العلاقات الإجتماعية، فيسيء إلى الناس ويستثير سخطهم ومقتهم، كما يستثيره المتكبر الذي يتعالى عليهم بصلفه وأنايته.

- إن الغطرسة داء يشقي الإنسان، ويجعله منبوذاً يعاني مرارة العزلة والوحشة، ويشقي كذلك المرتبطين به بصنوف الروابط والعلاقات.

- وينشأ عن هذا التكبر والاحتقار للناس تتبع عوراتهم، والبحث عن أخطائهم وهفواتهم، مع ستر محاسنهم مهما كانت كثيرة.

وقد أشار الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - إلى هذه الآفة فقال: "وهذا كثير بين الناس، يسمع منك ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوي فلا يحفظها، ولا ينقلها، ولا تناسبه، فإذا رأى سقطة كلمة عوراء وجد بغيته فجعلها فاكهته"^(٢).

(١) في ظلال القرآن، (ص ١٣٧١).

(٢) مدارج السالكين، (١/ ٣٦٠).

ويتبين من خلال ما سبق أن المتكبر ينشر في المجتمع معادلة الإزدراء المتبادل، ويزدري الناس لأنه يراهم أقل منه، والناس يزدرونه لكبره وسوء خلقه، وأن المتكبر لا يعرف ربه حق المعرفة لأنه لو عرف ربه حق المعرفة، فيكفيه أن ينظر إلى آثار قدرته، وعجائب صنعته، فتلوح له العظمة، وتظهر له المعرفة، فهذا هو العلاج القالع لأصل الكبر، ومن علم أن مولاه ينظر إليه لا يتكبر ولا يتناول بل يتخاضع ويتضاءل.

المسألة الثالثة: الرياء

من أخطر الأمراض التي توقع صاحبها في الغفلة فهو من الأدوية المهلكة، والأمراض الفاتكة، والخسائر الفادحة، حيث فيه خسارة الدين والآخرة، ولهذا حذر منه المتقون، وخافه الصالحون، ونبه على خطورته الأنبياء والمرسلون، ولم يأمن من مغبته إلا العجزة، والجهلة، والغافلون، فهو الشرك الخفي، والسعي الرديء، ولا يصدر إلا من عبد سوء. وهو أن يعمل الإنسان العمل، ويكون غير مخلص لله تعالى فيه، يقول القرطبي رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٦]. أي: "يري الناس أنه يصلي طاعة، وهو يصلي تقية كالفاسق، يرى أنه يصلي عبادة، وهو يصلي ليقال: إنه يصلي، وحقيقة الرياء: طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس"^(١).

والرياء من الأمراض الخطيرة التي يترتب عليها إحباط العمل، فلا ينتفع به صاحبه يوم القيامة وإنما يكون وبالاً عليه، ويصور ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وهذا مثل مطابق لقلب المرئي الذي ليس فيه إيمان، بل هو قاسٍ لا يلين ولا يخشع، فهذه أعماله لا أصل لها تؤسس عليه، ولا غاية تنتهي إليها، بل ما عمله فهو باطل^(٢).

ولشدة خطورة الرياء فقد جاء الترهيب منه، ويصور ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، (٢٠ / ١٤٤).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص ١٠٧).

لَهُ الدِّينَ ﴿ [البينة: ٥]، أي: "قاصدين جميع عباداتهم الظاهرة، والباطنة وجه الله تعالى، وطلب الزلفى لديه"^(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٩]، فهو عليم بهم وبأعمالهم، وما يقصدون ويريدون بإنفاقهم ما ينفقون من أموالهم، وأنهم يريدون بذلك الرياء، والسمعة، والمحمدة في الناس، هو حافظ عليهم أعمالهم، لا يخفى عليه شيء منها، حتى يجازيهم بها جزاءهم عند معادهم إليه^(٢).

ومن الأحاديث قصة الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة لأنهم يراؤون بأعمالهم، ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: "إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم، وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه، ثم ألقي في النار"^(٣).

ونظرا لخطورة تلك الآفة وما تسببه من غفلة مهلكة يقع بها كثير من الناس، رأت الباحثة أن تبين آثار الرياء على النفس.

- الرياء آفة القلب، مفسدة السريرة، جالب لحبوط العمل وذهاب بركته، إذا استقل وتأصل في النفس، قد يؤدي إلى الشرك؛ لأن فيه تمزيقاً للقلب البشري، فلا يتوجه العبد إلى خالقه في العبادة، وإنما يتوجه للمخلوقين طلباً لرضاهم.

- عدم إتقان العمل، لأن المرائي إنما يراقب الخلق لا الخالق، والخلق مهما كانت طاقتهم وإمكاناتهم عاجزين عن المتابعة في كل زمان أو مكان، فهذا يؤدي إلى عدم إتقان العمل، ولقد أشار الله تعالى إلى هذا الأثر وهو يتحدث عن المنافقين فقال ﷺ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٤٨/١١).

(٢) انظر: جامع البيان، (٨٨/٥).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الأمانة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، (ح ١٩٠٥)، (١٥١٣/٣).

يُحَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿النساء: ١٤٢﴾. فقصدهم الناس وعدم إخلاصهم لله تعالى، فلهذا (ولاً يذكرون الله إلا قليلاً) لامتلاء قلوبهم من الرياء، فذكر الله تعالى لا يكون إلا من مؤمن خالص الإيمان، ولا يكون من مرءٍ خداع^(١).

- الفضيحة في الدنيا وعلى رؤوس الأشهاد: المرثي يقصد بعمله خداع غيره، ليعطيه هذا زمامه، وليسلم له هذا الغير القيادة، ويأبى الله تعالى ذلك لما يمكن أن يصنعه هذا المرثي من إفساد في الأرض، وإهلاك للحرث والنسل، وهذا ما صوره الله تعالى في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِكِنَّ الْمُهَادُّ﴾. [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦]. وفي الآخرة لهم عذاب شديد^(٢).

- "وقد يفضي الرياء بصاحبه إلى استهزاء الناس به، كما يحكى أن طاهر بن الحسين^(٣) قال لأبي عبد الله المروزي^(٤): منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله؟ قال: دخلت العراق منذ عشرين سنة وأنا منذ ثلاثين سنة صائم، فقال يا أبا عبد الله سألتك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين.

وحكى الأصمعي^(٥) أن أعرابيا صلى فأطال وإلى جانبه قوم، فقالوا: ما أحسن صلاتك؟! فقال: وأنا مع ذلك صائم^(٦).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص ٢٠٤).

(٢) انظر: آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، (٢٠/٢).

(٣) طاهر بن الحسين بن أحمد البغدادي، الإمام القدوة الكبير، أبو الوفاء، سمع من كثير، وكان من العلماء العاملين صادقاً، مخلصاً، قانعاً باليسير، توفي في شعبان سنة ست وسبعين وأربع مئة، [انظر: سير أعلام النبلاء، ٤٥٢/١٨].

(٤) أبو عبد الله المروزي، الإمام العلامة الشافعي، منسوب إلى بعض أجداده، كان من أساطين المذهب، يضرب بذكائه المثل وقوة حفظه، وهو صاحب وجه في المذهب، له خبرة في الحديث، عاش نيفاً وسبعين. [انظر: سير أعلام النبلاء، ١٧٢/١٨].

(٥) الأصمعي، الإمام العلامة الحافظ، حجة الأدب، لسان العرب، الأصمعي البصري، اللغوي الإخباري، أحد الأعلام، يقال: اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب، ولد سنة بضع وعشرين ومائة، مات الأصمعي سنة خمس عشرة ومائتي، ويقال: عاش ثماني وثمانين سنة - رحمه الله - [انظر: سير أعلام النبلاء ١٨١/١٠].

(٦) الجامع لأحكام القرآن، (٤٨/١١).

ويتبين مما سبق أن الرياء آفة خطيرة على النفس البشرية، فهو عبادة للذات، ونسيان لله تعالى وهو ثمرة فجة لاستحواذ الشيطان على نفس المرئي الذي يغويها بالأباطيل، ويوقعها في الغفلة المهلكة، حتى إذا لبست قناعه الخادع، ظنت أنها مركز الكون كبرياء وغرورًا.

المطلب الثالث: ضلال السعي في الحياة الدنيا

إن من أخطر الأمور على الإنسان في حياته الدنيا وآخرته أن يغمس في الضلال، ويبتعد عن الهدى، وبهذا ينال غضب الله وسخطه، فلا بد أن يعي الإنسان طريق الغفلة، والضلالة فيتجنبها، فإنه الداء الخطير الذي يورد صاحبه في مهالك الردى، ونحن نسعى بكل ما أوتينا من علم وحلم وحكمة ودراية حتى نكون مع الله تعالى وهدايته، ومن كان الله سَكَّ معه، فر من طريقه الشيطان، ومن انتصر على شيطانه كان من المتقين الناجين الفائزين في الدنيا والآخرة.

وسوف نوضح خطورة ضلال السعي بألوانه المتنوعة من خلال ما يلي:

المسألة الأولى: الظلم

الظلم مرتعه وخيم، وعاقبته سيئة، وهو منبع الرذائل ومصدر الشرور، ومتى فشى وشاع الظلم في أمة أهلكها، وإذا حل في قرية، أو مدينة دمرها، وهو الفساد قرينان بهما تخرب الديار، وتزول الأمصار، وتقل البركات، ويحل الفشل محلها.

والظلم مقترن بالكثير من الخصال المذمومة، والأفعال الممنوعة شرعًا، فالظلم ظلمات، والنفس البشرية تبغض الظلم بفطرتها التي فطرها الله عليها، وما أكثر تلك الأفعال القبيحة التي اقترن بها الظلم في الآيات القرآنية، وهو من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الغفلة.

والظلم يكون بأكل أموال الناس بالباطل، وظلم الناس بالضرب، والشتم، والتعدي، والاستطالة على الضعفاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ * وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْلَمَ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّنْ زَوَالٍ * وَسَكَتُمْ فِي مَسَاكِينِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ

هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧].

هنا يتحسر الظالمون حيث لا تنفع الحسرة على ظلمهم بسبب ما كانوا فيه من الغفلة، وقوله تعالى: (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ)، يعني يوم القيامة إذا حصلت هذه الأهوال والزلازل، أزفت الساعة واقتربت، فإذا كانت ووقعت، قال الكافرون هذا يوم عسر ولهذا قال تعالى: (فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي من شدة ما يشاهدونه من الأمور العظام، (يَا وَيْلَنَا) أي يقولون (يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) أي في الدنيا (بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) يعترفون بظلمهم لأنفسهم حيث لا ينفعم بذلك^(١).

وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

ولهذا نهى النبي ﷺ عن الظلم، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم"^(٢).

المسألة الثانية: الجهل

ومن الأمور التي تتسبب في الغفلة، وتصرف عن عبادة الله، انغماس المرء في أمور المعاش واستغراق وقته فيها، وعدم الاهتمام بأمور دينه حتى لا يكاد يعرف الأحكام اللازمة لعبادة ربه، فيصبح بذلك الصنيع جاهلاً جهلاً مؤدياً إلى الهلاك والعياذ بالله.

وقد أشار القرآن الكريم لهذا السبب في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٧ - ٩].

يعلمون أحوال السوق، والبضائع، والأسعار، والزراعة، وأوقاتها، والصناعة، ويعرفون متى يأكلون، وماذا يأكلون، ويشربون، يعرفون كل ما له تعلق بالحياة الدنيا، أما أمور الدين وأحوال الآخرة وما فيها من أهوال وحساب فهم عنها غافلون لا يباليون بها، وقد يصلي المرء، ويصوم، ويزكي، ويدعي أنه يفعل الخيرات كلها إلا أنه في واقع الأمر غافل لا يبالي بالله وأنه الخالق الرازق، بل هو مهموم

(١) انظر: تفسير ابن كثير، (٣٧٧/٥).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، (ص ١١٢٩)، (ح ٦٥٧٦).

بديناه مغموم بها، وهذا من أخطر الأسباب؛ لأن الإنسان قد لا يكفر كفرا صريحا، وقد لا يتكبر بل يتواضع، ولكنه يهيم في دنياه بما ينسبه آخرته.

وقد بين الله تعالى مقدار ما يعلمون، فقال: (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يعني أمر معايشهم حذاق أدكياهم ودنياهم: متى يزرعون ومتى يحصدون، وكيف يغرسون، وكيف يبنون، قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة. أي أن أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا، وأكسابها، وشؤونها وما فيها، فهم في تحصيلها، ووجوه مكاسبها، وهم غافلون في أمور الدين، وما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مغفل لا ذهن له ولا فكرة، قال الحسن البصري: والله ليلبغ من أحدهم بديناه أنه يقلب الدرهم على ظفره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي^(١).

وقد ضرب الله لهؤلاء الأمثال، ولفت انتباههم إلى أنفسهم وإلى السموات والأرض، ثم حذرهم مما أصاب الأمم السابقة، فما أيقظ ذلك لهم ضميرا ولا أحيا لهم قلبا، إذ كانت قلوبهم في غمرة، ولهم أعمال هم بها مشغولون، وهم عن ربهم غافلون، كانت عاقبتهم كعاقبة الذين من قبلهم، قال تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨-٩].

يتحدث الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية عن كثير من أهل القرى الذين خالفوا أمر ربهم، يعني أبت وعصت عن أمر ربها، يعني: عن طاعة ربها، وقيل: العتو المعصية، وقال أصل اللغة: العتو مجاوزة الحد في المعصية، وقيل: أعرضت عنه على وجه العتو والفساد، وقيل: تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله، فكذبوهم ولجوا في طغيانهم يعمهون.

فحاسبها الله حسابا يسيرا، أي جازاها الله بعملها، ويقال: حاسبناها في الآخرة حسابا شديدا، وقيل: بالاستقصاء والمناقشة، وعذبها عذابا نكرا، وعبر بالماضي عن المستقبل: دلالة على التحقيق^(٢).

ثم بين الله سبحانه وتعالى أن هذا جزاء ما كسبت أيديهم، فقال: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٩]: "أي فجننت ثمار ما غرست أيديها، ولا يجنى من الشر إلا الشر، كما جاء

(١) انظر: تفسير القرطبي، (٩/١٤).

(٢) انظر: تفسير المراعي، (١٤٩/٢٨)، بحر العلوم، للسمرقندي، (٣/٣٧٧)، الأساس في التفسير، سعيد حوى، (٥٩٨٣/١٠).

في أمثالهم: "إنك لا تجني من الشوك العنب"^(١)، فكان عاقبة أمرها الخسران والنكال الذي لا يقدر قدره"^(٢).

المسألة الثالثة: اتباع الهوى واللهو والتفريط

الهوى: "ميل النفس إلى ما تشتهيه"^(٣).

وقيل: "ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع"^(٤).

اللهو يكاد يكون ملازماً للغفلة، بل ربما كان مساوياً لها، ذلك أن القلب اللاهي هو في الأصل ساه وغافل، واتباع الهوى نتيجة حتمية لمن اتصف بذلك، وقد اقترن اللهو واللعب في القرآن الكريم بالعديد من الصفات الممنوعة شرعاً، فقد اقترن بالظلم، والجحود، والضلال، والإعراض، والتفريط، وغير ذلك، فضلاً عن الغفلة ونسيان الله لهم.

قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١-٢]، ارتبط اللعب واللهو في هذه الآيات بالغفلة والإعراض والظلم.

وقال أيضاً: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]. فبسبب أنه اتبع هواه وكان مفرطاً في أموره كلها، نهى الله رسوله ﷺ من طاعته واتباع أمره، لأن الله ختم على قلبه، وجعله غافلاً بسبب ذلك الصنيع، وقيل: معنى (أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ)، وجدناه غافلاً.

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ حُورًا وَلَعِبًا وَعَرَّتِهِمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٥١].

وقال: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

(١) المستقصى في أمثال العرب، للزمخشري، (١/٤١٦).

(٢) تفسير المراغي، (٢٨ / ١٤٩).

(٣) بصائر ذوي التمييز، (٥/٣٥٩).

(٤) معجم لغة الفقهاء، محمد رواسي قلجعي، (ص٤٦٧).

ولاتباع الهوى آثار ضارة وعواقب مهلكة، ومنها:

١ - تمكن الهوى من النفس:

فإن الهوى يسري في صاحبه في فنون، ويخرجه من دار العقل إلى دار الجنون، قال أبو الدرداء^(١): إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله، فإن كان عمله تبعاً لهواه فيومه يوم سوء، وإن كان هواه تبعاً لعمله، فيومه يوم صالح، وقال ابن عطاء: من غلب هواه عقله، وجزعه صبره افتضح^(٢).

٢ - قسوة القلوب والاستهانة بالذنوب:

وذلك أن المتبع لهواه يقسو قلبه ويموت، ويوم تقسو القلوب وتموت تكون استهانة بالذنوب، كما قال الرسول ﷺ: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا"^(٣).

٣ - اتباع الهوى يلقي بصاحبه في الضلال:

وذلك أن المتبع لهواه صار عبداً لشهواته، قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠] فاتباع الهوى مع إلغاء أعمال النظر ومراجعته في النجاة، يلقي بصاحبه إلى كثير من أحوال الضر بدون تحديد، فلا جرم أن يكون هذا الاتباع المفارق لجنس الهدى أشد الضلال، فصاحبه أشد الضالين^(٤).

٤ - الابتداع في دين الله تعالى:

فصاحب الهوى يميل إلى إثبات ذاته ووجوده، وهو لا يرضى بمنهج الله تعالى، فيبتدع منهاجاً يوافق هواه وشهواته، والابتداع ضلال وكل ضلال في النار، كما يقول النبي ﷺ "أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"^(٥).

(١) أبو الدرداء، الإمام القدوة، قاضي دمشق، وصاحب رسول الله ﷺ عويمر بن زيد بن قيس، ويقال: عويمر بن عامر، حكيم هذه الأمة، روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وقيل أسلم أبو الدرداء يوم بدر، ثم شهد أحداً وأمره رسول الله ﷺ يومئذ أن يرد من على الجبل، فردهم وحده، وكان قد تأخر إسلامه قليلاً، قيل إنه مات سنة إحدى وثلاثين. [انظر: سير أعلام النبلاء ٢ / ٣٣٨].

(٢) انظر: ذم الهوى، لابن الجوزي، (ص ٢٥).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب التوبة، (ح ٦٣٠٨)، (ص ١٣٤٦)

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (٢٠ / ١٤١)

(٥) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (ح ٨٦٧)، (٣ / ٥٩٣).

٥- الإعراض عن مصدر الهداية:

وذلك أن صاحب الهوى بعبوديته لشهوته وميوله، قد أعرض عن مصدر الهداية، فمن أين يأتيه التوفيق قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]. اتخذ هواه إلهاً له، لا يخالف له أمراً^(١).

٦- الهوى يؤدي بصاحبه إلى الهاوية:

عواقب الهوى وخيمة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَأَثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النَّازعات: ٣٧-٣٩]. أي: أن من تجرأ على الله تعالى وعصاه، وأثر الحياة الدنيا على الآخرة فصار سعيه لها مستغرقاً في حظوظها، وشهواتها، ونسي الآخرة، والعمل لها، فأواه ومسكنه جهنم^(٢).

وبتبيين من ذلك أن السعادة والراحة والطمأنينة والفوز إنما يكون في اتباع القرآن، وتحكيم شرع الله تعالى والسنة الشريفة، لا في اتباع هوى النفس وما تمليه عليه، وهذا هو الهوى المحمود الموافق لشرع الله تعالى ورسوله ﷺ وصدق الله تعالى في قوله: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣]. أي: فمن اتبع ما أمر الله به واجتنب ما نهى عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة، وقد نفى عنه الخوف والحزن في آية أخرى بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]. واتباع الهدى بتصديق الخبر وعدم معارضته بالشبه والشهوات^(٣).

المسألة الرابعة: إيثار الحياة الدنيا

الحياة الدنيا رأس الداء، والداهية الدهياء، لأن من تغلغل في قلبه حب الدنيا، وعشعش في فكره متاعها، وسيطر عليه هواها، فإنه لا محالة واقع في اللهو واللعب، وإنه لا ينفك في تحقيق مآرب دنياه من الظلم، وإن حصل له من الدنيا شيء من زينتها، فاعلم أنه سيتكبر على الخلق، ويرفض قبول الحق، وما تكبرت الأمم السابقة وتجبرت إلا بعد أن أغناهم الله تعالى من فضله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨]. وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٧].

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٢٥ / ٣٥٨).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص ١٠٠٧).

(٣) انظر: المرجع السابق، (ص ٥٥٦).

لذا فإن مطلق الرضا بالحياة الدنيا، والركون إليها، يسبب الغفلة عن آيات الله تعالى، فإذا انضم إلى ذلك حب الحياة الدنيا، وإيثارها على الآخرة، فقد يبلغ درجة الكفر، وقد توعده الله بعدم هداية الكافرين، وعاقبة ذلك دخول النار، والعياذ بالله.

قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]. وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُوَ وَلَكِنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

فكيف يضيع الإنسان الحياة الباقية، ويحرص على الحياة الفانية، مع أن الله تعالى بيّن لنا حقيقتها وحذرنا من الغرور بها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو عالماً، أو متعلماً"^(١).

إن محبة الدنيا تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود بالنفع في الآخرة، فإن من الغفلة الشديدة أن يتعب الإنسان في تحصيل الدنيا، ويبني للخراب، وهو يعرف أن المصير سيكون الفناء والزوال، ما شبّهت الدنيا "إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يحب وما يكره، فبينما هو كذلك إذ انتبه"^(٢)، وهذا الانتباه هو الموت.

فليحذر العبد هذه الدنيا الغرارة الخداعة، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً؛ لكانت قد أيقظت النائم ونبهت الغافل، فكيف وقد بيّن لنا بأنها لاتزن عنده جناح بعوضة، أفيظن المغرور أن هذه الدنيا للبقاء؟!.

أسباب إيثار الحياة الدنيا:

عرض القرءان الكريم البواعث الحقيقية التي تدفع نحو إيثار الحياة الدنيا، وبين الأسباب التي يمتنع معها العمل لدار البقاء، أو تضعف معها الدواعي المذكّرة بزوال الدنيا، ومن هذه الأسباب:

(١) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله ﷻ، (ح ٢٣٢٢)، (ص ٥٢٥)، قال أبو عيسى: حديث حسن.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، (ص ١٩٠).

أولاً: الكفر: ذلك أن الكافر لا يؤمن بالآخرة التي هي محل الثواب والعقاب، بل مبلغ علمه وأكبر همه هو الدنيا، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٢٩-٣٠]. وهؤلاء الكفار قصرُوا مفهوم الحياة عندهم على الدنيا فقط، ونسبوا هلاكهم إلى الدهر، فقال فيهم الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا هُمْ بِبَدَلِكِ مِنْ عِلْمٍ إِنَّ هُمْ إِلَّا يَنْظُنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ثانياً: طلب المغنم: وهذا يقع في حق المؤمن؛ بسبب عارض تضعف معه نفسه ثم لا يلبث هذا العارض أن يزول بزوال سببه، ومن ذلك ما تحدث به القرءان عن المؤمنين في غزوة أحد، لما طمع فريق منهم في المغنم، ونسوا ما وصاهم به النبي ﷺ من لزوم أماكنهم، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّوهُم بِأُذُنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْلِغَكُمْ وَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

ويجدر البيان هنا أن إرادة الدنيا المذكورة في الآية في حق المؤمنين إنما كانت صورة للضعف البشري الذي لم تصاحبه نية سيئة أو إصرار على الخطيئة^(١)؛ لذلك عَقَّبَ على إرادة فريق منهم للدنيا بالعفو والتذكير بفضل الله تعالى على المؤمنين.

ثالثاً: الانبهار بثروة وزينة الأغنياء: ومثال ذلك ما أخبر به القرءان عن انقسام الناس إزاء ثروة قارون إلى قسمين: قسم تَمَنَّوْا حصول هذه الثروة لهم بعد أن انبهروا بها وقد وصفهم الله تعالى بالذين يريدون الحياة الدنيا، وقسم وصفهم الله تعالى بالذين أوتوا العلم، الذين أيقنوا بأن ثواب الله خير من المتاع الزائل، قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَكُوْهُ حَظٌّ عَظِيمٌ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [الفصص: ٧٩-٨٠].

ويستفاد من الآية أن العلم الديني والهدى وقايةً وجنَّةً من داء إيثار الدنيا وأن الجهل الديني من أقوى الأسباب التي تدفع بالنفوس إلى طلب المتاع العاجل دون الآجل.

(١) انظر: تفسير الطلال لسيد قطب، (١/٤٩٤).

رابعاً: الانتهاء بالمكاثرة المذمومة: إن مكاثرة الناس بعضهم لبعض تكون محمودة إذا كانت في مرضاة الله ونصرة دينه، كالمكاثرة في العلم والعمل الصالح، وهذه هي حقيقة المنافسة استباق الخيرات (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) أما إذا أدت المكاثرة إلى الانتهاء والانشغال عما خلق الله الناس لأجله، فكاثر بعضهم بعضاً في متاع الحياة الدنيا من مال وجاه وغيره، فهذه هي التي ذمها الله تعالى في قوله: ﴿أَهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

وقد بين الله تعالى في هذه السورة أن هذه المكاثرة التي أدت بصاحبها لإيثار الدنيا على الآخرة هي بضاعة المفلس، ذلك لأنها تنتهي بالإنسان إلى الموت الذي عبر عنه القرءان بأنه مجرد زيارة في قوله تعالى (حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) وفي هذا بيان لمن خير بين متاع الدنيا والآخرة، أن هذا الموت ليس نهاية المطاف، وإنما هو حلقة في طريق الوصول إلى الآخرة ذات النعيم الدائم^(١).

ويدخل في مفهوم المكاثرة الانشغال بالمتاع الزائل من مال أو ولد عندما يكون هذا المتاع ملهياً عن ذكر الله، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]. ولا شك أن وجه الخسارة المذكور في الآية يكون بإيثار ما يفنى على ما يبقى^(٢).

خامساً: تسلط الهوى والشهوات وقصر الهمة عليهما: إن اقتصار همة الإنسان على تحقيق شهواته يقعده عن طلب الآخرة، فيصبح أسيراً في طلب الدنيا، ذلك أن اتباع الهوى سبب إضعاف العزيمة، ووهنها، وهذه العزيمة هي المركب الذي يسير المرء به إلى الله والدار الآخرة، فإن تعطل المركب بسبب إصابته بداء العكوف على الدنيا، وقصر الهمة عليها دون الآخرة، انقطع السفر، وهلك الإنسان في ببداء الحرص على ما لا يدوم^(٣)، ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤].

وقد نظر أهل العلم إلى الشهوات المذكورة في الآية السابقة نظرة فريدة تستوجب الوقوف عندها وتأملها، وتتخلص نظرتهم فيما يلي: إذا كان أول ما زين للناس من الشهوات في هذه الدنيا هي النساء، فإنهن ما عبن بأحسن^(٤) من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، وإذا كان أفضل ما

(١) انظر: الكشاف للزمخشري، (٦٢٧/٥٢٢)، والتحرير والتنوير لابن عاشور، (٣٠/ ٥٢٢).

(٢) انظر: تفسير السعدي، (ص ٨٢).

(٣) انظر: روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم، (ص ٣٤٤).

(٤) انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي، (ص ٣١٣).

أكل فيها هو العسل، فإنما هو مذقة نحلة، وإذا كان أفضل ما شرب فيها هو اللبن، فإنما هو يخرج من بين فريث ودم، وإذا كان أفضل ما لبس فيها هو الحرير، فإنما هو من نسج دودة، وإذا كان أفضل ما شتم فيها هو المسك، فإنما هو في حقيقته دم^(١).

المطلب الرابع: خلل في الطاعة والاتباع

إن طاعة الله هي أهم ما يميز المؤمن عن غيره من الخلق، فالمؤمن هو أشد طاعة وامتنالاً، واتباعاً لأمر الله سبحانه وتعالى، لأنه يعلم قطعاً أن ذلك هو سر سعادته في الدنيا والآخرة، ولذلك يسارع المؤمنون في ذلك كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وقد وعدهم الله وعداً جازماً بعظيم الجزاء فقال تعالى: ﴿... وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣].

وأكد الله على هذا الفوز بقوله أيضاً: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

ومن أعظم ثمرات هذا الفوز أن يجعل الله هؤلاء الطائعين في صحبة النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٩-٧٠].

وتظهر لنا أهمية الاتباع لشرع الله، من خلال أن المتبع معصوم من الخوف والحزن لقوله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨].

أما من اختلت عنده الطاعة والتبعية، وانحرفت لغير الله فقد وقع في الغفلة المهلكة وخسر خساراً مبيئاً في الدنيا والآخرة، قال تعالى في وعيد أتباع الشيطان: ﴿ قَالَ أَذْهَبُ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾ [الإسراء: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٣-٨٤].

(١) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي، (٣/٢١١).

وسوف نبرز أسباب خلل الطاعة والاتباع في المسائل التالية:

المسألة الأولى: عدم طاعة الله وعبادته

إن الهدف الرئيس والأساس من خلق الإنسان هو طاعة الله وعبادته؛ وذلك باتباع ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

أما أولئك الذين حسبوا أنهم خلقوا لغير طاعة، ولا عبادة، فينكر الله عليهم ذلك بقوله: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

وعلى ذلك فإن ترك العبادة، والطاعة لله يوقع الإنسان في الغفلة التي لا تحمد عقباها في العاجل والآجل.

المسألة الثانية: اتباع الشيطان وحزبه

إن اتباع الشيطان من أشد الأمور التي توقع في الغفلة، ذلك أن الشيطان هو عدو الله في الأرض الذي رفض أمر الله بالسجود لآدم يوم خلقه الله، فطرده الله من رحمته ولعنه إلى يوم الدين، وقد أخذ الشيطان على عاتقه، وأقسم بعزة الله أن يغوي بني آدم إلا المخْلِصين منهم، قال تعالى واصفاً لما حدث: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي * أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾ [ص: ٧٣ - ٨٣].

إذن عداوة الشيطان للمؤمنين عداوة قديمة ومتأصلة، وقد نهى الله عن اتباعه والسير على منهجه الكفري الضال، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٨-١٦٩].

وقد بين الله لنا سبب هذا النهي، وهو أنه يأمر بالفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

ومع هذا التحذير والنذير إلا أن بعض الناس لا يطيب له إلا أن يتبع كل شيطان مريد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [الحج: ٣-٤].

فكل من يقع في هذا النهي الإلهي، ويتبع خطوات الشيطان فإنه غافل خاسر لا محالة؛ لأنه عصى الله بذلك، وأطاع عدوه.

قال تعالى: ﴿وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مُرْمِيْنَهُمْ فَلْيُبْتِئِكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مُرْمِيْنَهُمْ فَلْيُغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

قال تعالى على لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]، وقال كذلك: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

ونفهم من هذا أن إبليس أخذ على نفسه إغواء وإضلال عباد الله عن الهدى، وطريق الحق، وقد استخدم وسائل لتحقيق ذلك، والحق يوضح لنا وسائل إبليس، على لسان إبليس فقال: (وَلَا ضِلَّيْنَهُمْ) والإضلال معناه: أن يسلك بالإنسان سبيلاً غير مؤدٍ للغاية الحميدة، فإن خطأ الإنسان خطوة في هذا السبيل ابتعد عن تلك الغاية، وهذا الابتعاد عنها هو الضلال البعيد، والإضلال من الشيطان يكون بتزيينه الشر والقبح للإنسان ليبعده عن مسالك الخير والفضيلة^(١).

وقيل: "إن إضلاله لمن يضلهم هو عبارة عن صرفهم عن العقائد الصحيحة، بمعنى أن يشغلهم عن الدلائل الموصلة إلى الحق والهدى"^(٢).

وقوله: (وَلَا مُنِّيْنَهُمْ) والأمانى: هي أن ينصب الإنسان في خياله شيئاً يستمتع به من غير أن يخطو له خطوة عمل تقربه من ذلك، وقيل: وعدهم الأمانى الكاذبة، وألقى في قلوبهم طول الحياة، وأن

(١) انظر: تفسير الشعراوي، (٢٦٤٣/٥).

(٢) تفسير المنار، لمحمد رضا، (٤٢٧/٥).

لا بعث ولا حساب، وقيل: التمنية في الأعمال بأن يزيل لهم الاستعجال باللذات الحاضرة والتسوية بالتوبة وبالعمل الصالح^(١).

وقوله تعالى (وَلَا مَرَمٌ لَهُمْ فَلْيَتَنَّبَّ أَدَانَ الْأَنْعَامِ): "أي: لأمرهم بتقطيع آذان الأنعام. قال قتادة: يعني تشقيقتها وجعلها علامة للبحيرة^(٢) والسائبة^(٣) كما يفعلون في الجاهلية"^(٤).
وقيل: "يشقونها لتحريم ما أحل الله، وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب، وإشارة إلى تحريم ما أحل ونقص كل ما خلق كاملاً بالفعل أو القوة"^(٥).

وقوله (وَلَا مَرَمٌ لَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ) يبين الله لنا في هذه الجملة كيف صار للشيطان أمر على هؤلاء الناس؟ مع أن الأمر يجب أن يكون لله وحده، فيأمرهم الشيطان بتغيير خلق الله عن وجهه، وصورته، أو صفته، ويندرج فيه ما قيل من خصاء العبيد، والوشم^(٦)، والوشر^(٧)، واللواط، والسحق^(٨)، ونحو ذلك، وعبادة الشمس، والقمر، وتغيير فطرة الله تعالى التي هي الإسلام، واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالاً، ولا يوجب لها من الله سبحانه وتعالى زلفى، وقيل: المراد به تغيير دين الله بالكفر والمعاصي، وإحلال ما حرم الله، وتحريم ما أحل.

وتبين الآيات التالية مدى الخسارة التي يقع فيها الغافلون المتبعون للشيطان وحزبه:
قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

(١) انظر: تفسير المنار، (٤٢٧/٥)، صفوة التفاسير للصابوني، (٣٠٦/١).
(٢) البحيرة "جمعها بحائر وبحر، وهي الناقة التي كان الجاهليون يشقون أذنها إذا ولدت خمسة بطون، وقيل: الناقة الغزيرة اللين" [الرائد، لجبران مسعود، ٣٠٨/١].
(٣) السائبة "جمعها سيب وسوائب، وهي الناقة التي كانت تُسبب في الجاهلية؛ لأنها ولدت عشرة أبطن كلها إناث، فكانت لا تُركب ولا تُمنع عن ماء أو عشب" [الرائد، لجبران مسعود، ٧٩٠/١].
(٤) صفوة التفاسير، للصابوني، (٣٠٦ / ١).
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (٢ / ٢٢٥).
(٦) الوشم: جمع وشوم ووشام، وهو ما يكون من غرز الإبرة في البدن، وذر النيلج عليه حتى يزرق أثره أو يخضر، أو تغيير لون الجلد من ضربة أو سقطة. [انظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، ١٠٧٧/٢].
(٧) الوشر: "من وشر الخشبة، يشرها وشرأ: أشرها بمعنى نشرها، ونشرت المرأة أسنانها: حددتها ورقفتها، فهو وشر، وهي وشره". [المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، ١٠٧٦/٢].
(٨) السحق: من سحق الشيء يسحقه سحقاً. دقّه أشدّ الدق، وقيل: السحقُ الدق الرقيق، وقيل: هو الدق بعد الدق، وقيل: السحق دون الدق، سحق العين الدمع: صبته وأسألته، سحقه الله: أي أبعدته عن رحمته وهو شذوذ جنسي عند النساء. [انظر: لسان العرب، لابن منظور، ١٠ / ١٨٣].

ومعنى قوله تعالى: (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ) أي: غلب واستعلى واستولى، أي: بوسوسته في الدنيا، وقيل: قوي عليهم، وقيل: جمعهم وضمهم، يقال: أحوذ الشيء، أي جمعه، وضم بعضه إلى بعض، وقال المفضل: أحاط بهم، والمعاني متقاربة؛ لأنه إذا جمعهم فقد قوي عليهم وغلبهم، واستعلى عليهم، واستولى، وأحاط بهم.

ومعنى الآية: أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله، وقيل: أن يذكروا أوامره في العمل بطاعته، وقيل: زواجه في النهي عن معاصيه، وقيل: لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم، والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة، ويكون بمعنى الترك، والوجهان محتملان هنا.

وكذلك يصنع الشيطان بمن استحوذ عليه، فعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من ثلاثة في قرية، ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة، فإنه يأكل الذئب من الغنم القاصية"^(١) (٢).

والإشارة بقوله: (أولئك) إلى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات، (حزب الشيطان) أي جنوده وأتباعه ورهطه (أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ) أي: في بيعهم؛ لأنهم باعوا الجنة بجهنم، وباعوا الهدى بالضلالة، وقيل: الكاملون في الخسران، حتى كأن خسران غيرهم بالنسبة إلى خسرانهم ليس بخسران؛ لأنهم باعوا الجنة بالنار، والهدى بالضلال، وكذبوا على الله وعلى نبيه، وحلفوا الأيمان الفاجرة في الدنيا والآخرة، وفوتوا على أنفسهم النعيم المؤبد، وعرضوها للعذاب المخلد^(٣).

المسألة الثالثة: الغفلة عن مكر الله

إن المؤمن يتقطن دائماً لمقام قدرته سبحانه وتعالى، فإذا عصى يتوقع عذاب الله تعالى من عصيانه، ويتخوف ولا يأمن أن تنزل به العقوبة، ولفرط حسه بمعصيته، وإيمانه بالله يخاف دائماً عذابه، على عكس الكافر تماماً، فإنه يعصي، ويرى عصيانه حسناً، وينسى قوة الله ويعاند ويحارب أمره ونهيه، ناسياً أنه يعاند القوي القهار القادر الذي هو غالب على كل شيء، وأنه لا إرادة لمخلوق بجوار إرادته سبحانه وتعالى، وعلى ذلك يأمن عذاب الله ومكره، لقوله تعالى: ﴿أَقَامِنَ الَّذِينَ مَكَّرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسَفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ...﴾ [النحل: ٤٥] فيلاقي العذاب الشديد، وما لا يحسب عقابه، قال

(١) القاصية: القضا: البعد، والمكان الأقصى: الأبعد، ذهب قضا فلان، أي: ناحيته، وأقصيته: أبعدته، وناقاة قصواء، ولا يقال: بغير أقصى، والقضية من الإبل: المودعة الكريمة لا تُجهد ولا تُركب، وقصوت عن القوم أقصو: إذ تباعدت. [انظر: مجمل اللغة، لابن فارس، ٣/٧٥٥].

(٢) سنن النسائي، كتاب الإمامة، باب التشديد في ترك الجماعة، (ح ٨٤٧)، (ص ١٤٠)، قال الألباني: حسن.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٧ / ١٩٧)، فتح البيان في مقاصد القرآن، لصديق القنوجي، (١٤ / ٣٢).

تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النمل: ٥١] وقال تعالى: ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

يوبخ الله الذين يكذبون رسله، ويجحدون مكره؛ لأنهم غفلوا عن الحق، ونسوا تدبير الله تعالى المهلك لهم جزاء بما كسبوا، وبما كذبوا بآيات الله، والفاء: في قوله (فَلَا يَأْمَنُ) جاءت عاطفة يترتب ما بعدها على ما قبلها؛ لأنهم إذا كانوا لم تُجِدْهم النعمة ولا النعمة، وبأس الله يأتيتهم في مآمنهم ليلاً وهم نائمون، وضحي وهم يعملون، ومع ذلك لا جدوى فيه، فهو لعب، أو كاللعب، فهم لا يأمنون المكر الإلهي.

قوله تعالى (أَفَأَمِنُوا) استفهام إنكاري بمعنى النفي والتوبيخ، فهم لا يأمنون مكر الله، ومكر الله تعالى تدبيره المحكم الذي ينزل به العذاب السريع على من يستحقه، والأمن والطمأنينة لمن يستحقه، وهو الحكيم، وقد فسر بعض المفسرين بأنه العذاب أو البأس الشديد^(١).

والكافر يعمل المعصية، ويعتقد أنه آمن، وما يغفل عن مكر الله إلا الذين هلكوا بذنوبهم، ولهذا ختم الله الآية بقوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، أي حكم الله تعالى بخسارتهم، مؤكداً الخسارة بالقصر، وأن الخسارة مقصورة عليهم، وخسارتهم في أنهم خسروا أنفسهم فليسوا في حال عقلية مدركة، وخسروا أنفسهم بالاستمرار على غيهم، وخسروا بالعذاب الأليم الذي ينزل، والله سبحانه هو الذي بقي المؤمنين شر الغفلة والنسيان، وأمن عذاب الله، وجعلهم في فطنة دائمة، واعتبار بأمر الله ونهيه، وهو الهادي إلى سواء السبيل^(٢).

المسألة الرابعة: صحبة الغافلين جلساء السوء

إن من أهم أسباب الغفلة اتباع الغافلين أو صحبة البطالين - وهذا تعبير كان السلف يستخدمونه - فصحبة البطالين الخاسرين لا تأتي بخير فالطبع يسرق من الطبع ويقولون إن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من السوق، فالصاحب صاحب، لذلك إن صاحبت غافلاً فستصبح مثله،

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (٧٥/٣)، فتح القدير، للشوكاني، (٢/٢٦١)، زهرة التفسير، محمد أبو زهرة، (٦/٢٩٩).

(٢) انظر: زهرة التفسير، محمد أبو زهرة، (٦/٢٩١١)، المبصر لنور القرآن، نائلة صبري، (٩/١٠).

يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَصْلَبْتَنِي مِنَ الذُّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

وقد جاءت آيات القرآن الكريم تبصر الناس بطريق الهدى وصحبة الصالحين المتقين وتحذر من طريق الردى وصحبة الأشقياء الغافلين.

يقول تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨]. كما نهى الله ﷻ عن مخالطة أهل الغفلة فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

قال السعدي: "والحرمان كل الحرمان، أن يغفل العبد عن هذا الأمر، ويشابه قوما نسوا الله وغفلوا عن ذكره والقيام بحقه، وأقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتها، فلم ينجحوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها، فصار أمرهم فرطاً، فرجعوا بخسارة الدارين، وغبنوا غبنا، لا يمكنهم تداركه، ولا يجبر كسره، لأنهم هم الفاسقون، الذين خرجوا عن طاعة ربهم، فهل يستوي من حافظ على تقوى الله ونظر لما قدم لغده، فاستحق جنات النعيم، والعيش السليم - مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين - ومن غفل عن ذكر الله، ونسي حقوقه، فشقي في الدنيا، واستحق العذاب في الآخرة، فالأولون هم الفائزون، والآخرون هم الخاسرون" (١).

وحديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة" (٢).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الرجل على دين خليله، فلينظر أحكم من يخال" (٣). كما يجب علي الانسان مغادرة أرض أهل الغفلة والابتعاد عنها.

(١) تيسير الكريم الرحمن، (٨٥٣).

(٢) البخاري، كتاب البيوع، باب في العطار وبيع المسك، (ح ٢١٠١)، (ص ٣٩٦).

(٣) سنن أبو داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، (ح ٤٨٣٣)، (ص ٨٧٦)، حسنه الألباني.

عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أهل الأرض فدلوه على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا، فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناس يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرضين فألقى أيتها كان أدنى فهو له، ففاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة، قال قتادة فقال الحسن ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى ب صدره"^(١).

المسألة الخامسة: اتباع النفس الأمانة بالسوء

من أهم أسباب الغفلة النفس الأمانة بالسوء والمعصية، وقد ذكرت "النفس" في القرآن الكريم مائتين وخمسة وتسعين مرة^(٢)، ما بين المعرف وغير المعرف، والمفرد والجمع، في سياقات متعددة، وبمعاني مختلفة ومتنوعة.

لقد أخبرنا مولانا الكريم جل جلاله أن النفس تميل إلى ما تهواه لما لها فيه من اللذة والمتعة، وقد علمت أنها قد نهيت عنه، ثم أعلمنا القرآن أن من نهى نفسه عما تحبه وتتطلع إليه وتهواه، فإن الجنة ونعيمها هي مأواه ومآله ومصيره، ونعم المأوى والمصير، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى *﴾ [النازعات: ٣٧-٤١].

والنفس تُسَوِّلُ لِلإِنْسَانِ - أي تزين وتمهد له - الانسياق وراء الشهوات والملذات والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف-٥٣]، وقال تعالى على لسان يعقوب - على نبينا وعليه الصلاة والسلام - لأبنائه إخوة يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، أي بل زينت لكم أنفسكم بالسوء أمراً قبيحاً في يوسف (عليه الصلاة والسلام)، فرأيتموه حسناً وفعلتموه، وقال تعالى على لسان السامري في سورة طه: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (ص ٦٦٨)، (ح ٣٤٧٠).

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، مادة "نفس" (ص: ٧١٠-٧١٤).

يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي. ﴿ [طه: ٩٦]، وكلمة سولت أي زينت ومهدت، وكلمة أمارة صفة للنفس أي تأمر وتكرر التسويل والتزيين والتمهيد والتهيئة للمعصية، وعلى الإنسان أن يدرك بجلاء أنه إذا حصل خطأ في مظهره مثلا فرما ينبهه الناس إلى ذلك الخطأ، وربما يسارع إلى تدراكه، لكن النفس لا يطلع على عملها وخواطرها إلا الله تعالى، وتسويل النفس إنما هو لحظات إذا ثبت فيها المسلم زالت، وإلا فإذا استجاب لها وتابعها كان لذة ساعة، وحسرة دهر، والعياذ بالله.

والنفس الأمارة بالسوء هي أدنى مراتب وأحوال النفس وأخسها، حيث تكون منشدة إلى الأرض منقادة إلى رغباتها وتهتم بتأمين الحياة في هذه الدنيا وترتيب أوضاعها، والقرآن الكريم يحدثنا عن هذا النمط من الأشخاص الذين يقولون كما حكى الله تعالى في أكثر من موضع من كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [الأنعام: ٢٩]، وقال أيضا: ﴿ إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ [المؤمنون: ٣٧]، وقال: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

إن النفس الأمارة هي النفس التي تسيطر عليها الدوافع الغريزية، وتتمثل فيها الصفات الحيوانية، وتبرز فيها الدوافع الشريرة، فهي توجه صاحبها بما تهواه من شهوات ونزوات، فتوقعه في الغفلة التي لا تحمد عقباها، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣]، فالآية تقرر أن النفس كثيرة الأمر والإلحاح على صاحبها بعمل المعاصي طلبا لملاذاتها ومتعها، إلا من عصمه الله ﷻ وحماه، ولذلك قال (أمارة) وهي من صيغ المبالغة، على وزن (فعال) مبالغة في وصف النفس بالاندفاع نحو المعاصي والمهالك، فهي كثيرة الأمر والطلب والإلحاح لا تكل ولا تمل، ولم يقل (أمرة)، فهي ليست مجرد أمر بالسوء، بمعنى أنها تأمر الإنسان لتقع منه المعصية مرة واحدة وينتهي الأمر، كما أن الآية تؤكد أن النفس على إطلاقها أمارة بالسوء، وهي ميالة بالطبع إلى الشهوات والأهواء، إلا أولئك الذين رحمهم الله تعالى وعصمهم. ويكون علاج تلك النفس الأمارة بالسوء، والتي من عيوبها الغفلة والتواني والإصرار والتسويق، وتقريب الأمل وتبديد الأجل، بتوبة تحل الإصرار، وخوف يزيل التسويق، ورجاء يبعث على قصد مسالك العمل، وذكر الله على اختلاف الأوقات، وإهانة النفس بقربها من الأجل وبعدها عن الأمل، ولا يتم ذلك إلا بقلب مفرد فيه توحيد مجرد^(١).

(١) انظر: عيوب النفس، للنيسابوري، (ص ٢٥).

ولأجل ذلك جاءت توجيهات القرآن الكريم بضرورة مخالفة نزوات النفس وشهواتها وتطلعاتها ورغباتها، وبذل الجهد في تركيتها وتطهيرها وتميئتها بالخير والاستقامة والصلاح.

المسألة السادسة: اتباع المعاصي

علينا أن نعلم أن الذين يتبعون المعاصي إنما يسيرون في طريق الغفلة عن الله والدار الآخرة، والإنسان مطالب باجتئاب هواه والابتعاد عن المعاصي حتى لا يكون من أهل الغفلة.

"إن للحسنة ضياء في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، وهنأ في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق"^(١).

كما أن الغفلة تجر أختها، والثانية تجر الثالثة وهكذا، حتى يقع الإنسان في مستنقع الشهوات، ولا يستطيع الخروج منه ما لم يتداركه الله برحمة منه وفضل، وكم من صاحب معاصٍ وفسوق كانت بدايته بغفلة لم يقاومها ولم يتب منها.

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

"وقوله (بَلْ رَانَ) يعنى بل قد ظهر وحدث في نفوسهم رين الغفلة وصدأ الجهل والضلال وازداد وغلب حتى علا وأحاطه على قلوبهم فكثفها وكدرها إلى حيث أظلمها وسودها ولم يبق فيها لمعة من بياض نور الإيمان وما ذلك إلا بسبب ما كانوا يكسبون من المعاصي والشهوات"^(٢).

كما أن أهل الغفلة يألفون المعاصي ويتعودن عليها حتى يصلوا إلى المجاهرة بها وهي أخطر المراحل يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرؤم: ٤١]، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "كل أمتي معافي إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه"^(٣)، وحديث حذيفة رضي الله

(١) الجواب الكافي لابن القيم، (ص ١٠٦).

(٢) الفوائح الإلهية والمفاتيح الغيبية، لنعمة الله بن محمود النخجواني، (٤٩٣/٢).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه، (ح ٦٠٦٩)، (ص ١١٧٣).

عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَ بِهَا نُكْتُتَ فِيهِ نَكْتَةٌ سُوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتُتَ فِيهِ نَكْتَةٌ بِيضَاءٌ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أْبِيضٍ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فَتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مِرْيَادًا كَالْكُوْزِ مَجْحِيًّا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يَنْكُرُ مَنكُرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»^(١)^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود، (ح ١٤٤)، (١/٢٨١).

(٢) قوله ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ» أي تُلصِقُ بَعْرَضِ الْقُلُوبِ: أي جانبها، كما يُلصِقُ الْحَصِيرَ بِجَنْبِ النَّائِمِ، وَيؤثر فِيهِ شِدَّةُ التَّصَاقُفِ بِه، وَقَوْلُهُ: «عُوْدًا عُوْدًا» أي تَعَادُ وَتَكْرُرُ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ.

وَقَوْلُهُ: «كَالْحَصِيرِ» أي كَمَا يَنْسَجُ الْحَصِيرُ عُوْدًا عُوْدًا.

قَوْلُهُ: «فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَ بِهَا»: أي دَخَلَتْ فِيهِ دَخُولًا تَامًا، وَحَلَّتْ مِنْهُ مَحَلُّ الشَّرَابِ، وَأَلْزَمَهَا.

قَوْلُهُ: «أْبِيضٌ مِثْلُ الصَّفَا» هَذَا يَدُلُّ عَلَى قُوَّتِهِ عَلَى عَقْدِ الْإِيمَانِ وَسَلَامَتِهِ مِنَ الْخَلَلِ، وَأَنَّ الْفِتْنَ لَمْ تُلصِقْ بِهِ وَلَمْ تَوْثِرْ فِيهِ، كَالصَّفَا وَهُوَ الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ الَّذِي لَا يَلصِقُ بِهِ شَيْءٌ.

قَوْلُهُ: «أَسْوَدٌ مِرْيَادًا» أي: شَبِهَ الْبِيَاضَ فِي سُوَادِ.

قَوْلُهُ: «مَجْحِيًّا»: أي مَنكُوسًا، فَهَذَا الْقَلْبُ قَدْ نُكِّسَ حَتَّى لَا يَلصِقُ بِهِ خَيْرٌ وَلَا حِكْمَةٌ، وَقَدْ شَبِهَ الْقَلْبَ الَّذِي لَا يَعِي خَيْرًا بِالْكُوْزِ الْمَنكُوسِ الَّذِي لَا يَثْبِتُ الْمَاءَ فِيهِ. [انظر: المعاني السابقة في شرح النووي على صحيح مسلم، ٥٣١/٢].

المبحث الثاني

خطر الغفلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحذير الله عز وجل الشديد للغافلين

المطلب الثاني: خطر الغفلة في الحياة الدنيا

المطلب الثالث: خطر الغفلة في الآخرة

المبحث الثاني

خطر الغفلة

المطلب الأول: تحذير الله عز وجل الشديد للغافلين:

لا ريبَ أنَّ الأممَ تمرُّ بِمِحْنٍ وشِدَائِدٍ، تَهْدِبُهَا تَارَةً، وَتَرْبِيهَا تَارَةً، وَتَرْفَعُ عَنْهَا غِبَارَ الطَّرِيقِ تَارَةً أُخْرَى، كَمَا أَنَّ الْمِحْنَ قَدْ تَكُونُ صُورَةً مِنَ الْعِقَابِ وَالتَّوْبِيخِ، وَإِنَّ مِنَ الْمِحَنِ وَالرِّزَايَا الَّتِي أَصَابَتْ أُمَّتَنَا الْيَوْمَ فِي مَقْتَلِ: الْغَفْلَةِ بِمَا تَعْنِيهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ مَعَانٍ وَحَقَائِقٍ، مِنَ النَّيِّهِ وَالنَّسِيَانِ، فِي شَتَّى مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَأَشَدُّ النِّكَبَاتِ الَّتِي يُصَابُ بِهَا الْبَشَرُ نَكْبَةُ الْغَفْلَةِ.

والغفلة آفة قاتلة، وداءٌ عُضَالٌ فَتَّاكٌ، وطريقٌ يكثر فيه السالكون إلا من رَحِمَ اللهُ تعالى، دبَّ هذا الداء في جَسَدِ الأُمَّةِ الإسلاميَّةِ منذَ عِدَّةِ قُرُونٍ، وَأَقْعَدَهَا عَنْ سَبِيلِهَا، وَأَوْهَنَ مِنْ قُوَاهَا، وَشَغَلَهَا أَيَّمَا شَغْلٍ عَنْ رِسَالَتِهَا وَغَايَتِهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَالمَتَأَمَّلُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ يَرَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَنْذَرَ وَحَدَّرَ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْمَهْلِكِ، الَّذِي أَصَابَ الأُمَّمَ، وَأَقْعَدَهَا عَنْ السَّبِيلِ السَّوِيِّ، بَلْ وَحَلَّ بِهَا عِقَابَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَعْجَلِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ لِرَسُولِهِ ﷺ: ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٦-٧].

ثم يكشف عن مصير هؤلاء الغافلين، وعمَّا نَزَلَ بِهِمْ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ، وَفَقَّ مَا عَلَّمَ اللهُ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَمِنْ أَمْرِهِمْ، مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا سَيَكُونُ: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ...﴾ لَقَدْ قُضِيَ فِي أَمْرِهِمْ، وَحَقَّ قَدْرُ اللَّهِ عَلَى أَكْثَرِهِمْ، بِمَا عَلَّمَهُ مِنْ حَقِيقَتِهِمْ، وَطَبِيعَةِ مَشَاعِرِهِمْ، فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، وَهَذَا هُوَ الْمَصِيرُ الْأَخِيرُ لِلْأَكْثَرِينَ، فَإِنَّ نَفْسَهُمْ مَحْجُوبَةٌ عَنِ الْهُدَى، مَشْدُودَةٌ عَنِ رُؤْيَا دَلَالَتِهِ أَوْ اسْتِشْعَارِهَا^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨].

قال ابن كثير: "يقول الله تعالى مخبرًا عن حال الأشقياء الذين كفروا ببقاء الله يوم القيامة، ولا يرجون في لقاء الله شيئًا، ورضوا بهذه الحياة الدنيا، واطمأننت إليها أنفسهم، قال الحسن: والله ما زينوها ولا رفعوها، حتى رضوا بها وهم غافلون عن آيات الله الكونية فلا يتفكرون فيها، والشرعية فلا يأتَمرون

(١) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، (٢٩٥٥/٥).

بها، بأن مأواهم يوم معادهم النار، جزاء على ما كانوا يكسبون في دنياهم من الآثام والخطايا والإجرام، مع ما هم فيه من الكفر بالله ورسوله واليوم الآخر^(١).

هنا تأتي آيات القرآن تُوحى بعاقبة الغافلين عن آيات الله ورسالاته؛ قال تعالى: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وتأتي آيات أخرى تُبصِّرُ الناس بطريق الهدى، وتحذّر من طريق الردى، وصُحبة الأشقياء الغافلين؛ كما قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

المطلب الثاني: خطر الغفلة في الحياة الدنيا:

أولاً: استحقاق العذاب في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِئِن كَشَفْتَنَا عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بِالْعُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ * فَاذْرُهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾. [الأعراف: ١٣٤-١٣٦]، فأغرقهم الله بسبب تكذيبهم بآياته وغفلتهم عنها.

ثانياً: الصرف عن تدبر آيات الله، وفهمها، والانتفاع بها:

الغفلة سبب في صرف القلب عن آيات الله تعالى يقول ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. أي: لا أتركهم يتدبرونها، ولا يعتبرون بها، وتمر عليهم مروراً دون أن يستفيدوا منها، قال البيضاوي: "أي: ذلك

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (٤/٢٤٩).

الصرف بسبب تكذيبهم، وعدم تدبرهم للآيات^(١)، فمن صرف قلبه عن التفكير في آيات الله فإنه بمنزلة الأعمى، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٢].

وليس المراد طمس العينين بحيث لا يبصر شيئاً، ولكن المراد بالعمى عمى البصيرة، وهو الذي لا يفكر ولا يتعقل ولا ينظر فيما خلق له، ولا يتأمل فيما بين يديه ولا فيما خلفه، فكأنه مسلوب البصر، بل قد يكون الأعمى الذي لا يبصر خيراً منه، وذلك لأن من سلب البصر، ولكنه رزق بصيرة فإنه ينفعه عقله وتنفعه بصيرته، سلب البصر، ولكنه رزق بصيرة فإنه ينفعه عقله وتنفعه بصيرته، التي هي نور في القلب يقذفه الله تعالى في البصائر ويحصل بهذا النور التعقل في آيات الله تعالى، والبصيرة في أمره فيقال: إن العمى عمى البصيرة .

ثالثاً: الحرمان من رحمة الله عز وجل:

عن يُسَيْرَةَ^(٢) رضي الله عنها وكانت من المهاجرات، قالت: قال لنا رسول الله ﷺ: "عَلَيْكُمْ بِالنَّسِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّقْدِيسِ، وَاعْقُدْنَ بِالْأَنَامِلِ"^(٣)؛ فَإِنَّهُنَّ مَسْئُولَاتٍ مُسْتَنْطَقَاتٍ^(٤)، وَلَا تَعْفُلْنَ فَتَنْسِينَ الرَّحْمَةَ"^(٥)، "أي: لا تتركن الذكر؛ فإنكن لو تركتن الذكر لحرمتن ثوابه، فكأنكن تركتن الرحمة"^(٦).

رابعاً: عدم إجابة الدعاء:

ومن أشد أضرار الغفلة عدم قبول الدعاء، لأن الله تعالى لا يستجيب من قلب غافل لاه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَآهِ"^(٧).

(١) تفسير البيضاوي، (١/٣٦٠).

(٢) جدة حميضة بنت ياسر، أسلمت وبايعت، إحدى المهاجرات روت عن النبي ﷺ حديثاً، [انظر: الطبقات الكبرى، (٣١٠/٨)، التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل، (٨/٢٣٢)].

(٣) الأئمة التي فيها الظفر جمع: أنامل وأنملات. [القاموس المحيط - ١/١٣٧٦]. أي: اعقدن التسييح بالأئامل، فعند كل تسيحة أطبق الأصبع على الكف، واجعل الأئمة في باطن الكف، فتصبح عقدة.

(٤) مستنطقات: "بفتح الطاء أي متكلمات بخلق النطق فيها فيشهدن لصاحبهن أو عليه بما اكتسبه" [عون المعبود - ٤/٢٥٨].

(٥) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التسييح والتهلِيل والتقدیس، (ح ٣٥٨٣)، (ص ٨١٤)، أبو عيسى: حديث حسن.

(٦) تحفة الأحوذی، للمباركفوري، (١٠/٣١).

(٧) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل التسييح والتكبير والتهلِيل والتحميد، (ح ٣٤٧٩)، (ص ٧٩٠)، قال: أبو عيسى: حديث حسن.

قوله ﷺ (وأنتم موقنون بالإجابة) أي: وأنتم معتقدون أن الله لا يخيبكم لسعة كرمه، وكمال قدرته، وإحاطة علمه لتحقيق صدق الرجاء، وخلوص الدعاء، لأن الداعي ما لم يكن رجاؤه واثقا لم يكن دعاؤه صادقا، (من قلب غافل) أي معرض عن الله أو عما سأله (لاه) من اللهو أي لاعب بما سأله أو مشتغل بغير الله تعالى وهذا عمدة آداب الدعاء ولذلك خص بالذكر.

قال ابن القيم: "وكذلك الدعاء فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وقت الدعاء فيكون بمنزلة القوس الرخو جدا فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام والظلم وريث الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها"^(١).

خامساً: الختم على القلب والسمع والبصر:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩]. فهم لا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية، فقلوبهم لا يصل إليها فقه ولا علم، وأعينهم لا ينتفعون بها فلا يبصرون آيات الله، وأذنانهم لا يسمعون بها ما ينفعهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦]^(٢)، وقال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨]. قال تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. ولم يكونوا صمًا، ولا بكمًا، ولا عميًا إلا عن الهدى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

(١) الجواب الكافي لابن القيم، (ص ٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، (٣/٥١٣).

سادسا: الغفلة، قرينة التكذيب بآيات الله تعالى:

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَاهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف ١٤٦-١٤٧]. فالسبب التكذيب والغفلة، فالغفلة قرينة التكذيب بآيات الله تعالى.

"فردهم لآيات الله وغفلتهم عما يُراد بها، واحتقارهم لها، هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشاد ما أوجب"^(١).

سابعا: لعظم خطر الغفلة نهى الله عنها رسوله ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

"الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم؛ فإنهم حُرِموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن مَنْ كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة، والخيبة في الاشتغال به"^(٢).

ثامنا: الغفلة صفة من صفات أهل النار:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨]. فهذه حال الأشقياء الذين كفروا بقاء الله يوم القيامة، ولا يرجون في لقائه شيئاً، ورضوا بهذه الحياة الدنيا واطمأننت إليها نفوسهم، وهم غافلون عن آيات الله الكونية، فلا يتفكرون فيها، وعن آياته الشرعية فلا يأترون بها^(٣).

تاسعا: الغفلة تغلق على العبد أبواب الخير، وتفتح له أبواب الشر:

قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ

(١) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (ص ٣٠٣).

(٢) المرجع السابق، (ص ٣١٤).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، (ص ٦٤٢).

الْحَاسِرُونَ ﴿ [النحل: ١٠٦-١٠٩].

أخبر تعالى عن كفر به بعد الإيمان والتبصر، وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غضب عليه، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذابا عظيما في الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق، فطبع على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئا، فهم غافلون عما يراد بهم^(١).

عاشرا: اقتراب الساعة والموت للناس وهم في غفلاتهم:

قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ١-٣]. فهم في غفلة عما حُفُوا له، وإعراض عما زجروا به، كأنهم للدنيا خلقوا، وللمتعة بها وُلدوا، وقلوبهم غافلة معرضة، لاهية بمطالبها الدنيوية، وأبدانهم لاعبة، قد اشتغلوا بتناول الشهوات، والعمل بالباطل^(٢).

الحادي عشر: اتباع الهوى وانفراط عقد الإيمان:

وذلك بأن من يغفل عن ذكر الله ويتبع هواه ويكون أمره ضائعا معطلا، قال الله تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

"(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ) احبسها (مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ) بعبادتهم (وَجْهَهُ) تعالى لا شيئا من أعراض الدنيا وهم الفقراء (وَلَا تَعْدُ) تتصرف (عَيْنَاكَ عَنْهُمْ) عبر بهما عن صاحبهما (عَنْهُمْ) تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) أي القرآن هو عيبنة بن حصن وأصحابه (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) في الشرك (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) إسرافا"^(٣).

(١) تفسير ابن كثير، (٤/٦٠٥).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص ٥١٨).

(٣) تفسير الجلالين، (١/٣٨٤).

المطلب الثالث: خطر الغفلة في الآخرة:

أولاً: توبيخ الغافل يوم القيامة، وتقريعه:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ١٩-٢٢]. "أي (وَجَاءَتْ) هذا الغافل المكذب بآيات الله (سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) الذي لا مرد له ولا مناص، (ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) أي: تتأخر وتتكص عنه، (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ) أي: اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب، والمؤمنين ما وعدهم به من الثواب، (وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ) يسوقها إلى موقف القيامة، فلا يمكنها أن تتأخر عنه، (وَشَهِيدٌ) يشهد عليها بأعمالها، خيرها وشرها، وهذا يدل على اعتناء الله بالعباد، وحفظه لأعمالهم، ومجازاته لهم بالعدل، فهذا الأمر، مما يجب أن يجعله العبد منه على بال، ولكن أكثر الناس غافلون، ولهذا قال: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) أي: يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام، توبيخاً، ولوماً وتعنيفاً أي: لقد كنت مكذباً بهذا، تاركاً للعمل له فالآن (فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) الذي غطى قلبك، فكثر نومك، واستمر إعراضك، (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) ينظر ما يزعجه ويروعه، من أنواع العذاب والنكال"^(١).

ثانياً: الحسرة والندامة:

قال تعالى: ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٣٩-٤٠].

"الإنذار هو: الإعلام بالمخوف على وجه الترهيب، والإخبار بصفاته، وأحق ما ينذر به ويخوف به العباد، يوم الحسرة حين يقضى الأمر، فيجمع الأولون والآخرون في موقف واحد، ويسألون عن أعمالهم، فمن آمن بالله، واتبع رسله، سعد سعادة لا يشقى بعدها، ومن لم يؤمن بالله ويتبع رسله شقى شقاوة لا سعادة بعدها، وخسر نفسه وأهله. فحينئذ يتحسر، ويندم ندامة تنتقطع منها القلوب، وتتصدع منها الأفتدة، وأي: حسرة أعظم من فوات رضا الله وجنته، واستحقاق سخطه والنار، على وجه لا يتمكن من الرجوع، ليستأنف العمل، ولا سبيل له إلى تغيير حاله بالعود إلى الدنيا؟!"^(٢)، وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل

(١) تفسير السعدي، (ص ٨٠٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، (١/ ٤٩٣).

النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار، ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم^(١)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ثم قرأ رسول الله ﷺ: "وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" وأشار بيده إلى الدنيا^(٢).

ثالثاً: دخول النار وغضب الجبار:

مر رسول الله ﷺ بالجيش في طريقه إلى تبوك على ديار ثمود، فقال: "لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم؛ أن يصيبكم ما أصابهم؛ إلا أن تكونوا باكين"^(٣)، ثم قنع رأسه، وأسرع بالسير حتى جاز الوادي، وكان المسلمون قد استقوا من بئرها، فنهاهم النبي ﷺ عن شرب مائها والوضوء منه للصلاة، حتى أمر أن يعلف العجين الذي عجن بمياههم لليل؛ لتأثير شؤم المعصية في الماء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨]. وقال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فِإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٧]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهؤلاء الغافلون قست قلوبهم عن الاعتبار والاتعاظ والتدبير والتفكير، وعميت بصائرهم عن إدراك الحق، وصممت آذانهم عن سماع الحق، ولذلك كانوا كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون.

وسيقال لكل غافل في موقف الحساب يوم القيامة: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمُ فَبَصُرَكُمُ الْيَوْمَ حَلِيدٌ﴾ [ق: ٢٢].

أي: لقد كنت في غشاوة، لا ترى ما بعد الموت، ولا تحسب له حساباً، ولا تنتهياً له، ولا تفكر فيه، فكشفنا عنك الغطاء بقبض روحك، ورأيت الأهوال وعابنتها، فمن شدة الخوف بصرك لا يزيغ يمنة ولا يسرة، بل هو مثبت مكانه من الهول.

"ومن هلاك أهل الغفلة وضياعهم عدم شعورهم بنعم الله تعالى، والرضا عنه في تلك النعم، قال أحد الصالحين: إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، (ح ٦٥٤٨)، (ص ١٢٥٤).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، (ح ٢٨٤٩)، (٤/٢١٨٨).

(٣) المرجع السابق، كتاب، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا، (ح ٢٩٨٠)، (٤/٢٢٨٦).

طيب، وقال آخر: إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طرباً بأنسه بالله وحببه له، وقال آخر: مساكين أهل الغفلة خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، وقال آخر: لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف"^(١).

وقد لخص بعض أهل العلم أخطار ومضار الغفلة في ست نقاط:

أولها: أنها تجلب الشيطان وتُسخط الرحمن.

ثانيها: أنها تُنزل الهم والغم في القلب و تبعد عنه الفرح وتميت السرور.

ثالثها: أنها مدعاة للوسوسة والشكوك.

رابعها: أنها تورث العداوة والبغضاء وتذهب الحياء والوقار بين الناس.

خامسها: أنها تبذل الذهن وتسد أبواب المعرفة.

سادسها: أنها تُبعد العبد عن الله وتجره إلى المعاصي.^(٢)

إن عاقبة الغفلة ليست هيئة أبداً، بل إنها قد تعود على صاحبها بخسارة الدارين، نسأل الله السلامة والعافية.

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم، (١٩٧/٢).

(٢) انظر: موسوعة نضرة النعيم، لصالح بن عبد الله بن حميد، (١١ / ٥١٠٨).

المبحث الثالث

آثار الغفلة ومظاهرها في حياتنا المعاصرة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: آثار الغفلة

وفيه خمس مسائل

المسألة الأولى: التكذيب بآيات الله

المسألة الثانية: الطبع على القلوب والأسماع والأبصار

المسألة الثالثة: عدم إدراك الأدلة والبراهين والاتعاظ بها

المسألة الرابعة: الإعراض عن ذكر الله

المسألة الخامسة: الضلال

المطلب الثاني: مظاهر الغفلة في حياتنا المعاصرة

وفيه ست مسائل

المسألة الأولى: الغفلة عن أشرط الساعة

المسألة الثانية: الغفلة عن المهمات والأولويات

المسألة الثالثة: الغفلة عن الدار الآخرة والاستعداد لها

المسألة الرابعة: الاستخفاف بأوامر الله ورسوله

المسألة الخامسة: الانشغال بالألعاب والرياضات

المسألة السادسة: التقليد الأعمى للكفار

المبحث الثالث

آثار الغفلة ومظاهرها في حياتنا المعاصرة

المطلب الأول: آثار الغفلة:

المسألة الأولى: التكذيب بآيات الله ويترتب عليه أمران:

أ/ حبوط العمل:

سبقت الإشارة إلى أن بعض الآيات التي ورد فيها ذكر الغفلة تتداخل فيها أسباب الغفلة وآثارها فلا نكاد نميز بين ماهو سبب وما هو أثر، وهذه واحدة من الآيات التي ورد ذكرها في الأسباب، ولكن بالنظر إلى السياق الذي جاءت فيه، يتضح أن سبب الغفلة لم يرد بمعزل عن بعض الآثار المترتبة عليه؛ لأن التكبر تسبب في الغفلة وعدم سلوك طريق الهدى والرشاد، هذه الخطوة الأولى، ثم أثر ذلك في التكذيب بآيات الله تعالى، وترتب على هذا الأثر حبوط العمل بالكلية، وهذا لا ينفك عن الكفر الذي هو سبب، والتكذيب بآيات الله يساوي الكفر ونتيجتهما واحدة، وهي حبوط العمل.

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٦-١٤٧].

"(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) أي ذلك الصرّف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات، (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ) أي ولقائهم الدار الآخرة، أو ما وعد الله في الدار الآخرة، (حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) لا ينتفعون بها، (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) إلا جزاء أعمالهم"^(١).

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

ب/ نزول العذاب الأليم:

ويرد التكذيب بآيات الله تعالى في سياق آثار الغفلة مترتباً عليه العذاب الأليم، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٥-١٣٦].

(١) تفسير البيضاوي، (٣/ ٣٤).

"بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها. وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله: فانقمنا"^(١).

فحجر الزاوية في هذه الآيات يدور حول الغفلة، وهي العلة الأساس، والصفة الرئيسية، ثم يضم إليها ما هو من أسبابها، وما هو من آثارها حسب سياقات القرآن الكريم.

المسألة الثانية: الطبع على القلوب والأسماع والأبصار

من أخطر الآثار التي تترتب على الغافلين، وأسوأ العواقب التي ينتهي إليها حالهم، فيصبحوا من أهل النار هم بها مختصون، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فهم لم يفتحوا القلوب التي أعطوها ليفقهوا - ودلائل الإيمان والهدى حاضرة في الوجود وفي الرسالات، تدركها القلوب المفتوحة والبصائر المكشوفة - ولم يفتحوا أعينهم ليبصروا آيات الله الكونية، ولم يفتحوا آذانهم ليسمعوا آيات الله المتلوة. لقد عطلوا هذه الأجهزة التي وهبها، ولم يستخدموها، لقد عاشوا غافلين لا يتدبرون، والذين يغفلون عما حولهم من آيات الله في الكون وفي الحياة، أولئك كالأنعام بل هم أضل؛ فللأنعام استعدادات فطرية تهديها؛ فهي تهاجم لتحمي نفسها وأولادها، ونقر خوفا من عدوها، وهي تعرف شئون حياتها بالفطرة، أما الجن والإنس فقد زدوا بالقلب الواعي والعين المبصرة والأذن الملتقطة، فإذا لم يفتحوا قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ليدركوا، فإنهم يكونون أضل من الأنعام الموكولة إلى استعداداتها الفطرية الهادية^(٢).

وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]. وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

(١) تفسير البيضاوي، (٣ / ٣١)

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (ص ١٤٠١).

المسألة الثالثة: عدم إدراك الأدلة والبراهين والاعتاظ بها

وهذا الأثر كذلك ليس بعيداً عن الآثار السابقة، ولا يفهم إلا في سياقها؛ لأن الذين تكبروا حتى صرف الله قلوبهم عن آياته، ثم ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، فلم يدركوا آياته ودلائل قدرته، ولم يتعظوا بها بسبب غفلتهم.

قال تعالى، في شأن فرعون عندما أدرکه الغرق: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩١-٩٢].

"فاليوم ننجيك ببदनك لا تأكله الأسماك ولا يذهب منكراً مع التيار، لا، ليعرف الناس ذلك، وليدرك من وراءك من الجماهير كيف كان مصيرك، (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً) يتعظون بها ويعتبرون، ويرون عاقبة التصدي لقوة الله ووعيده بالتكذيب، (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)، لا يوجهون إليها قلوبهم وعقولهم، ولا يتدبرونها في الآفاق وفي أنفسهم"^(١).

وتقدم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

قال ابن كثير "سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي، وشريعتي، وأحكامي، قلوب المتكبرين عن طاعتي ويتكبرون على الناس بغير حق كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل"^(٢).

المسألة الرابعة: الإعراض عن ذكر الله:

اقتران الغفلة بالإعراض عن ذكر الله تعالى يأتي في بعض آيات القرآن مقترنا باللهو واللعب والنسيان واللغو، فالإعراض يكون سببا في هذه الخصال الذميمة، وهو أثر من آثار الغفلة، لأن القلب إذا غفل عن ذكر الله أعرض عنه وانصرف إلى تلك الأعمال المشينة، قال تعالى: ﴿اقترب للناسِ حسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ١-٢]. وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف: ٥٧]. وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالنَّوَى فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. ويكون ذلك سببا في الخسران والعذاب الأليم.

(١) في ظلال القرآن، (٣/١٨٠٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم، (٣/٤٧٤).

كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المجادلة: ١٩].

المسألة الخامسة: الضلال:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَّريبٍ ﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿ [ق: ٢٢-٢٧].

بدأت هذه الآيات بالغفلة ثم انتهت بالضلال، بعد أن بين الله سبحانه وتعالى أنه يكشف للعبد ما كان غافلاً عنه، حتى إنه ليبصر كل شيء، ثم يشهد عليه الملك الموكل به، ثم يأمر به فيلقى في جهنم بسبب أنه كان يمنع الخير ويمتنع عنه، ويكفر بالله، فيلقى العذاب الشديد، وكل ذلك لأجل أنه كان في ضلال بعيد، وهي العلة الأساس التي شهد بها القرين - وهو شيطانه الذي وكل به^(١) - من بين سائر الصفات الذميمة التي اتصف بها، ولعلها وحدها كانت كافية لحلول العذاب الأليم.

يقول تعالى مخبراً عن الملك الموكل بعمل ابن آدم أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: (هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) أي معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان. وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق، يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته، وقال أيضاً: (قَالَ قَرِينُهُ) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم: هو الشيطان الذي وكل به (رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ) أي، يقول عن الإنسان قد وافى القيامة كافراً يتبرأ منه شيطانه، فيقول: (رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ) أي، ما أضللته، (وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) أي، بل كان هو في نفسه ضالاً قابلاً للباطل معانداً للحق، كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الأخرى في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَشْرِكْتُكُمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢]^(٢).

(١) قال تعالى ﴿ وَكَيْضَنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٥].

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٧/٢٩٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

قوله تعالى: (وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) يقول تعالى: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة؛ لأنها لا تسمع ولا تتنطق ولا تعقل، وإنما عنى بوصفها بالغفلة تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئاً كما لا يفهم الغافل، وهذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئاً ولا يفهم وتركهم عبادة ربه^(١).

والخلاصة أن الغفلة نتائج وخيمة، وآثاراً كثيرة، من تكذيب آيات الله، وإعراض عن ذكره، وطبع على القلوب، وعدم إدراك للأدلة والاتعاظ بها، فالضلال والعياذ بالله، وتظهر خطورة هذه الآثار في أن أي واحد منها كافٍ لحبوط العمل والوقوع في العذاب الأليم، نسأل الله تعالى أن ينجينا من سوء الخاتمة، إنه على ما يشاء قدير.

المطلب الثاني: مظاهر الغفلة في حياتنا المعاصرة

إنَّ الغفلة إذا عمَّ خطرُها، أوْشكتُ بالهلاك للأُمم، وإنَّ اليقظة والبصيرة إذا لاح سبيلُها، فنعم الطريق للسالكين، وإنَّ أخطر ما تمرُّ به الأُمَّة اليوم هذا الداء القاتل، الذي بدتْ مظاهرُه في كثيرٍ من مجالات الحياة الإسلامية، في المجال الفردي، وفي المجال الجماعي، وهذه صور ونماذج تدلُّ على فُشُو الغفلة في الأُمَّة الإسلامية، بل وفي غيرها من الأُمم.

المسألة الأولى: الغفلة عن أشراط الساعة

من مظاهر الغفلة في حياة كثيرٍ من الناس اليوم: الغفلة عن علامات الساعة وأشراتها، حيث إنَّ الله تعالى جعل ظهور هذه العلامات دليلاً على اقتراب يوم القيامة، ومحاسبة الله للخلائق، كلُّ يُجْزَى بعمله؛ كما قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١]، وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ [محمد: ١٨]، وقوله: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ أي: وهم غافلون عنها، (فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) أي: أمارات اقترابها^(٢)، ومع ذلك يقع الناس في غفلة شديدة، حيث يرون انتشار الرِّيا، وشرب الخمر والمسكرات، وضرب المعازف، وكثرة الفواحش والمنكرات، ولا يلقون بالألمثل هذه العلامات الكبيرة، والتي تستوجب عليهم التوبة إلى الله منها، والاستعداد للدار الآخرة.

(١) انظر: جامع البيان، (٣٥٥/٣٠).

(٢) تفسير ابن كثير، (٧/٣١٥).

المسألة الثانية: الغفلة عن المهمات والأولويات:

ومن هنا كذلك الغفلة عن المهمات والأولويات، والانشغال بالتوافه والشهوات، وما يلحق بها ممّا يُضيع الأعمار والأوقات، فنجد في أمتنا من شغل بالنساء، ونجد من شغل بالنوادي والمباريات، بينما كان الواجب عليهم الانشغال بما هو أولى وأجدى، وأنفع في الدنيا والآخرة.

فالانشغال بتصحيح التوحيد والعقيدة والعبادة، وتهذيب الأخلاق، والانشغال بالدعوة إلى الله، وهداية الناس، وتصويرهم بقضايا الأمة وهمومها وبتربية الشباب بالعلم الشرعي، وإعدادهم للجهاد في سبيل الله تعالى - كل ذلك أولى وأجدى، وأهم وأنفع من غيره من كثير من التوافه والملهيات.

المسألة الثالثة: الغفلة عن الدار الآخرة والاستعداد لها:

ومن مظاهر الغفلة أيضاً: الغفلة عن الدار الآخرة - يوم القيامة - والاستعداد لها، والركون إلى حب الدنيا وزينتها، والانغماس الشديد في طلبها، واستعجال الترف والمتعة، واللذة والراحة في دار الحياة الدنيا؛ كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠ - ٢١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]، "تعليل للنهي عن إطاعتهم في قوله: (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آتِمًا أَوْ كَفُورًا) [الإنسان: ٢٤]، أي لأن خلقهم الانصباب على الدنيا مع الإعراض عن الآخرة إذ هم لا يؤمنون بالبعث فلو أعطاهم لتخلق بخلقهم"^(١).

المسألة الرابعة: الاستخفاف بأوامر الله ورسوله

ومن هنا الاستخفاف والاستهانة بأوامر الله ورسوله، ومقارفة الكبائر والمحرمات، وترك التورع عن فعل الذنوب والسيئات، حيث دبّ في كثير من الناس هذا الداء، فلا يكاد المرء يستحي من فعل الفاحشة ولا مقدماتها، ولا من أكل الربا وأموال الناس بالباطل، ولا يتورع بنفسه عن مواطن الشبهات والمحرمات، ولا ينأى بنفسه عن سماع الغناء والمعازف، كما قد يظن بعضهم أن ذلك من القضاء والقدر، وأنه كتب عليه حظه من الزنا وأنه مدرك ذلك لا محالة، وأن ما وقع فيه ليس إلا قدراً كتب في سابق الأزل، وهو فاعل لهذا القدر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

ومنهم من يقع في ذلك استهانةً منه بأنواع العقوبات، التي جاء الوعيد بها في الكتاب والسنة، ولا يعبأ بآيات القرآن والتدبر فيها، ولا النظر في عواقب ومصير الغافلين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من

(١) التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، (٢٩/٤٠٧).

المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه" (١).

المسألة الخامسة: الانشغال بالألعاب والرياضات

وهي من أهم مظاهر الغفلة في حياتنا المعاصرة، وقد حذر النبي ﷺ من الانغماس في بعض الألعاب التي كانت موجودة في عصره، وبين أنها سبب للغفلة، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال "مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا" (٢)، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ عَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُنَّ" (٣).

قال الحافظ ابن حجر: "هو محمول على من واطب على ذلك، حتى يشغله عن غيره من المصالح الدينية وغيرها" (٤).

فمن اشتغل بهذه الرياضة، وأصبحت همه الشاغل؛ فإن قلبه سيغفل، وسينسى الصلاة، وذكر الله، والطاعة، ولزوم الجماعة، ونحو ذلك.

فإذا كان اتباع الصيد يؤدي إلى الغفلة، مع أن الصيد فيه ما فيه من الفوائد البدنية التي تبني الجسم وتقويه، وتعينه على جهاد الأعداء، فما القول بألعاب النرد والميسر التي حرمها الله تعالى لأنها تلهي عن ذكر الله وتثير العداوة والبغضاء بين الناس وما القول في الألعاب الإلكترونية؟!.

إن الألعاب الإلكترونية في عصرنا من أكبر أسباب الغفلة؛ لأنها من أكبر الملهيات، وما تم اختراعه من أنواع الألعاب كفيel بأن يجعل القلب يعيش في غفلة آباءً ودهوراً.

فبسبب هذه الألعاب الإلكترونية تضيع الأوقات بالساعات، ويهدر العمر إهداراً عظيماً.

(١) سبق تخريجه، (ص ٨٢).

(٢) قوله ﷺ: (من سكن البادية جفا): أي غلظ قلبه وقسا، لأن سكان البادية لا يخالطون العلماء إلا قليلاً، فلا يتعلمون مكارم الأخلاق، ورأفة القلب على صلة الأرحام والبر، والغالب عليهم أن طباعهم كطباع الوحوش؛ لقلّة علمهم، ولبعدهم عن الناس.

قوله ﷺ: (من اتبع الصيد غفل) أي لازم اتباع الصيد، والاشتغال به، غفل عن طاعة الله؛ لأن قلبه يشتغل به، ويستولي عليه، حتى يصير فيه غفلة.

قوله "وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتُنَّ"، أي صار مفتوناً في دينه لأنه إن وافقه في كل ما يأتي به فقد خاطر على دينه، وإن خالفه فقد خاطر على دنياه، [انظر: في شرح المعاني السابقة، تحفة الأحوزي للمباركفوري (٥٣٢/٦)، وعون المعبود شرح سنن أبي داود، (٦١/٨)].

(٣) سنن أبو داود، كتاب الصيد، باب في اتباع الصيد، (ح ٢٨٥٩)، (ص ٥٠٧)، صححه الألباني.

(٤) فتح الباري، (٦٦٢/٩).

المسألة السادسة: التقليد الأعمى للكفار

التقليد الأعمى لأهل الكفر، والشرك مظهرٌ لا يكاد ترفع بصرك حتى تراه في مجالاتٍ كثيرة، حيث التقليدُ في شؤون القضاء، والحكم، والسياسة، والتبعية العمياء لدول الكُفر والإلحاد في ذلك، والتقليد في الملبس والمظهر، حيث الشبابُ المخذنت، والتغزل والغرام، وضحالة الثقافة والفكر، وضياع معالم الولاء والبراء في عقيدة المسلم، وحب التقليد الدائم والمستمر لكل ما هو غربي وشرقي.

وقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة تحذّر من هذا المسلك المذموم، حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال: "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبِيرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَتَبَعْتُمُوهُمْ"، قيل: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟!)(^١).

هذه أهم معالم ومظاهر الغفلة في حياة الأمة المعاصرة اليوم، والتي ينبغي عليها أن تتخلص منها؛ لتصحوا من رقادها، وتستبين طريقها، وإلا فإن الأمة ستظل مضروبةً بيد من الذل والهوان، من قبل أعدائها، وستظل تدور حول رجاها بلا طعام يُشبعها، ولا منهج يهديها.

(^١) صحيح البخاري، كتاب الإعتصام، باب قول النبي ﷺ "لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ"، (ح ٧٣٢٠)، (ص ١٣٩٦).

الفصل الرابع

سبل الوقاية من الغفلة وطرق علاجها

المبحث الأول: سبل الوقاية من الغفلة

المبحث الثاني: علاج الغفلة

المبحث الأول

سبل الوقاية من الغفلة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تحقيق الإيمان

وفيه أربع مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بالله وآياته ورسوله

المسألة الثانية: إخلاص النية لله

المسألة الثالثة: دوام الاستقامة

المسألة الرابعة: القيام بالأعمال الصالحة

المطلب الثاني: اجتناب المنهيات

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: اجتناب الشرك بالله

المسألة الثانية: اجتناب الفساد

المسألة الثالثة: اجتناب الظلم

المطلب الثالث: الالتزام بالمأمورات

وفيه ست مسائل:

المسألة الأولى: طاعة الله ورسوله

المسألة الثانية: الصبر

المسألة الثالثة: التقوى

المسألة الرابعة: التوبة

المسألة الخامسة: الذكر

المسألة السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

المبحث الأول

سبل الوقاية من الغفلة

المطلب الأول: تحقيق الإيمان

بعد أن انتهينا من بيان أسباب الغفلة بالشرح والتوضيح، كان لا بد لنا من وقفة على سبل الوقاية التي هي بمثابة الذراع الحامي، والواقى للإنسان من الوقوع في الغفلة، وهذه السبل هي الطرق التي تصل بالإنسان إلى الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وهي متمثلة في أربعة مطالب، منها ما يتعلق بالإيمان والتوحيد، ومنها القيام بالأعمال الصالحة، ومنها اجتناب المنهيات، ومنها الالتزام بالمأمورات.

وسنتناول هذه المطالب بالشرح والبيان، ليتضح لنا مدى أهميتها، ويتخذها الإنسان وقاية له من الوقوع في الغفلة، ولذلك كان المثل المشهور: "درهم وقاية خير من قنطار علاج"^(١).

إن أول سبيل من سبل الوقاية من الغفلة يدور حول تحقيق الإيمان، وهذا المبحث من أخطر المباحث شأنًا، وأعظمها قدرًا، لأنه أصل الأصول في النظام العام لحياة المسلم بكاملها، فالإيمان هو الذي أمرنا الله أن نلتزم به، ونحققه في حياتنا، لأنه السبيل إلى فلاحنا يوم القيامة، ونجاتنا من نار جهنم.

وقد حصر الله ﷻ الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنًا وظاهرًا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [الأنفال: ٢-٣].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

والإيمان الكامل هو الإيمان الشامل لكل من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، والقضاء والقدر خيره وشره، والإيمان بالغيب، والبعث، والحساب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن وفد عبد القيس... أمرهم النبي ﷺ بأربع ونهاهم عن أربع، أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: "أتدرون ما الإيمان

(١) قالوا في المثل، موسوعة في الأمثال والحكم السائرة نثرًا وشعرًا، عيسى عطا الله (١٥٥/١).

بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تُعطوا من المغنم الخمس...^(١).

وقوله تعالى: ﴿ كَيْسَ الْبِرِّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ
وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فالإيمان فرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان^(٢).

"وكل أعمال الإسلام بمثابة الثمرة للتوحيد الذي هو - بمعناه العقدي - سبيل الفلاح، وسعادة الأبد، وأساس لقبول الأعمال، ووسيلة لمغفرة الذنوب - وبمعناه العام - هو شرط في نجاح الأعمال، وانطلاقها في همة وانتظام، إذ الطائفة إن لم تتوحد قيادتها سقطت، والسماوات والأرض لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"^(٣).

ومن تحقق الإيمان في قلبه حقاً فقد نال أجره كاملاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢]. وفاز فوزاً عظيماً، وكان من المفلحين، ونال ما وعده الله - سبحانه وتعالى -
به يوم القيامة من نيل رضوان الله ورحمته، ودخول جنته، لقوله تعالى: ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا
مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوبُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَهُمْ فِيهَا أزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
[البقرة: ٢٥].

وتحقيق الإيمان نبرزه - إن شاء الله - من خلال المسائل التالية ليظهر لنا فوز المؤمن الموحد وفلاحه، وبالتالي فإنه يتقي الغفلة في الدنيا والآخرة:

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، (ح ٥٣)، (ص ٦).

(٢) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ حكيم (٢/٥٩٧، ٦٠٠).

(٣) شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة، عبد الكريم تتان، ومحمد الكيلاني (١/١٢١).

المسألة الأولى: الإيمان بالله وآياته ورسوله

من رحمة الله بعباده أنه أنار لهم طريق الهداية، ودعاهم إلى الإيمان بالله الواحد القهار، المستحق للعبادة دون غيره، والإيمان بآياته، والإيمان برسوله جميعاً - صلوات الله عليهم وسلامه - لأنهم عباد الله المختارون من قبل الله، لتبليغ رسالاته وبيانها لعباده، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالإيمان هو السبيل الوحيد لنجاة الإنسان من الوقوع في الغفلة، والنجاة يوم القيامة مما هو أشد وأهول لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة: ٦٩]. وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣].

"ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا) من مكاره الدنيا والآخرة، وشدائدهما، (كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا) أوجبناها على أنفسنا (نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ) وهذا من دفعه عن المؤمنين، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا فإنه بحسب ما مع العبد من الإيمان - تحصل له النجاة من المكاره"^(١).

والمؤمن إيماناً حقاً هو الذي يستجيب لدعوة ربه، ويسارع إليها، ويخلص في إيمانه ودينه، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [الشورى: ٢٦].

لأنه يدرك أن الإيمان هو سبيل نجاته في الدنيا والآخرة، وبه ينال الفلاح والفوز يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى..... ﴾ [الرعد: ١٨].

قال تعالى: ﴿ ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

في هذه الآية، شهادة وتنصيب من الله - سبحانه وتعالى - لرسوله ﷺ على صحة إيمانه، وأنه حازم في أمره غير شاك، والمراد إيمانه بذلك إيماناً تفصيلياً متعلقاً بجميع ما فيه من الشرائع

(١) تفسير السعدي، (١/٣٧٤).

والأحكام المذكورة، وفائدة هذه الأخبار أن يبين للمؤمنين زيادة شرف الإيمان، حيث مدح به رسوله ﷺ
والمؤمنون جميعاً آمنوا بالله وحده من غير شريك له.

وتغير سبك النظم الكريم عما قبله، لتأكيد الإشعار لما بين إيمانه ﷺ المنبئ عن المشاهدة والعيان،
وبين إيمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان، والإيمان بالملائكة، من حيث إنهم عباد مكرمون،
معصومون، ومطهرون: ﴿... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيم: ٦].^(١) والإيمان
بكتبه ورسله من حيث محبيتهما من عند الله تعالى، على وجه يليق بشان كل منهما لإرشاد الخلق إلى
ما شرع لهم من الدين بالأوامر والنواهي، من غير تفرقة بين أحد من الرسل وبين غيره في الإيمان، بل
نؤمن بجميعهم^(٢).

وقوله تعالى (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) "هذه الآية حكاية لامتنالهم
بالأوامر، إثر حكاية إيمانهم، فقالوا سمعنا بأذان قلوبنا، وعلمنا صحته، وتيقنا أن كل تكليف ورد
بواسطة الرسول إلينا حق، وأطعنا أمرك وقبلناه عن طوع، واجتنبنا عن نهيك، فنطلب غفرانك يا رب
لذنوبنا، فإليك الرجوع بالبعث والموت لا إلى غيرك"^(٣).

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾
[الجاثية: ٣٠]، يُخبر الله تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ) أي: أمنت قلوبهم، وعملت جوارحهم الأعمال الصالحة، وهي الخالصة الموافقة للشرع
فيدخلهم في رحمته وهي الجنة، عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ " ... فقال للنار! أنت عذابي
أنتقم بك ممن شئت، وقال للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من شئت"^(٤).

وقوله تعالى: (ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) أي: البين الواضح، إن عفا الله عنك بتلك الرحمة ستكون
مسروراً مع المسرورين، بأبدان قد طهرت، ووجوه قد أشرقت وأنارت، فهي كالبدر، قد سطع من
أعراضهم كشعاع الشمس، ذلك هو الفوز المبين^(٥).

(١) انظر: المقتطف من عيون التفاسير، المنصوري، (١/٢٩٥).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود (١/٤٧٨) التسهيل لعلوم التنزيل، الكلبي،
(١/١٣٣).

(٣) المقتطف من عيون التفاسير، المنصوري، (١/٢٩٦).

(٤) سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة عن رسول الله، باب ما جاء في احتجاج الجنة والنار (ص ١٩٠٩)، (ح ٢٥٦١)،
قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(٥) انظر: في رحاب التفسير، لكشك (٦/٥٥٣٨).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَرَزَقْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ * لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

إذن كما نرى فهذا جزاء من آمن بالله - سبحانه وتعالى - وعمل ما يرضى الله عنه ويقبله، فلم يخب الله ظنه، فقال العبد ما تمنى دون أن ينقص شيئاً من أجره لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٦٠].

وتستمر مكافأة الله - سبحانه وتعالى - لعباده المؤمنين يوم القيامة بالفوز وبمغفرة الله، ورضوانه، ودخول جنته.

قال تعالى: ﴿ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [الصف: ١١-١٢].

تهتف الآيتان بالذين آمنوا، تهتف بهم إلى أرباح تجارة في الدنيا والآخرة، تجارة الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيل الله، ثم يعقب الله على عرض هذه التجارة التي دلهم عليها بالتحسين والتزيين بقوله: (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، ثم يفصل هذا الخير الذي سينالونه، بغفران ذنوبهم، ودخول جنات تجري من تحتها الأنهار، والعيش في قصور عالية مريحة في جنات إقامة، فذلك فوز لهم لا فوز وراءه^(١).

وقال تعالى أيضاً: ﴿ ... وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التغابن: ٩]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ [البروج: ١١].

وتتوالى الآيات في بيان جزاء هؤلاء المؤمنين والمؤمنات الذين آمنوا وأطاعوا الله دون مماطلة أو تهرب لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ * فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣٥٥٩/٢٨).

مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٣-١٩٥﴾. [آل عمران: ١٩٣-١٩٥].

واستجابة الله لدعائهم وطلبهم، لأنهم أخلصوا في إيمانهم وسارعوا لتلبية النداء، وقوله تعالى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥].

وكما ندرك بأن المفلحين في الدنيا والآخرة هم من يتبعون طريق الهداية، ويؤمنون بالله - سبحانه وتعالى - وبما أنزله على رسله - عليهم الصلاة والسلام - إذن هؤلاء على هدى من ربهم، لا يعصونه، ويتبعون ما أمرهم به.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ * أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤-٥﴾. [البقرة: ٤-٥].

والمراد بالمؤمنين في هذه الآية هم الذين يؤمنون بالنبى عليه الصلاة والسلام والقرآن، من أهل الكتاب، فيؤمنون بالقرآن الذي يُتلى، المنزل على النبى ﷺ ويؤمنون بالتوراة والإنجيل، وسائر الكتب السالفة، إيمانًا إجماليًا لا تفصيليًا، ويؤمنون بالدار الآخرة، وهي دار الجزاء على الأعمال، والإيمان بها يتضمن الإيمان بكل ما ورد فيها بالنصوص المتواترة كالحساب، والميزان، والصراط، والجنة، والنار^(١).

وذكر الحرف "على" في قوله تعالى: (أَوْلَيْكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ) يدل على تمكنهم من الهدى، واستقرارهم عليه، وتمسكهم به، بحيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه.

وقوله: (وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) أي: الظافرون بما طلبوا، الناجون مما هربوا، فالفلاح إدراك البغية، والمفلح: الفائز بالبغية بعد سعي في الحصول عليها، واجتهاد في إدراكها، كأنه انفتحت له وجوه النظر، ولم تستغل عليه^(٢).

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصص: ٦٧].

تتحدث الآية عن تائب وآمن بالله - سبحانه وتعالى - وعمل صالحاً في دنياه، وما ينتظره من الرجاء في الفلاح يوم القيامة^(٣).

(١) انظر: تفسير المراغي، (٦٨/١).

(٢) انظر: الأساس في التفسير، لسعيد حوى، (٦٨/١).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٢٧٠٦/٢٠).

قوله تعالى: (فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) أي: "الفائزين بالمطلوب عنده تعالى، و(عسى) للتحقيق على عادة الكرام، أو للترجي من قبل الطالب، أي: راجياً الفلاح من ربه الكريم"^(١).

المسألة الثانية: إخلاص النية لله

من الإيمان تحقيق الإخلاص في الأقوال والأفعال، والمؤمن مطالب من الله سبحانه وتعالى بتحقيق الإخلاص في أقواله، وأفعاله، وعباداته، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وجاء في أكثر من آية من سورة الزمر أمر الله - سبحانه وتعالى - المؤمنين بالإخلاص في العبادة له سبحانه وتعالى منها قوله تعالى: ﴿... فَأَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وما دام هذا أمر من الله، إذن لا بد من الأخذ به وتنفيذه.

والنية ركن أساس في كل ما يقوم به الإنسان، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الأعمال بالنيات..."^(٢)، فكل إنسان يعطى على قدر نيته، فإن أخلص النية فاز ونال، وكافأه الله فحماه ووقاه من أن يكون للشيطان عليه سبيل وسلطان لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥].

واعترف الشيطان بهذه الحقيقة لقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

وقوله تعالى: ﴿... وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٦].

أن الشوائب المكدرة للإخلاص متفاوتة، ومنها الرياء وغيره من حظوظ النفس، وبصعب تنقية القلب من هذه الشوائب، لأن الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب التقرب إلى الله تعالى، لذلك قيل: من سلم له في عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله تعالى نجا، وذلك لعزة الإخلاص، ومن لم يخلص النية لله تعالى فقد خسر وخاب^(٣).

(١) المقتطف من عيون التفاسير، للمنصوري، (١٥٨/٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي، (ح ١)، (ص ١).

(٣) انظر: منهاج المؤمن، د. مصطفى مراد، (ص ٣٥٠).

إذن فواجب المؤمنين طاعة الله - سبحانه وتعالى - وتحقيق الإخلاص في حياتهم الدنيا لينالوا الأجر، ويحوزوا على الفوز والفلاح يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الرُّوم: ٣٨].

والخطاب في هذه الآية موجه للنبي ﷺ والمراد به أمته، فيأمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه، ومن تبعه من المؤمنين بإعطاء القرابة حقوقهم من الصلة والعطف عليهم ومساعدتهم، وإعطاء المعدم الذي لا مال له، أو له شيء ولكن لا يقوم بكفايته، وإعطاء المسافر المحتاج نفقة سفره، فهذه هي أخلاق الإسلام في المؤاخاة والتكافل والتراحم والتعاون.

وكل ذلك خير للذين يريدون ذات الله - سبحانه وتعالى - أو جهة القرابة منه بإخلاصه في الإعطاء، فإن من أنفق ألوفاً رياءً وسمعة، لم ينل درجة من أنفق رغبةً لوجه الله - سبحانه وتعالى - فهؤلاء هم المفلحون الفائزون بالنعيم المقيم، وبمطلوبهم من الثواب في الآخرة^(١).

المسألة الثالثة: دوام الاستقامة

الاستقامة جزء من الدين، حيث إن الدين الإسلامي له جانبان: جانب نظري وهو الإيمان إذا وقر في القلب، وجانب عملي وهو تنفيذ التكاليف أمراً ونهياً، إذن الاستقامة هي العمل بأعمال الشريعة، أو لزوم منهج الله الذي بينه في كتابه أو بينه النبي ﷺ في سنته.

والآيات الكريمة، والأحاديث النبوية خير شاهد على ذلك لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأحقاف: ١٣ - ١٤].

وقول النبي ﷺ وقد سأله أحد أصحابه - رضوان الله عليهم - يا رسول الله: قل لي قولاً في الإسلام لا أسأل عليه أحداً غيرك، فيقول ﷺ: " قل آمنت بالله ثم استقم"^(٢).

ولكون الاستقامة هي الجانب العملي لهذا الدين فقد أمرنا الله - سبحانه وتعالى - بالاستقامة وتحقيقها في حياتنا لقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ... ﴾ [هود: ١١٢].

(١) انظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان على مصحف التهجد، للنيسابوري، (٢١/٢٦٩١).

(٢) مسند أحمد، (ح ١٥٤١٧)، (٢٤/١٤٢)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح .

وقوله تعالى: ﴿... فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ...﴾ [فصلت: ٦]، وقوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَعِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ...﴾ [الشورى: ١٥] (١).

فعلى المؤمن السمع والطاعة لينال الفلاح والفوز يوم القيامة، وسوف نوضح آية لبيان جزاء من أطاع الله بالأخذ بالاستقامة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠-٣١].

هذه الآية تبين حسن أحوال المؤمنين في الدنيا والآخرة وذلك جزاء ما فعلوه من الاعتراف بربوبية الله تعالى، والإقرار بوحدانيته، ثم استقاموا ومنها خمسة أوجه:

أحدها: ثم استقاموا على أن الله ربهم وحده، وهو قول أبي بكر رضي الله عنه ومجاهد.

الثاني: استقاموا على طاعته وأداء فرائضه، قاله ابن عباس والحسن وقتادة رضي الله عنهم.

الثالث: على إخلاص الدين والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية والسدي.

الرابع: ثم استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم.

الخامس: ثم استقاموا سرًا كما استقاموا جهراً.

ويحتمل سادساً: أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي، لأن التكليف يشتمل على أمر بطاعة تبعث على الرغبة، ونهي عن معصية تدعو إلى الرهبة (٢)، فجزاؤهم أنهم تنتزل عليهم الملائكة، قيل: عند الموت، قاله مجاهد وزيد ابن أسلم (٣) والسدي، وقيل: عند خروجهم من قبورهم للبعث، وقيل: تنتزل عليهم يمدونهم فيما يعين، ويطراً لهم من الأمور الدينية والدينيوية بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام، فلا تخافوا على ما أمامكم، ولا تحزنوا على ما خلفكم، أو لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم، فالله يذهب عنهم الخوف والحزن كما جاء أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]،

(١) انظر: خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة، د. فضل عباس، (ص ١٤٦).

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي، (١٧٩/٥).

(٣) زيد بن أسلم بن ثعلبة العجلاني، شهد بدرًا، وقيل: قتله طليحة بن خويلد الأسدي أول خلافة أبي بكر. [انظر: أسد

الغابة، لابن الأثير، ١٣٥/٢].

وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدونها في الدنيا على السنة الرسل عليهم السلام، وقوله تعالى: (نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) أي: أعوانكم في أموركم نلهمكم الحق، ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم، (وَفِي الْآخِرَةِ) نمدكم بالشفاعة، ونتفلكم بالكرامة، ولكم في الآخرة ما تشتهي أنفسكم من فنون الملاذ، وما تتمنوناه، أو تدعي أنه لك، فهو لك بحكم ربك^(١).

المسألة الرابعة: القيام بالأعمال الصالحة:

الإنسان الذي يعيش على سطح الأرض لا بد أن يقوم بعدة أعمال، والأعمال نوعان: منها الأعمال السيئة، ومنها الأعمال الصالحة، وأي عمل من هذين العاملين يقوم به الإنسان سوف يحاسب عليه يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [الجاثية: ١٥]، ولا يستويان أبداً من قام بفعل الأعمال الصالحة، ومن قام بفعل الأعمال السيئة، فشتان بين هذا وهذا، لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر: ٥٨]. وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وعلى الإنسان أن يخلص أثناء قيامه بأعماله الصالحة، وأن يبتغي بها وجه الله - سبحانه وتعالى- أما إذا كان الأمر غير ذلك فإنه لا يقبل منه، قال رسول الله ﷺ: "من تعلم علماً يبتغي به وجه الله ﷻ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد، عرف الجنة يوم القيامة، يعني ربحها"^(٢)، ولكن الإنسان المؤمن النقي حري به القيام بالأعمال الصالحة، بل هو حريص على أن يقوم بها سواء أكانت عبادات، أم معاملات، أم أخلاقيات، أم فعل القربات، التي تقر به من الله - سبحانه وتعالى-؛ لأنه يعلم بأنها أعمال يرضى عنها الله ﷻ، بل سوف يكافئه الله - سبحانه وتعالى- على تلك الأعمال وهذه المكافئة بمثابة الفوز والفلاح له في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ [الجاثية: ٣٠] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [القصاص: ٦٧].

(١) انظر: روح المعاني، للألوسي (١٨٦/١٣)، النكت والعيون، للماوردي (١٨٠/٥).

(٢) سنن أبو داود، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى، (ح ٣٦٦٤)، (ص ٥٥٤)، قال الألباني: صحيح.

المطلب الثاني: اجتناب المنهيات:

لقد نهى الله ﷻ عن أمور لا يرضاها لعباده، فحذرهم منها، وتوعدهم على فعلها، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي مِثْبُتٌ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لِمَا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي...﴾ [غافر: ٦٦] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ...﴾ [المتحنة: ٩]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ مَهَّوْا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا مَهَّوْا عَنْهُ...﴾ [المجادلة: ٨]. وقد وعد الله الذين يجتنبون المنهيات بتكفير سيئاتهم وإدخالهم جنته، قال تعالى: ﴿إِنْ مَحَبَّتُوكُمْ كَبَّأْتُمْ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

ولذلك أمر الله باجتناب الشرك، والفساد، والظلم، وأكل الربا، والشح وغيرها مما سنبينه فيما يلي:

المسألة الأولى: اجتناب الشرك بالله:

"أفزع أنواع الأمراض التي تبلى بها الحياة البشرية الشرك بالله؛ لأنه إعطاء الربوبية لغير مستحقها، وتقديم أنواع من العبودية لمن لا يستأهلها، ثم هو تمزيق وتشتيت للقلب البشري، فلا يتوجه بعد ذلك إلى جهة واحدة في العبودية والتلقي، ولا ينطلق في الحياة عن مشكاة واحدة، ولا بصيرة شاملة، فتراه يعبد لحجر أو شجر أو كون أو إنسان أو مجتمع، ثم تتابع حلقات الانحراف"^(١).

ولعظم الإشراك بالله - سبحانه وتعالى - نهانا الله من الوقوع فيه، وأمرنا باجتنابه بعبادة الله وحده لا شريك له، لقوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا...﴾ [النساء: ٣٦]. وقال أيضا: ﴿... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. وقوله تعالى: ﴿... قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٣٦]، ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً، لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]. وقوله تعالى: ﴿... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وكذلك حذرنا النبي ﷺ منه، حيث قال النبي ﷺ: "انقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقيل له: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ فقال: قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه"^(٢).

(١) المستخلص في تزكية النفوس، لسعيد حوى، (ص ١٨٨).

(٢) مسند أحمد، (ج ١٩٦٠٦)، (٣/٣٨٣)، قال الأرنؤوط: الحديث صحيح.

وَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ الشُّرْكَ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، لِأَنَّ الشُّرْكَ ظَلَمَاتٌ مِتْرَاكِمَةٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وَحَجَبٌ مِتْلَاظِمَةٌ لَا يَقْرَأُ لَهَا قَرَارٌ، فَهُوَ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ عَبْدًا لِلْمَخْلُوقِ، وَاعْتَبَرَ النَّبِيُّ ﷺ الشُّرْكَ مِنَ السَّبْعِ الْمَوْبِقَاتِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمَوْبِقَاتِ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ!، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: "الشُّرْكَ بِاللَّهِ..."^(١).

وَالْحَيَاةُ الَّتِي يَهَيِّمُنَ عَلَيْهَا الشُّرْكَ وَظَلَمَاتُ الْإِلْحَادِ، هِيَ حَيَاةٌ بَهِيمِيَّةٌ، تَعَاظِمُ النَّفُوسَ الزَّكِيَّةَ، وَتَأْتِفُهَا الطَّبَائِعَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَهَذِهِ الْمَخْلَفَاتُ الَّتِي تَتْرَكُهَا وَرَاءَهَا رَوَاسِبُ الشُّرْكَ وَالْوَثْنِيَّةُ تَعْوِقُ مَسِيرَةَ الْحَيَاةِ، وَتَخَالَفُ السَّنَنَ الْكُونِيَّةَ^(٢)، لِذَلِكَ نَهَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وَالنَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشُّرْكَ بِأَنْوَاعِهِ الْمَخْتَلِفَةِ لِمَا لَهُ مِنْ مَفَاسِدٍ وَأَضْرَارٍ كَثِيرَةٍ تَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَالْمُؤْمِنِ هُوَ الَّذِي يَكُونُ حَرِيصًا عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الشُّرْكَ لِنَيْلِ الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ بِلِقَاءِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْحَصُولِ عَلَى رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، وَمَغْفِرَتِهِ وَالْفَوْزِ بِجَنَّتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وأورد النيسابوري عدة روايات في سبب نزول هذه الآية:

"قال ابن عباس: نزلت في جندب بن زهير العامري، وذلك أنه قال: إني أعمل العمل لله، فإذا أطلع عليه سرتي، فقال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، ولا يقبل ما روتني فيه" فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال طاووس: قال رجل: يا نبي الله إني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى مكاني! فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مجاهد: جاء رجل إلى النبي فقال: إني أتصدق، وأصل الرحم، ولا أصنع ذلك إلا لله سبحانه وتعالى، فيذكر ذلك مني وأحمد عليه، فيسرتني ذلك، وأعجب به، فسكت رسول الله ﷺ، ولم يقل شيئًا صالحًا، فأنزل الله تعالى: (... فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان (ح ٥٠)، (ص ٦).

(٢) انظر: مصرع الشرك والخرافة لخالد علي الحاج (ص ١٧٤).

(٣) أسباب النزول، للنيسابوري، (ص ٢٣٠).

"عن طاووس^(١) قال: قال رجل: يا رسول الله، إنني أقف أريد وجه الله، وأحب أن يُرى موطني، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية.

وعن ابن عباس قال: قال جندب بن زهير: إذا صلى الرجل أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لمقالة الناس له فنزلت في ذلك (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ)^(٢)، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ...)، فالخطاب موجه إلى النبي ﷺ فيأمره الله - سبحانه وتعالى - أن يقول لهم بعد ما بين الله شأن كلمته إنما أنا بشر، لا أدعي الإحاطة بكلماته سبحانه، فيوحي إلي من تلك الكلمات، وبهذا تميزت عنكم، وأمره أن يخبرهم أن الله إله واحد لا شريك له في الخلق، ولا في سائر أحكام الألوهية، فمن يرجو حسن لقاء ربه، وقيل: رؤيته تعالى كما هو حقيقة اللفظ.

وقوله تعالى: (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) أي: خالصاً فيما بينه وبين الله تعالى، لا يريد به إلا وجه الله، وقوله تعالى: (وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)، أي: لا يخلط ولا يرئى، وقيل: لا يشرك إشراكاً جلياً ولا إشراكاً خفياً كما يفعله أهل الرياء، وقال سعيد بن جبير: فمن كان يرجو أي: من كان يرجو ثواب ربه فلا يشرك به أحداً^(٣).

المسألة الثانية: اجتناب الفساد:

إن الفساد جريمة عظيمة، نهى الله عنها نهياً جازماً، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١-١٥٢]. وقد جعل الله الفساد صفة للمنافقين الذين يظهرون بمظهر الصلاح، وهم المفسدون حقيقة، والفساد لا يتجاوزهم إلى غيرهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

(١) طاووس بن كيسان اليماني، أبو عبد الرحمن الجيميري مولاهم، الفارسي، يقال: ابن ذكوان، وطاووس لقب، ثقة فقيه، فاضل، مات سنة ست ومائة، وقيل: بعد ذلك [انظر: تقريب التهذيب، ص ٢٨١].

(٢) لباب النقول في أسباب النزول، للسيوطي، (ص ٢٨٧).

(٣) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (٣١٥/٢)، المقطف من عيون التفاسير، للمنصوري، (٢٨٧/٣).

وقد جعل الله صفة الفساد لليهود أيضاً، فقال تعالى: ﴿... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقد نصح قوم قارون هذا الملك المفسد بترك الفساد، قال تعالى: ﴿... وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]. ولذلك جعل الله الدار الآخرة، والفوز بالجنة، والنجاة من النار والخسران للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

"عن علي ؓ أنه كان يمشي في الأسواق وحده وهو وال، يرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبقال والبيع، فيفتح عليه القرآن، ويقرأ (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) ويقول: نزلت هذه في أهل العدل والتواضع، في الولاية، وأهل القدرة من سائر الناس"^(١).

قوله تعالى: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) إشارة تعظيم كأنه قيل: تلك الجنة التي سمعت بخبرها، وبلغك وصفها، وتلك الدار نجعلها للذين لا يريدون ارتفاعاً، وغلبة وتكبراً، وتسلطاً، كما أراد فرعون، حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٨٣]، (وَلَا فَسَادًا) أي: ظلماً، وعدواناً على الناس كما أراد قارون، حيث قال تعالى في حقه على لسان الناصح: ﴿... وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]، (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) أي: الحميدة، يعني للذين يتقون العلو والفساد، وما لا يرضاه الله من الأقوال والأفعال، فعن علي ؓ أن الرجل ليعجبه أن يكون شريك نعله أجود من شريك نعل صاحبه، فيدخل تحتها، يعني: أن من تكبر بلباس يعجبه، فهو ممن يريد علواً في الأرض^(٢).

المسألة الثالثة: اجتناب الظلم:

الظلم ظلمات يوم القيامة لذلك حرم الله - سبحانه وتعالى - الظلم، ونهانا عنه، بل توعدهم بالظلم بالعباد الشديدي في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمِ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ هُمُ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [الشورى: ٤١-٤٢].

(١) الدر المنثور في التفسير المأثور، للسيوطي، (٤٤٤/٦).

(٢) انظر: روح البيان في تفسير القرآن، للبروسوي (٤٦٧/٦)، تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (٤٠٦/٢٠)، المصحف المفسر، لمحمد وجدي (٥٢٣/٢٠).

[٤٢]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٥٢].

وكذلك حذرنا النبي ﷺ من الظلم، ومن دعوة المظلوم، قال عليه الصلاة والسلام: يقول الله تعالى: (يا عبادي! إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته عليكم محرماً فلا تظالموا...) (١)، وقوله تعالى أيضاً: (ياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) (٢)، وعن ابن عباس ؓ أن النبي ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن فقال: "اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب" (٣)، وكل ذلك لأن الظلم عاقبته وخيمة، وآثاره ومفاسده كثيرة فأمرنا الله سبحانه وتعالى باجتنابه وعدم الوقوع فيه، والمسلم المؤمن مأمور بمقاومته، ورده عنه، والتوبة إلى الله - سبحانه وتعالى - إن وقع فيه، فإن تاب غفر الله له، قال تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩]. ووعد الله بالنصر أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج ٣٨ - ٣٩]، ومن يصبر على الظلم كذلك، فقد وعده الله بالأجر والثواب. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤١].

يخبر الله تعالى في هذه الآية بفضل المؤمنين الممتحنين الذين هاجروا في سبيل الله ابتغاء مرضاته، (مَنْ بَعْدَ مَا ظَلَمُوا) أي: من بعد ظلمهم بالأذية، والمحنة من قومهم، الذين يفتنونهم ليردوهم إلى الكفر والشرك، فتركوا الأوطان والخلان، وانتقلوا عنها لأجل طاعة الرحمن (٤)، وقيل: أي: من بعد ظلمهم، وقد كتب الله تعالى لهم الجزاء الحسن بصبرهم على الأذى، ونزول الظلم بهم، وهجرتهم ببعدهم عن الخلان والأحباب، والديار والأموال، وبيع أنفسهم لله تعالى حتى لا يطلبوا إلا مرضاته.

فذكر الله لهم ثوابين، ثواباً عاجلاً في الدنيا في قوله تعالى: (لَنَبُوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) والحسنة في الدنيا التي نالت المؤمنين والمهاجرين من بعد هي العيش الحسن، وأيضاً النصر على الشرك وأهله، وغنائم النصر، والتعاون، والإخاء، وإقامة حياة فاضلة في المدينة.

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، باب تحريم الظلم، (ح ٦٥٧٢)، (ص ١١٢٩).

(٢) مسند أحمد، (ح ٥٠٨٣٢)، (٨٩/١٠)، قال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب الانتقاء والحرز من دعوة المظلوم، (ح ٢٤٤٨)، (ص ٩٢).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي (ص ٤١٩).

وثواباً أجلاً في الآخرة في قوله: (وَلَا جُرْأَخِرَةَ أَكْبُرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)، وأجر الآخرة أكبر؛ لأنه نعيم مقيم، وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، فأكل الجنة دائم لا ينتهي، وليتهم يعلمون ذلك علم العيان والرؤية، لا علم الخبر والذكر، وفي ذلك بيان لفضله، وعظم شأنه^(١).

المطلب الثالث: الالتزام بالمأمورات

قد أمر الله عباده بأمور تدخلهم الجنة، وتقربهم من رحمته ورضوانه، وتسدد خطاهم على صراطه المستقيم، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَاءَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَجْهًا لِي وَأَلْبَسَنِي إِبْرَاهِيمَ الْأَبْرَاهِيمَ وَاللَّهُ يَهْتَدِي لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤]، وقال تعالى على لسان عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ مَا قُلْتُ هُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ... ﴾ [المائدة: ١١٧]. وقد أمر - سبحانه - بالاستقامة على أمره والثبات عليه، قال تعالى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود: ١١٢]، ومن هذه المأمورات طاعة الله ورسوله، مع الصبر والمصابرة، وتقوى الله ﷻ، والتوبة إليه، ودوام ذكره، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها مما سنوضحه فيما يلي:

المسألة الأولى: طاعة الله ورسوله:

أمرنا الله - سبحانه وتعالى - بطاعته، من خلال الالتزام بأوامره، واجتتاب نواهيه، وأمرنا بطاعة رسوله ﷺ بل جعل الله - سبحانه وتعالى - طاعتنا لرسوله ﷺ طاعة له سبحانه، وذلك لأن رسوله يبلغ عنه، قال تعالى: ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿ ... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧]. وعن النبي ﷺ قال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله ..."^(٢).

وقد جعل الله - سبحانه وتعالى - من أطاعه، وأطاع الرسول ﷺ مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ

(١) انظر: زهرة التفاسير، لمحمد أبو زهرة، (٨/٤١٨١).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، (ح ٤٧٤٩)، (ص ١٧٠٠).

وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿النساء: ٦٩﴾، ويستحق الأجر والثواب والفلاح من الله تعالى على ذلك لقوله تعالى : ﴿... فَأَلِدِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، والمؤمن الذي يستجيب لأوامر الله وأوامر النبي ﷺ سمعاً وطاعة فقد نال الأجر والثواب يوم القيامة، وكان من الفائزين المفلحين ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]. وقوله تعالى: ﴿... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١].

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

قوله تعالى: (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ) فهي إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في الآيات التي سبقتها والمتعلقة بأحوال اليتامى والزوجات، والوصايا، والمواريث، والله جعل هذه الشرائع حدوداً، لأنها مؤقتة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتعدوها إلى غيرها، ولما أشار الله إلى حدوده التي حدها ذكر أن من عمل بها هو مطيع لله ورسوله في جميع الأوامر النواهي، فإن الله يدخله الجنة تجري من تحتها الأنهار ماكتين فيها^(١)، وقوله (وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) أي: "الظفر والفلاح الذي لا يذكر بجانبه الفوز بحظوظ الدنيا القصيرة المنغصة بالأكدار"^(٢)، وقيل: "الذي حصل به النجاة، من سخطه وعذابه، والفوز بثوابه ورضوانه، بالنعيم المقيم، الذي لا يصفه الواصفون"^(٣).

المسألة الثانية: الصبر:

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تَطْعَمَنْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، الصبر فضيلة من أمهات الفضائل، وهو من أبرز الأخلاق التي عني بها القرآن العظيم، ويعتبر من دلائل صدق الإيمان، ووسيلة ضرورية يستعان بها في هذه الدنيا، وهو الدواء الشافي لنفس المصاب حيث يخفف حزنها وآلامها، فذلك الصبر ضروري للإنسان لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية، فهو ضرورة لازمة له ليرقى مادياً ومعنوياً، ويسعد فردياً واجتماعياً، فلا ينتصر دين، ولا تنهض أمة إلا

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (٣/٥٥٠).

(٢) تفسير المراغي، (٢/٢٠٣١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي، (ص ١٣٦).

بالصبر، والصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر.

وهو ضرورة لازمة لأهل الإيمان، لأنهم أشد الناس تعرضًا للأذى والابتلاء في أموالهم وأنفسهم، وفي كل عزيز لديهم، وكان أولوا العزم من الرسل أشد المرسلين ابتلاء فكان صبرهم محل القدوة والأسوة، كما قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾. [الأحقاف: ٣٥]، ولأهميته أمرنا الله - سبحانه وتعالى - به، في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه مع الصابرين في صبرهم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، يعينهم الله على المشاق، وما يواجهونه في حياتهم، ويكافئهم على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦]، وأنواع الصبر ثلاثة: الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر على المصيبة^(١).

والمؤمن الذي يستجيب لأمر الله - سبحانه وتعالى - فيتحدى بخلق الصبر، ويصبر على ما يصيبه فقد أعد الله له الجزاء العظيم، فهو يستحق البشرى، قال تعالى: ﴿... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وقال أيضًا: ﴿... وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النحل: ١٢٦]، وكذلك يبين الله أنه يحب أهل الصبر في قوله تعالى: ﴿... وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ويعدهم الله بمضاعفة الأجر، فقال: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤].

ويبين الله أيضًا أن ثوابهم غير محدود، بل هو موكول لفضل الله - تعالى - الذي لا حدود له ولا قيود، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ولهم الفوز والفلاح يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

يحض الله - تعالى - المؤمنين في هذه الآية على ما يوصلهم إلى الفلاح وهو: الفوز بالسعادة والنجاح، والطريق الموصل إلى ذلك هو: لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس عما تكرهه، من ترك

(١) انظر: الأخلاق في الإسلام د. كايد فرعوس وآخرون، (ص ١٢٣، ١٣٨).

المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم الله بالصبر على جميع ذلك، وأمرهم بالمصابرة أيضاً وهي: لزوم المحل الذي يخاف من وصول العدو منه^(١).

وقيل: " (اصْبِرُوا وَصَابِرُوا) بمعنى واحد للتأكيد، وقال الحسن، وقتادة، والضحاك، وابن جريج: اصبروا على طاعة الله في تكاليفه، وصابروا أعداء الله في الجهاد. (وَرَابِطُوا) في الثغور في سبيل الله، وقيل: استعدوا للجهاد"^(٢)، كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾ [الأنفال: ٦٠]، (وَاتَّقُوا اللَّهَ) أي: "خافوه فلا تعصوه، واعملوا بما أنزل، ولا تهملوه، وارضوا بما قسم فلا تكفروه، واستعدوا ليوم الرحيل فلا تنسوه، ثم تأتي النتيجة بعد ذلك (لَعَلَّكُمْ تُمْلِحُونَ)، أي: لتفلقوا، وتلك نتيجة أكيدة ويقينية، فمن صبر، وصابر، ورباط، واتقى الله؛ نال السعادة في الدنيا، ودار الكرامة في الآخرة، وسعد برضوان من الله ذلك هو الفوز العظيم"^(٣).

المسألة الثالثة: التقوى

التقوى خلق إسلامي حميد، وهي مرتبة سامية يتبوأها المسلمون الملتزمون بأوامر الله ونواهيه، والمراقبون له في كل أعمالهم وأقوالهم، إنها سفينة نجاة، وشهادة نجاح وفلاح، تمكن حاملها من رزق كريم في الدنيا، ومن خير عظيم في الآخرة، تجنبه العثرات، وتحفظه من كل سوء، وتكفل له السعادة التامة في الحياتين الدنيا والآخرة، إنها بطاقة عبور خضراء إلى جنة الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥٢].

فالمتقون هم أولياء الله وأحباؤه، يراعاهم برعايته، ويحفظهم بحفظه، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. والله معهم دائماً ينصرهم على أعدائهم، ويبسر لهم أسباب النجاح، ويجنبهم أسباب الزلل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ويجنبهم أيضاً بتقواهم همزات الشياطين، ويثبت أفئدتهم على الصراط المستقيم، وينير لهم معالم الطريق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، ويقربهم الله - سبحانه وتعالى - إليه ليكرمهم أحسن تكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص ١٢٩).

(٢) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (٤٨٥/٣).

(٣) في رحاب التفسير، لكشك، (٧٦٣/١).

[الحجرات: ١٣]، فما على المؤمن إلا أن يسارع بتنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى، فيلتزم التقوى في حياته، ويجعل التقوى نوراً بين عينيه؛ لينال جنات الخلد - إن شاء الله - قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦]. وقوله أيضاً: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٨].

ومن خلال عرض بعض النصوص القرآنية يخبرنا الله - تبارك وتعالى - بأن المتقين سيدخلون الجنة بعد أن تفتح لهم أبوابها ، وهم يستحقون ذلك عن جدارة^(١)، لقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * هُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [يونس: ٦٣-٦٤].

المسألة الرابعة: التوبة:

من رحمة الله تعالى بعباده، أن شرع التوبة للعاصي، لئلا يبأس من رحمة الله بمجرد المعصية، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء: ١١٦]، وكبلا يزداد العاصي انحرافاً وطغياناً، فقد فتح له طريق التوبة والرجوع إلى الصواب، وهي مبدأ طريق السالكين، ومفتاح سعادة المريرين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. وقال أيضاً: ﴿ ... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [النور: ٣١]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " قال الله تعالى: يا ابن آدم: إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك، يا ابن آدم: إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"^(٢).

(١) انظر: مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة، لطف العفيفي، (ص ٣٣).

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب الحديث القدسي: "يا ابن آدم إنك ما دعوتني..."، (ح ٣٥٤٠)، (ص ٢٠١٦)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

وقال الحسن البصري: التوبة النصوح: هي الندم بالقلب، والاستغفار، والترك بالجوارح، والإضمار أن لا يعود، ولهذا أوجب الله تعالى التوبة على عباده، قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]. وقال أيضا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التحریم: ٨].

والتوبة تكون بالقلب واللسان والجوارح، فبالقلب يكون التضرع، والتذلل، وباللسان الاعتراف بالظلم والاستغفار^(١)، عن علي عليه السلام أن النبي ﷺ قال: "ما من رجل يذنب ذنبًا، فيتوضأ ويحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين، ويستغفر الله ﷻ، إلا غفر له"^(٢)، وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ [القصص: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ ... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]، أمر الله تعالى في هذه الآية المؤمنين والمؤمنات بالتوبة، وهي ترك ما من شأنه أن يغضب الله تعالى، وفعل ما وجب فعله، ومن ذلك غض البصر، وحفظ الفرج، والالتزام بالعفة، والستر، والنتزه عن الإثم صغيره وكبيره، فأعلموا توبتكم، وارجعوا إلى الله بالطاعات، وامتنال أوامر الله ﷻ لتتأهلوا لرضاه، وتتأهلوا للفلاح، الذي هو الفوز بالنجاة من المرهوب، والظفر بالمحبوب المرغوب "الجنة" والسعادة في الدنيا والآخرة^(٣).

المسألة الخامسة: الذكر

أمرنا الله سبحانه وتعالى بذكره في كل وقت وحين؛ لأنه بذكر الله يحيا القلب، وتحيا العقيدة، وتنمو معاني الإيمان، ويطمئن القلب باليقين، قال تعالى: ﴿ ... أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]. ولن يحصل هذا الاطمئنان إلا إذا كان ذكر الله حاضرًا في القلوب مشعًا في النفوس، لا تبطره النعمة، فهو الشاكر عند التفضل، والذكر الذي يدخل القلب فيضيئه، ويملاً جوانب النفس من شعاع الحق والخير، ويزكو بالإنسان في رحاب الجمال والجلال، هو الذي يتأثر به الباطن لا الجاري على اللسان، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا... ﴾ [الأنفال: ٢].

(١) انظر: قطوف دانية من الكتاب والسنة، لمحمود القيسية، (ص ١٨١)، كتاب الأربعين في أصول الدين، للغزالي، (ص ١٤٣).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة، (ح ١٣٩٥)، (ص ٢٤٨)، قال الألباني: حسن.

(٣) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، للجزائري، (٣/٥٦٧)، المبصر لنور القرآن، لنانة صبري، (١٨/١٣١).

فالذكر نعمة من الله - سبحانه وتعالى - فعلى المؤمن أن يغتنم تلك النعمة فيجعل قلبه عامراً بذكر الله، ولسانه رطباً بذكر الله، ونفسه مشرقة وضاءة بذكر الله، وحريصاً على أن يذكر ربه في جميع أحواله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]^(١). فإن كان المؤمن بهذه الحالة ذاكراً لله في كل وقت، فإن الله سيكافئه بالأجر والثواب العظيم، بل سيكون ذكره لله سبباً لفوزه وفلاحه في الدارين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

يخاطب الله في هذه الآية المؤمنين تشريفاً لهم وتكريماً بصفة الإيمان، ليعلموا أن إيمانهم يقتضي الإسراع في إجابة هذا الطلب وتحقيقه فيقول لهم إذا أذن لصلاة الجمعة من يوم الجمعة، فالواجب عليكم أن تسعوا إلى ذكر الله سعياً، يتحقق به شهود الصلاة، وحضورها من أولها؛ لتصلوا على الثواب كاملاً، والسعي إلى ذكر الله وترك البيع هو خير لكم إن كنتم تعلمون^(٢)، (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، مما يوحي بأن الانخلاع من شؤون التجارة والمعاش كان يقتضي هذا الترغيب والتحبيب، وهو في الوقت ذاته تعليم دائم للنفوس، فلا بد من فترات ينخلع فيها القلب من شواغل المعاش، وجوانب الأرض، ليخلو إلى ربه، ويتجرد لذكره، ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله، كما في قوله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا....)، وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي، التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض، من عمل وكد، ونشاط، وكسب، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو، وانقطاع القلب، وتجرده للذكر، فذكر الله لا بد منه في أثناء ابتغاء المعاش، والشعور بالله فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة، ومع هذا لا بد من فترة للذكر الخالص، والانقطاع الكامل^(٣)، يعني: إذا قضيت الصلاة وفرغتم منها، فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم،

(١) انظر: منهاج الهداية الإسلامية من خلال الخطب الجمعية، لمحمد السلامي، (ص ٢٣٤)، جند الله ثقافة وأخلاقاً، لسعيد حوى، (ص ٢٣٧).

(٢) انظر: التفسير الواضح، لحجازي، (٤١/٢٨).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٣٥٧٠/٢٨).

وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيراً رجاء أن تكونوا من الفالحين في الدنيا والآخرة، بالفوز بسعادة الدارين، ونيل رضوان الله وجنته^(١).

المسألة السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

أمرنا الله - سبحانه وتعالى- بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بكل حكمة ورياسة؛ لأنه بهذا الأسلوب نستطيع أن نغير المنكر، والأنبياء جميعاً - صلوات الله عليهم- أمروا البشرية بالمعروف بالكلام اللين، ونهوههم عن المنكر بالأسلوب الطيب، والكلام الحسن مما كان له الأثر البليغ في نفوسهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ...﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ودعا الله - سبحانه وتعالى- أن تكون هناك أمة تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [آل عمران: ١٠٤].

وقد وصف الله هذه الأمة لأنها نهضت بتلك المهمة، بأنها خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران: ١١٠].

إذن لا بد أن يكون المؤمنون حريصين أشد الحرص على النهوض بهذه المهمة؛ ليصلح حال المؤمنين جميعاً، وليتم القضاء على كل ما يهدد الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]. فكل من شاهد منكراً ولم ينكره، وسكت عنه، فهو شريك فيه. إذن لكي لا يصيبنا العذاب لا بد أن نهض بهذه المهمة، حتى ننال الأجر والثواب يوم القيامة، ونكون من الفائزين المفلحين إن شاء الله.

قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(١) انظر: التفسير الواضح، لحجازي، (٤١/٢٨).

قوله: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ) تحتل معنيين: "الأول: أن تكون (من) للبيان؛ أي: ولتكونوا أمة، ويكون هذا أمر لجميع الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثاني: أن تكون (من) للتبويض، فيكون الأمر هنا لبعض الأمة أن يكون منها من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وتكون المسألة من باب فروض الكفايات"^(١).

ويخاطب الله تعالى الأمة الإسلامية في هذه الآية بأسلوب الأمر الصريح فقال: ولتكن منكم أيها المسلمون أمة لها كيان ونظام، أمة مؤتلفة الأعضاء، موحدة الجهات لا ترهب أحداً، ولا تخاف شيئاً، وعلى هذه الأمة القيام بمهمة الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ورفع منارة الحق والعدل، و"الدعوة إلى الخير" هي: الدعوة إلى الكتاب والسنة، و"المعروف": ما استحسنته الشرع، والعقل الذكي لا يناقض الشرع، أو ما وافق الكتاب والسنة، أو هو الطاعة، أو هو المباح والمندوب، والواجب والفرض.

و"المنكر": ما استقبحة الشرع، والعقل الموافق للشرع، أو ما خالف الكتاب والسنة أو هو المعاصي، أو هو المكروه والحرام، ومن نهض بهذه المهمة، فأولئك البعيدون في درجات الكمال في الدنيا والآخرة، المفلحون الفائزون من الخسران في الدنيا والآخرة"^(٢).

وبهذا ندرك أسباب الوقاية من الغفلة في العاجل والآجل، ولا يكون ذلك إلا من خلال أسباب الفلاح والفوز برضوان الله والجنة؛ وذلك من خلال تحقيق الإيمان، والقيام بالأعمال الصالحة، واجتتاب المنهيات، والتزام الأمور.

(١) الأساس في التفسير، لسعيد حوى، (٨٤٩/٢).

(٢) انظر: الأساس في التفسير، لسعيد حوى، (٢٤٩/٢)، التفسير الواضح، لحجازي، (١١/٤).

المبحث الثاني

علاج الغفلة

المطلب الأول: علاج الغفلة في القرآن الكريم

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: ما ورد في القرآن الكريم من علاج الغفلة

المسألة الثانية: عبادات تساهم في علاج الغفلة.

المطلب الثاني: التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه.

المسألة الثانية: محاربة الشيطان.

المطلب الثالث: خطوات لتأديب النفس وإصلاحها

وفيه أربعة مسائل:

المسألة الأولى: التوبة

المسألة الثانية: المراقبة

المسألة الثالثة: المحاسبة

المسألة الرابعة: المجاهدة

المطلب الأول

علاج الغفلة في القرآن الكريم

المسألة الأولى: ما ورد في القرآن الكريم من علاج الغفلة:

أنزل القرآن لهداية الناس ولشفاء الأمراض كلها، فهو هدى ونور وبيان ورحمة لما في صدور العالمين. ومن جملة هدايته بيانه للطرق التي يتوصل من خلالها إلى علاج الغفلة والنسيان، فالقرآن ذكر والذكر ضدّهما.

وقد أخبر سبحانه عن القرآن أنه شفاء فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، و"من" هنا لبيان الجنس لا للتبويض، فإن القرآن كله شفاء كما قال في الآية المتقدمة، فهو شفاء للقلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم ينزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع في إزالة الداء من القرآن^(١).

لقد تضمنت آيات القرآن الكريم طرقا لعلاج الغفلة والنسيان، تصرّحا أو تلميحاً، وأكثر هذه الطرق هي التي جاءت عن طريق التلميح؛ حيث تفهم ضمنا من خلال ذكر الأسباب، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَى﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّمَا أَوْحَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لِأَنْ تُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلتَحِدًا * وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٧-٢٨].

وتتمثل الطرق التي ذكرها القرآن الكريم في علاج الغفلة عن طريق التلميح في: ترك الأسباب التي تؤدي إلى الغفلة، وتجعل الإنسان ناسيا لما عليه من واجبات، غير مكترث بالعواقب الوخيمة التي ستصيبه، وهي أسباب كثيرة وضرورية لعلاج هذا المرض الملازم له، ويمكن إجمالها في الإيمان

(١) انظر: الجواب الكافي (ص ٢١-٢٣) .

بالله ﷻ وبآياته، إيماناً يقوم على الرغبة فيما عند الله، والرغبة من عقابه. ويقوم كذلك على التدبر في آياته في الأنفس وفي الكون، والعلم بالأدلة والبراهين التي تقود إلى ذلك، فإن ذلك من شأنه أن يوقظ القلب، ويحيي النفس. وليحرص الإنسان -بالإضافة إلى ذلك- على الابتعاد عن التكبر، والإفلاخ عن الظلم والفساد في الأرض، فإن هذه الأمور من أخطر ما يوقع في الغفلة. وليحذر من حب الدنيا واتباع الهوى.

وأما الطريق الوحيد الذي صرح به القرآن لعلاج الغفلة فهو طريق جاء في الأصل لعلاج صفة من صفات النفس الملازمة لها، وهذه الصفة هي النسيان، وهي المرحلة الأولية التي إذا تجاوزها الإنسان دون انتباه فإنه يقع في الغفلة حتماً، وهو طريق الذكر الدائم، ولنفصل القول في هذا الطريق فيما يلي:

ورد الذكر في القرآن الكريم مقترناً بالغفلة في موضعين فقط، وفي كلا الموضعين نهى الله سبحانه وتعالى عباده عن الغفلة وحذرهم منها.

في الموضع الأول نهى عباده أن يكونوا غافلين، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، في هذه الآية أمر الله تعالى عباده بذكره أول النهار وآخره، كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله تعالى: ﴿...وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠]. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

وأما قوله تعالى: (تَضَرُّعًا وَخِيفَةً)، أي اذكر ربك في نفسك رغبة ورهبة وبالقول لا جهراً، ولهذا قال: (وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ)، وهكذا يستحب أن يكون الذكر، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وكذا قال في هذه الآية الكريمة: (وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)؛ فالمراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالغدو والآصال لئلا يكونوا من الغافلين، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون^(١).

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٣/ ٥٣٨).

وقد حض الله عباده على الذكر الكثير في مواضع من كتابه منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣]. وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُبَيِّنَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٣].

ولنتأمل فيما رتبته على الذكر الكثير من الرحمة الإلهية والمغفرة، ودعاء الملائكة، وخيرات الدنيا، فهل يغفل القلب بعد هذه العناية الربانية عن ربه وينشغل عنه؟ وما أجمل أن نستحضر في هذا الموضع قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

وفي السنة النبوية المطهرة روايات كثيرة تحض على الذكر، وتبين فضله، وتشرح أثره الفعال في جعل القلب حاضرا متعلقا بخالقه، متضرعا إليه، راغبا فيما عنده، نذكر منها:

عن عبد الله بن بسر^(١) قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: "لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله"^(٢).

هذا حديث من جوامع الكلم، فقد احتوى - على قلة عباراته - على الخير كله، في بيان بليغ لعلاج الغفلة. ومن الروايات التي تحت على الذكر ما ورد عن أبي موسى الأشعري^(٣) عن النبي^(ص) قال: مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت^(٤). وما ورد عن أبي ذر^(٥) قال: قال لي رسول الله^(ص): "ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ إن أحب الكلام إلى الله سبحانه الله وبحمده"^(٦)، أما في فضل الذكر فقد روي عن أبي هريرة^(٧) أن رسول الله^(ص) قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه، وقال من قال سبحان الله وبحمده في

(١) هو أبو صفوان السلمي المازني، يكنى أبا بسر، وقيل أبو صفوان، صلى القبلتين، وضع النبي يده على رأسه وبرك عليه ودعا له، آخر من مات من أصحاب رسول الله^(ص)، [انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٣/١٥٩٥)].

(٢) رواه الترمذي كتاب الدعوات، باب فضل الذكر، (ح ٣٢٩٧)، قال أبو عيسى: حسن.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل الذكر الله^(ص)، (ح ٦٤٠٧)، (ص ١٢٣).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل سبحان الله وبحمده، (ح ٢٧٣١)، (٤/٢٩٣).

يوم مائة مرة حطت خطاياها وإن كانت مثل زبد البحر" (١)، وعن أبي هريرة ؓ قال: "قال رسول الله ﷺ: كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم" (٢)، وعن أبي موسى ؓ قال: "قال لي رسول الله ﷺ: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله" (٣).

هذا جانب مختصر جدا من أهمية الذكر في علاج الغفلة ومحاربة النسيان، في السنة النبوية المطهرة، ذكرناه في سياق تركيز القرآن على الذكر، وأمر الله تعالى عباده بعدم الغفلة والتزام الذكر في كل الأحوال؛ لأنه الطريق الناجع لعلاج الغفلة.

أما في الموضوع الثاني فقد نهاهم عن طاعة من وجوه غافلا، أو من جعل الله قلبه غافلا، عن ذكره وعبادته، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

(وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا) أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا، (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) أي أعماله وأفعاله سفه وتفريط وضياع، ولا تكن مطيعا له، ولا محبا لطريقته، ولا تغبطه بما هو فيه (٤)، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

وقال القرطبي: في قوله تعالى " (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا) قال ابن عباس: نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وذلك أنه دعا النبي ﷺ إلى أمر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد أهل مكة؛ فأنزل الله تعالى: (وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا)، يعني: من ختمنا على قلبه عن التوحيد، (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) يعني: الشرك، (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا)، قيل: هو من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الإيمان. وقيل: معنى (أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ)، وجدناه غافلا" (٥).

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس، (ح ٣٢٩٣)، (ص ٦٢٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، فضل التسبيح، (ح ٦٤٠٦)، (ص ١٢٣٠).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، (ح ٤٢٠٥)، (ص ٧٩٩).

(٤) انظر: ابن كثير، (٥ / ١٥١).

(٥) تفسير القرطبي، (١٠ / ٣٩٠).

ومن الأمور التي يجب الإشارة إليها في هذا السياق أن الذكر جاء مقترنا في الموضوعين السابقين بالعبادة، سواء العبادة التي بمعنى الدعاء، أو العبادة بمعناها الشرعي العام.

ففي الموضوع الأول، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥-٢٠٦].

انظر كيف عطف على الذكر - بعد أن قرنه بالغفلة و الاستكبار - العبادة بمعناها الخاص والعام معا، فقوله: (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ)، المراد بالعبادة المفهوم الشامل الذي يضم الدعاء والذكر، والآية في وصف عبادة الملائكة؛ لأنهم المعنيون بقوله: (إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ). عن النعمان بن بشير^(١) عن النبي ﷺ قال: "الدعاء هو العبادة"^(٢)، وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها، أو صرف عنه من سوء مثلها، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم. فقال رجل من القوم: إذا نكثرت. قال: الله أكثر"^(٣).

وقوله تعالى: (يُسَبِّحُونَهُ)، فالتسبيح من الذكر، بل هو من أعظم أنواع الذكر؛ لأنه ينطوي على تنزيه الباري ﷻ، عن أبي هريرة ﷺ قال: "قال رسول الله ﷺ: لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس"^(٤).

وقوله تعالى: (وَلَهُ يَسْجُدُونَ)، إشارة إلى العبادة بمعناها الشرعي، وقد اكتفى منها بذكر الصلاة وهي أهم العبادات، واكتفى من الصلاة بذكر أهم جزئ فيها، وهو السجود؛ لأن العبد أقرب ما يكون من ربه عند السجود. عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء"^(٥)، فقد ورد في هذه الآية - على قصرها - ذكر العبادة بمعناها العام، ثم ذكر مثال على المعنى الخاص، وآخر على المعنى الشرعي العام، فلنتأمل هذا التعبير فإنه من بلاغة القرآن.

(١) هو ابن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن الخزرج الأنصاري، أول مولود للأنصار بعد الهجرة، أمه عمرة بنت رواحة، له ولأبويه صحبة، توفي النبي ﷺ وله ثمان سنين وسبعة أشهر، [انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (٢٦٥٨/٥)].

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، (ح ٣٣٧٢)، (ص ٧٦٥)، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح .

(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب انتظار الفرج، (ح ٣٥٧٣)، (ص ٨١٢)، قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، (ح ٢٦٩٥)، (٢٠٧٣/٤).

(٥) المرجع السابق، كتاب الصلاة، باب ما يقول في الركوع والسجود، (ح ٤٨٢)، (٣٥٠/١).

وأما في الموضوع الثاني فقد بدأ الله تعالى بأمر نبيه ﷺ بالصبر مع الذين يعبدون الله ويدعونه، ثم نهاه عن طاعة الغافلين، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

"قوله (يَدْعُونَ رَبَّهُمْ) أي يعبدونه ويسألونه (بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)، المراد به الصلاة المكتوبة"^(١).

وفي تفسير القرطبي: "المراد بالدعاء المحافظة على الصلاة المكتوبة في الجماعة، قاله ابن عباس ومجاهد والحسن، وقيل: الذكر وقراءة القرآن. ويحتمل أن يريد الدعاء في أول النهار وآخره؛ ليستفتحوا يومهم بالدعاء رغبة في التوفيق، ويختموه بالدعاء طلبا للمغفرة"^(٢).

ويضم الآية السابقة لهذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَآتِلْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَّحِدًا﴾ [الكهف: ٢٧]، يتضح لنا كيف يتعاقب الذكر - وهو في هذا الموضوع تلاوة القرآن الكريم - مع العبادة سواء التي كانت بمعنى الدعاء أو بمعنى العبادة الشرعية، وكيف تتأزر في معالجة الغفلة واستئصالها، وانظر إلى قوله: (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَّحِدًا)، كيف يؤكد أننا لا يمكن أن نجد منهاجاً أقوم من تلاوة كتاب الله تعالى وذكره، ولا ملجأً إلينا إلا إليه.

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس (لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) أي لا مغير لها ولا محرف ولا مؤول، وقوله: (وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَّحِدًا) عن مجاهد، ملتحداً قال: ملجأً. وعن قتادة: وليا ولا مولى. قال ابن جرير: يقول إن أنت يا محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربي، فإنه لا ملجأ لك من الله، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقوله تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ- يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء يقال إنها نزلت في أشرف قريش حين طلبوا من النبي ﷺ أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود وليفرد أولئك بمجلس على حدة فنهاه الله عن ذلك^(٣).

(١) تفسير ابن كثير، (٥ / ١٥١).

(٢) تفسير القرطبي، (٦ / ٤٣١).

(٣) تفسير ابن كثير، (٥ / ١٥٠ - ١٥١).

عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: أطرده هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأُنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]^(١).

المسألة الثانية: عبادات تساهم في علاج الغفلة

أولاً: العلم:

العلم لغة: نقيض الجهل: وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكاً جازماً. وفي الاصطلاح: صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً، والمقصود معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

ومما يدل على أهمية العلم ومكانته في صلاح القلوب وإزالة غفلتها، قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

"قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ" ربهم ويعلمون دينه الشرعي ودينه الجزائي، وما له في ذلك من الأسرار والحكم (وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) شيئاً من ذلك؟ لا يستوي هؤلاء ولا هؤلاء، كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلام، والماء والنار"^(٢).

وقد فرق والله سبحانه وتعالى بين صاحب العلم وغيره، ولم يساو بينهم في الآية السابقة، ووصف الجاهل بالعلوم الشرعية، بالعمي، فقال: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩]. وطلب العلم طريق إلى الجنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]، كما رفع الله ﷻ درجات الذين أوتوا العلم، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١]، كما

(١) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب في فضائل سعد بن أبي وقاص ﷺ، (ح ٢٤١٣)، (ص ٩٤٤).

(٢) تفسير السعدي، (١/ ٧٢٠).

جعل الله ﷻ الخير الكثير لمن يفقهه في الدين، ومن ذلك حديث معاوية ؓ، عن النبي ﷺ أنه قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"^(١).

ثانياً: مجالس الذكر:

ومن ذلك حديث معاوية ؓ أن رسول الله ﷺ خرج على حَلْفَةٍ من أصحابه فقال: "ما أجلسكم؟" قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا، قال: "الله ما أجلسكم إلا ذاك؟" قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، قال: "أما إني لم أستحلفكم تُهَمَّةً لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة"^(٢).

قال ابن القيم: "إن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فلينخير العبد أعجبهما إليه، وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة"^(٣).

ثالثاً: الاستقامة:

قال تعالى: ﴿... فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦]. الاستقامة كلمة جامعة تتحقق بها معالي الأمور، وبها يكمل الإيمان، ويضمن العبد الأمن عند الموت والنشور. وقد سئل أبو بكر الصديق عن الاستقامة، فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً. وقال عمر: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تزوغ روغان الثعلب^(٤).

وقال ابن تيمية: "أعظم الكرامة، لزوم الاستقامة"^(٥). ومدار الاستقامة على القلب واللسان، فالمرء بأصغريه، قلبه ولسانه^(٦) فعلى المرء أن يصلح قلبه ويحفظ لسانه، وينبت عليهما حتى الممات قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، (ح ٧١)، (ص ٣٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (ح ٢٧٠١)، (٤/٢٠٥٧).

(٣) الوابل الصيب لابن القيم، (ص ٦٥).

(٤) انظر: تهذيب مدارج السالكين، لابن القيم، (ص ٣٣١).

(٥) المرجع السابق، (ص ٣٣٢).

(٦) انظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، لمحمد بن أحمد السفاريني الحنبلي، (١/٥٧).

الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم: ٢٧]. هذا وعد من الله تعالى للمؤمنين الصادقين بأنه سيثبتهم على الإيمان وقت الفتن والمحن حتى يموتوا على ذلك^(١).

رابعًا: تدبر القرآن:

التدبر مأخوذ من مادة (دبر)، ودابر كل شيء آخره ونهايته، واستدبر الأمر إذا رأي في عاقبته ما لم ير في صدره^(٢).

ويقصد بالتدبر النظر في عواقب الأمور، فإذا أُضيف إلى القرآن أفاد معنيين:

الأول: تأمل دلالة تفاصيل آياته على مقاصده وإرشاده.

الثاني: تأمل دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله^(٣).

ويعد تدبر القرآن أنفع زاد للقلوب، فإنه يورث المحبة والخوف والرجاء والإنابة والتوكل، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، كما يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة، التي بها فساد القلب وهلاكه^(٤).

وينبغي عند استماع كتاب الله _ تعالى _ من شهود القلب، والفهم، واستبعاد الغفلة المانعة من حصول التأثير، وهي سهو القلب وغيبته عن تعقل ما يقال له والنظر فيه، وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحي، ووجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو التدبر والانتفاع والتذكر^(٥)، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤]، كما جعل الله ﷻ تدبر القرآن الكريم شفاء لما في الصدور، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ

(١) انظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (٥٦/٣).

(٢) انظر: القاموس المحيط، (ص ٣٥١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور، (١٣٧/٥).

(٤) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (١٩٥/١).

(٥) انظر: الفوائد لابن القيم، (ص ١٨).

لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿ [الإسراء: ٨٢]، وفي قراءة القرآن الكريم وتدبره الثواب الكبير والأجر العظيم من الله ﷻ لحديث عبدالله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" (١).

قال ابن القيم رحمه الله: "القرآن حياة القلوب، وشفاء لما في الصدور...، فبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر، والتفكير... وهذا الذي يورث الحب والشوق، والخوف، والرجاء، والإنابة، والتوكل، والرضى، والتفويض، والشكر، والصبر، وسائر الأحوال التي بها حياة القلب، وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب، وهلاكه... فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها..." (٢).

خامساً: الاستغفار:

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهُ يَجِدِ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢]، يعني بذلك أنه من يعمل ذنباً، وهو السوء، أو يظلم نفسه، بإكسابه إياها ما يستحق به من توبة، ثم يتوب إلى الله مما عمل من السوء، وظلم نفسه، وعمله ما يحبه الله من الأعمال التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه، يجد ربه سائراً عليه ذنبه، بصفحه له عن عقوبة جرمه، وهذه الآية لكل من عمل سوءاً أو ظلم نفسه (٣).

فالاستغفار أمان للأمة من الهلاك، وعليه فالكيس هو من يكثر من الاستغفار والتوبة قبل فوات الأوان، والله سبحانه لم يقنط عباده من رحمته، ومد لهم حبال العفو والمغفرة، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

(١) سنن الترمذي، كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في من قرأ حرف من القرآن ما له من الأجر، (ح ٢٩١٠)، (ص ٦٥١)، قال أبو عيسى: صحيح.

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، (١/٤٣٥ - ٤٥٤ ، ٥٥٤).

(٣) انظر تفسير الطبري، (٧/٤٧٤، ٤٧٥).

[الزمر: ٥٣]، لذلك يجب علينا الإكثار من الاستغفار لكي نبتعد به عن طريق الغفلة المهلكة، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"^(١).

سادسًا: الدعاء والتضرع:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وحديث أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه بها إحدى ثلاث: إما أن تُعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يُصرف عنه من سوء مثلها" قالوا: إذا نكثر، قال: (الله أكثر)^(٢)، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يسأل الله يغضب عليه"^(٣).

سابعًا: المحافظة على الصلوات جماعة:

ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين"^(٤)، وحديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يومًا فقال: "من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها، لم يكن له نور، ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف"^(٥).

ثامنًا: الحرص على قيام الليل:

قال الله تعالى مثنيًا على أهل قيام الليل: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤]. وقال الله صلى الله عليه وسلم فيمن تتجافى جنوبهم عن المضاجع: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة، (ح ٦٣٠٧)، (ص ١٢١٣).
(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، (ح ٣٣٨١)، (ص ٧٦٨)، قال الترمذي: حديث حسن.
(٣) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، (ح ٣٣٧٣)، (ص ٥٦٦)، قال الترمذي: حديث حسن.
(٤) صحيح ابن خزيمة، باب ذكر فضيلة مائة آية في صلاة، (ح ١١٤٢)، (١٨٠/٢)، صححه الألباني.
(٥) مسند أحمد، (ح ٦٥٧٦)، (١٤١/١١)، قال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب (١/٤٤٠): (رواه أحمد بإسناد جيد).

السجدة: ١٦-١٧]، وحديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين" ^(١).

تاسعاً: صيام التطوع:

ومن ذلك حديث أسامة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: "ذاك شهرٌ يغفلُ الناسُ عنه بين رجب ورمضان، وهو شهرٌ تُرفع فيه الأعمال إلى ربِّ العالمين، فأحبُّ أن يُرفع عملي وأنا صائم" ^(٢).

عاشراً: الزهد في الدنيا:

لما ورد في قصة أبي عبيدة عندما قدم بمالٍ من البحرين فجاءت الأنصار وحضروا مع رسول الله ﷺ صلاة الصبح، فلما صلى بهم الفجر تعرَّضوا له، فتنبَّس حين رآهم، وقال: "أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟" قالوا: أجل يا رسول الله، قال: "فأبشروا وأمّلوا ما يسركم، فوالله لا الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتتافسوها كما تتافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم" ^(٣).

الحادي عشر: الإكثار من ذكر الموت:

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩]، "أي غمرة الموت وشدته بالحق من أمر الآخرة حتى يراه المُنكر لها عياناً، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾، أي ذلك الموت الذي كنت تهرب منه وتفزع" ^(٤). فالموت أشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ^(٥)، قال سيد قطب: "والموت أشد ما يحاول المخلوق البشري أن يروغ منه، أو يبعد شبحه عن خاطره؛ ولكن أنى له ذلك. والموت طالب لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطى، ولا يخلف الميعاد، وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدب في الأوصال! وبينما المشهد معروض

(١) سنن أبو داود، كتاب شهر رمضان، باب تحزيب القرآن، (ح ١٣٩٨)، (ص ٢٤١)، صححه الألباني.

(٢) سنن النسائي، كتاب الصيام، باب صوم النبي ﷺ، (ح ٢٣٥٧)، (٢٠١/٤) حسنه الألباني.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة، (ح ٣١٩٨)، (ص ٦٠٥).

(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (١٤٣/٥).

(٥) انظر تفسير القرطبي، (٢٨٢/١٨).

يسمع الإنسان ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ مِنْهُ تَحِيدُونَ﴾، وإنه ليرجف لصداها وهو بعد في عالم الحياة! فكيف به حين تقال له وهو يعاني السكرات! ويلفت النظر في التعبير ذكر كلمة الحق، وهي توحى بأن النفس البشرية ترى الحق كاملاً وهي في سكرات الموت، تراه بلا حجاب، وتدرك منه ما كانت تجهل وما كانت تجحد، ولكن بعد فوات الأوان حين لا تتفع رؤية، ولا يجدي إدراك، ولا تقبل توبة، ولا يحسب إيمان^(١)، لذلك يجب علينا الإكثار من تذكر الموت وسكراته فذلك طريق نبتعد به عن الغفلة ومسبباتها، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أكثرُوا ذكرَ هاذمِ اللذاتِ"^(٢)، وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله! أي المؤمنين أفضل؟ قال: "أحسنهم خلقاً" قال: فأبي المؤمنين أكيس^(٣)؟ قال: "أكثرهم للموت نكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الأكياس"^(٤).

(١) في ظلال القرآن، (٣٣٦٤/٦) بتصرف يسير.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، (ح ٢٣٠٧)، (ص ٥٢٢)، قال أبو عيسى: حسن صحيح.

(٣) أكيس: أعقل، ومثله الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت: أي العاقل [النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٢١٧/٤].

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، (ح ٤٢٥٩)، (ص ٧٠٥)، حسنه الألباني.

المطلب الثاني

التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه.

المسألة الثانية: محاربة الشيطان.

المطلب الثاني

التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه

المسألة الأولى: التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه

يقع كثير من الناس في حبال الشياطين الخبيثة التي تستحوذ على القلوب والعقول فيصبح الإنسان أسيراً للغفلة والنسيان فتزداد المعاصي والموبقات والشُرور والآثام، وهذا بدوره يؤدي إلى بيئة مواتية تكثر فيها الشياطين لتمارس مهمتها في غواية الإنسان وتوقعه في مزيد من الغفلة والنسيان والشُرود... وهكذا، ولذلك لا بد من تمزيق هذه الحبال لينجو الإنسان من الشيطان الذي حذرنا الله تعالى من أن نتبع خطواته فقال ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

وأهم الوسائل التي تساهم في الوقاية من خطوات الشيطان وغاياته:

أولاً: الاستعاذة بالله :

الاستعاذة: طلب العوذ، وهذا الطلب يتوجه صاحبه به إلى الله، فاراً من الشيطان وعلى ذلك يكون معنى الاستعاذة: الاستجارة، ومعنى (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) أستجير بالله دون غيره من سائر خلقه من الشيطان أن يضرنني في ديني، أو يصدني عن حق يلزمني لربي^(١).

وقد ربط الحق سبحانه وتعالى الاستعاذة بالوسواس الخناس، فأينما وجد الإنسان وسوسة لجأ إلى الله يذكره، فالشيطان والرحمن لا يجتمعان في نفس امرئ، وهذا ما تبينه سورة الناس، والتي تُسمى هي وأختها (الفلق) المعوذتان وغرض هاتين المعوذتين "تعليم النبي ﷺ كلمات للتعوذ بالله من شر ما ينقى شره من المخلوقات الشريرة، والأوقات التي يكثُر فيها حدوث الشر، والأحوال التي تُستَرُّ أفعال الشر من ورائها، لئلا يرمى فاعلها بتبعثها، فعلم الله نبيه المعوذتين ليتعوذ بهما، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يتعوذ بهذه السور، ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما ، فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين"^(٢).

(١) جامع البيان، للطبري، (٦١/١).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٦٢٥/٣٠).

ثانياً: قول الحق والخير:

يحاول الشيطان دوماً دفع أعدائه إلى الإثم عن طريق مكامن ضعفهم، فهو يتسلط على لسان المرء المتصف بالانزلاق وسرعة الخطأ، فيجري عليه السوء والفحش من القول، يُغذي من خلاله ثورة الغضب فيشعلها، والحق سبحانه في مقابل هذا يركز على سلاح مضاد لهذا الداء، فيأمر عباده دوماً بلزوم تركية هذا اللسان بقول الخير، ويحذره من قول الزور، يقول تعالى: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ... ﴾ [الإسراء: ٥٣].

"يا أمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ ليأمر عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة؛ فإنهم إذا لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لأدم وذريته من حين امتنع من السجود لأدم، فعادوته ظاهرة بينة؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه المسلم بحديدة؛ لأن الشيطان ينزع في يده، أي ربما أصابه بها" (١) فعن النبي ﷺ "لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار". (٢) وهذا فقه جميل من ابن كثير حيث لم يقصر قول التي هي أحسن على الكلمة، وكف اللسان، بل عداها إلى كف اليد وما تحمل من أداة سوء، فالشيطان لا يُجري الغضب فقط على اللسان، بل يُجريه على اليد أيضاً بالسلاح وغيره، وقد ربط الإمام مالك بن دينار بين القول الطيب والعمل الصالح فهما صنوان لا ينفصمان حيث يقول: "يا هؤلاء: فجاركم كثير، صغاركم وكباركم فرحم الله من لزم القول الطيب، والعمل الصالح، والمداومة" (٣).

والله سبحانه وتعالى يأمر بلزوم القول الحسن وإظهاره للناس درءاً لنزع الشيطان ففي الأعراف يقول: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠]. وفي سورة فصلت يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٦].

ولذلك كان منهج النبي ﷺ درء أي شبهة أو ظن يحيك في النفوس بقوله الحق، وهذا ما كان منه لما سار زوجته صفية ليلاً، فعن علي بن حسين أن صفية زوج النبي ﷺ أخبرته "أنها جاءت رسول الله ﷺ تزوره وهو معتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، ثم قامت تتقلب فقام معها رسول الله ﷺ، حتى إذا بلغ قريبا من باب المسجد عند باب أم سلمة زوج النبي ﷺ مر بهما رجلان من

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٩/ ٢٨-٢٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ (من حمل علينا السلاح فليس منا)، (ح ٧٠٧٢)، (ص ٥٩٠).

(٣) مواظ الإمام مالك بن دينار، جمع صالح الشامي، (ص ٣٦).

الأنصار، فسلمنا على رسول الله ﷺ ، ثم نفذنا فقال لهما رسول الله ﷺ على رسلكما ، قالوا سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما ذلك فقال رسول الله ﷺ إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإنني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً^(١)، يقول الخطابي تعليقا على هذا الحديث: "في هذا الحديث من العلم استحباب أن يحذر الإنسان من كل أمر من المكروه مما تجري به الظنون، ويخطر في القلوب، وأن يطلب السلامة من الناس بإظهار البراءة من الريب"^(٢).

وكما أن المؤمن مطالب بقول الحق، فهو مطالب أيضا بالكف عن قول الباطل، أو ما لا يلزم من الكلام، "ففضول الكلام والثرثرة بلا داع من منافذ الشر التي يسلكها الشيطان إلى صدر الإنسان، وإمساك اللسان عن القول إلا عند اللزوم وبعد تفكير وتدبر يغلق هذا المنفذ في وجه الشيطان، فكم من حرب ضروس سببتها كلمة واحدة، ولقد كان البيت الواحد من الشعر في الجاهلية يشعل الحروب، ويوقظ الفتن بين القبائل العربية، وحق للمؤمن أن يتدبر قول الرسول ﷺ لسيدنا معاذ بن جبل: "وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم"^(٣)"^(٤).

ثالثاً: اجتناب كل ما يجلب الشيطان:

وبعد أن يتحلى العبد بكل سلاح يقيه غوائل الشيطان، يجب عليه أن يتم هذه الحماية الربانية المتكاملة بترك كل ما يجلب الشيطان من ذنوب ومعاص وآثام، فإن الشيطان يلزم من تقرب إليه بشيء مما يحب، وسنذكر هنا ما ذكر القرآن العظيم من هذه الأمور:

اجتناب الإفك والإثم :

يبين الحق سبحانه أن الشيطان ينجذب لأولئك الذين يتصفون بالإفك المبين والإثم الكبير؛ فيصبح لهم عوناً وسنداً، يقول تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣].

"وقوله تعالى (تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالإفك الكثير والإثم الكبير من الكهنة والمنتبهة، وتخصيصه له بهم بحيث لا يتخطاهم إلى غيرهم"^(٥)، ولكننا هنا نتحدث

(١) صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب: ما جاء في بيوت أزواج النبي ﷺ، (ح ٣١٠١)، (ص ٢٥٠).

(٢) عالم الجن والشياطين، لعمر الأشقر، (ص ١٦٦).

(٣) جامع الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (ح ٢٦١٦) ، (ص ١٩١٥)، وهو جزء من حديث معاذ الطويل وقال عنه أبو عيسى: حسن صحيح .

(٤) مجلة هدى الإسلام، منافذ الشيطان إلى صدر الإنسان، أحمد حسنين القفل، العدد الأول، محرم صفر، (١٤١٢ هـ).

(٥) إرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٦٨/٦).

عن خطورة مثل هذه الصفات في جلب الشياطين وحضورها، والإفك والإثم بابان كبيران يجمعان تحتها كل معصية، فالإفك هو الافتراء والكذب، وهو منشأ كل كفر وعناد وجدال بالباطل وفساد للعقل، والإثم هو ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس، وهو منشأ كل رذيلة وفاحشة ومنكر وفساد للقلب. إذا فهذا سلاح يطهر العقل والقلب من غواية الشيطان، وهو سلاح تابع في حقيقته لما قبله من أسلحة، ولما بعده مما سنذكر، فالمرء لا يستطيع أن يسليخ نفسه عن الإفك والإثم دونما لجوء إلى الله تعالى، وتوبة واستغفار له، وتحصن بالإيمان، وغيرها من الأسلحة الربانية.

اجتناب قرناء السوء :

وبعد أن بناى العبد بنفسه عما يحيل عقله وقلبه إلى الضلالة مما تكسب يداه، يأتي دور السلاح الثاني في ما يجب عليه أن يتجنبه، وهو أن يناى بنفسه عن ما يفسد عقله وقلبه ممن يحيطون به من رفاق وإخوان، وهذا سلاح ذو أهمية كبيرة ، فكم للقرين والصاحب من أثر كبير على الإنسان، وكم هو تعيس إن أطاع قرين السوء فأرداه يوم القيامة، وهذا ما يصوره لنا الحق سبحانه في مشهد واقع لا محالة تدور أحداثه يوم المحشر بين عبد بئيس وبين شيطان من شياطين الإنس - إن كان هذا العبد إنسياً - أو الجن - إن كان هذا العبد جنياً - يقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

من المشهور عند علماء التفسير أن الظالم الذي نزلت فيه هذه الآية هو عقبة بن أبي معيط وأن فلانا الذي أضله عن الذكر أمية بن خلف أو أخوه أبي بن خلف وذكر بعضهم أن في قراءة بعض الصحابة لبيتني لم أتخذ ألبيا خليلا وهو على تقدير ثبوته من قبيل التفسير لا القراءة وعلى كل حال فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب فكل ظالم أطاع خليله في الكفر حتى مات على ذلك يجري له مثل ما جرى لابن أبي معيط وما ذكره جلّ وعلا في هذه الآيات الكريمة جاء موضحا في غيرها فقوله ويوم يعض الظالم على يديه كناية عن شدة الندم والحسرة لأن النادم ندما شديدا يعض على يديه، وما ذكره جلّ وعلا هنا من أن أخلاء الضلال من شياطين الإنس والجن يضلون أخلاءهم عن الذكر بعد إذ جاءهم ذكره في غير هذا الموضع كقوله تعالى: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَيْضَنَا هُمْ قُرْنَاءَ فَرَيْنُوا هُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ [فصلت: ٢٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَهْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾ [الأنعام: ١٢٨]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٧]، إلى غير ذلك من الآيات، وقوله تعالى هنا (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا) الأظهر أنه من كلام الله وليس من كلام

الكافر النادم يوم القيامة والخذول صيغة مبالغة والعرب تقول خذله إذا ترك نصره مع كونه يتقرب النصر منه^(١).

المسألة الثانية: وسائل محاربة الشيطان

أولاً: التبرؤ من الشيطان والإيمان بالرحمن:

يعلن المولى سبحانه وتعالى أن هذه الوسيلة هي عروة الله الوثقى، وحبله المتين الذي لا ينقطع بمن تمسك به، فهو أقوى الأسلحة لمن أراد النجاة وطلب السلامة يقول تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. لذلك فأول خطوات محاربة الشيطان هي التبرؤ من ولايته، ثم تولي الله سبحانه وتعالى، فالإيمان عاصم للعبد من الزلل في الشرك وغيره من أمراض القلوب كالرياء وعدم إخلاص النية لله، فالشيطان يوسوس للمسلم حتى يشرك في عمله وفي قوله وفي عبادته، والإخلاص يعصم المسلم من وساوس الشيطان ويطارده، ليفوت عليه غرضه في الإغواء والإغراء والرياء، لأنه يوجه صاحبه إلى معاداة الشيطان والتمرد على أوامره وهواه، ويعمل قاصداً بعمله وجه الله ورضوانه مرغماً أنف الشيطان وطارداً له، ويوم يغفل المسلم عن الإخلاص يتسلط الشيطان عليه فتضعف إرادة المقاومة عنده، ويتغلب الشيطان عليه، لأن الإخلاص لله يقوي صاحبه على الشيطان فلا يقدر عليه ... بل إن الشيطان - أعادنا الله منه - أعلن أنه لا قدرة له على إغواء المؤمنين المخلصين، قال تعالى ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُو ابْنِي لِلْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ - ٤٠]^(٢)، وقد بين الحق سبحانه أن الإيمان أقوى من الشيطان وإغوائه، لمن تسلح به حق التسلح، حيث يقول: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٩٨ - ١٠٠].

"يعني بذلك أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله به، وانتهوا عما نهاهم الله عنه (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) أي فيما نابهم من مهمات أمورهم"^(٣).

(١) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي، (٦/ ٤٦ - ٤٧).

(٢) انظر: تزكية النفس، لمحمد أبو فارس، (ص ٥٢ - ٥٣).

(٣) جامع البيان، للطبري، (١٤/ ١٢١).

فالذين يتوجهون إلى الله تعالى وحده مخلصين له لا يملك الشيطان أن يسيطر عليهم مهما أغواهم؛ لأن صلتهم بالله تعصمهم من الانسياق معه، وقد يخطئون ولكنهم لا يستسلمون فيطردون الشيطان عنهم ويتوبون إلى الله من قريب^(١).

ويقترن بهذه الوسيلة أمر لا بد للعبد منه كي يستمر على إيمانه، وهو ما قرنه الله بالإيمان في الآية السابقة: التوكل على الله، أي طلب العون من الله في حماية الإيمان عليه فلا يتفلت منه، وهي معية مطلوبة لكل مؤمن لا تتفك عن الإيمان بحال فقد حكي عن أحد علماء السلف أنه قال لتلميذه: "ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال هذا يطول، رأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها، أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده جهدي وأرده. قال: هذا أمر يطول، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك"^(٢).

ثانياً: قتال أولياء الشيطان:

إذا استقر الإيمان في القلب، واتصل العبد بربه، زاد إبليس وأتباعه حربهم على المؤمنين، وأشهروا لهم كل سلاح، فوجب على المؤمنين أن يكفوا شر هؤلاء المجرمين ويبطلوا كيدهم بإظهار سلاح هو أقوى من كل أسلحة الشيطان، وهو سلاح يضاد كيد الشيطان لإيقاع الناس في الكفر وولايته، هذا السلاح هو قتال أولياء الشيطان، ودرء شرورهم عن أهل الإيمان، فكل منهج في الأرض له أتباع يذودون عنه، ويذوبون عنه كيد الكائدين، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

"فالمؤمنون يقاتلون في طاعة الله ورضوانه، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان، ثم هيج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾"^(٣).

وهذه الوسيلة هي من عزائم الأمور، لا يقوى عليها إلا من تسلح بالوسيلة السابقة، ويتحدث صاحب الظلال عن هذه الوسيلة فيقول: "ثم لمسة نفسية تطالب باستنهاض الهمم واستجاشة العزائم، وإنارة الطريق، وتحديد القيم والغايات والأهداف التي يعمل لها كل فريق (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) فالذين آمنوا يقاتلون في سبيله لتحقيق منهجه، وإقرار شريعته، وإقامة العدل بين الناس لا تحت أي عنوان آخر، اعترافاً بأن الله وحده هو الإله، ومن ثم فهو الحاكم، (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ) لتحقيق مناهج شتى غير منهج الله، وإقرار شرائع شتى غير شريعة الله، وإقامة قيم شتى

(١) انظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (٤/٢١٩٤).

(٢) تلبس إبليس، لابن الجوزي، (ص ٤٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (٤/١٦٠).

غير التي أذن بها الله، ورصد موازين شتى غير ميزان الله، ويقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية الله وحمائته ورعايته، ويقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشيطان بشتى راياتهم وشتى مناهجهم، وشتى شرائعهم، وشتى طرائقهم، وشتى قيمهم، وشتى موازينهم ... فكلهم أولياء الشيطان، ويأمر الله الذين آمنوا أن يقاتلوا أولياء الشيطان ولا يخشوا مكرهم ولا مكر الشيطان"^(١).

ثالثاً: كشف مخططات الشيطان:

يقول الحق سبحانه: ﴿ أَمْ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ [يس: ٦٠-٦١]، فبعد أن فصل الحق سبحانه مسالك الشيطان، وحذر منها في ثنايا كتابه العزيز، يجمل طريقة حسنة في إتمام هذا التحذير، ألا وهو بيان طريق الحق، وصراط الله المستقيم، فمن عرف تلك الطريق وسار عليها اجتنب بالبدية طريق الشيطان، فبيان سبل الشيطان، وكشف مخططاته ثم اتباع صراط الله طريقة حسنة - كما ذكرنا - في محاربة غواية إبليس وجنده، وقد نبه إلى هذه السبيل الدكتور عمر الأشقر حيث يقول: "على المسلم أن يتعرف على سبله ووسائله في الإضلال، ويكشف ذلك للناس، وقد فعل ذلك القرآن، وقام بهذه المهمة الرسول ﷺ خير قيام، فالقرآن عرفنا الأسلوب الذي أغوى الشيطان به آدم، ورسوله ﷺ كان يعرف الصحابة كيف يسترق الشيطان السمع، ويلقي بالكلمة التي سمع في أذن الكاهن أو الساحر ومعها مائة كذبة، يبين ذلك لهم كي لا ينخدعوا بأمثال هؤلاء، ويبين لهم كيف يوسوس لهم ويشغلهم في صلاتهم وعبادتهم، وكيف يحاول الشيطان أن يوهمهم بأن وضوءهم قد فسد، والأمر ليس كذلك، وكيف يفرق بين المرء وزوجه، وكيف يوسوس للمرء، فيقول له: من خلق كذا؟ ومن خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟"^(٢).

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (٧٠٩/٢).

(٢) عالم الجن والشياطين، لعمر الأشقر، (ص ١٦١).

المطلب الثالث

خطوات لتأديب النفس وإصلاحها

بعد أن انتهينا من ذكر وسائل الوقاية من الغفلة وطرق علاجها سنذكر بعض الخطوات التي تساهم في تأديب النفس وإصلاحها حتى لا تقع في الغفلة.

المسألة الأولى: التوبة

التوبة: الرجوع عن المعصية

التوبة اصطلاحاً: "الرجوع إلى الله بجل عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكل حقوق الرب"^(١).

أمر الله ﷻ في كثير من آيات القرآن الكريم بالتوبة واعتبرها من أفضل الفضائل التي دعا إليها الإسلام، قال تعالى: ﴿... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]. والنداء عام يشمل كل المؤمنين، لأنه لا يخلو إنسان من معصية^(٢)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا...﴾ [التَّحْرِيم: ٨]، والتوبة النصوح التي يقبلها الله ﷻ هي التي تصاحبها استقامة على الإيمان والعمل الصالح والندم على ما فات^(٣).

وهكذا ينبغي للنفس الوفية مع ذاتها أن تعيش معاني التوبة النصوح، وأن تجدد العزم على ترك المعاصي والانشغال بالطاعات.

المسألة الثانية: المراقبة

المراقبة لغة: المراقبة من الفعل رقب إذا نظر، والراء والقاف والباء أصل واحد يدل على انتصاب لمراعاة شيء^(٤).

المراقبة اصطلاحاً: "استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله"^(٥).

(١) انظر: التعريفات، للجرجاني، (ص ٧٤).

(٢) انظر: الأساس في التفسير، (م ١٠)، (ص ٦٠٠٥).

(٣) انظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، (١/٧٠٤)، وانظر في رحاب التفسير، (٨ / ٨٢٧٢).

(٤) انظر: معجم المقاييس في اللغة، (ص ٤١٧)، وانظر في رحاب التفسير، (٤/١٩٩٢).

(٥) التعريفات، (ص ٢٠٨).

ينبغي على الإنسان أن يكون وفيّاً مع نفسه بمراقبتها قبل العمل وفي أثناء العمل، وأن يستحضر عظمة الخالق ﷻ ومراقبته في كل الأحوال كأنك تراه،^(١) قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، أي أن الله مطلع على أعمالكم حفيظ عليها فيجازيكم بها.

ومن الأسباب الباعثة على مراقبة النفس:

التعظيم لله ﷻ ومعرفة قدرته المطلقة، فمن امتلأ قلبه من عظمة الله ﷻ، واستصحاب ذلك لم يعص الله إذا خلا، تذكر علم الله ﷻ المطلق، وأنه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، مطلع عليه في كل وقت، وكل لحظة، وكل نفس، وكل طرفة عين، اليقين الكامل بأن الله ﷻ يحصي على العبد كل ما يقع منه، وسيجزيه عليه يوم القيامة، كذلك من الأسباب الباعثة على مراقبة النفس التعبد لله ﷻ بأسمائه التي تبين مراقبة الله ﷻ للعبد مثل: الرقيب، والحفيظ، والسميع، والعليم، والبصير، فإذا عقل هذه الأسماء وتعبد بمقتضاها حصلت المراقبة، والمواظبة على الطاعات وكثرة الأعمال الصالحة من فرائض ونوافل؛ لأنها تقربك إلى الله ﷻ، وتقوي إيمانك مما يبعث فيك الازدياد من طاعته وترك معصيته، الفرح واللذة التي يجدها المسلم إذا ترك معصية الله ﷻ في السر مع قدرته عليها، وتمكنه منها، وتركها لوجه الله ﷻ ولذة الطاعة ولذة الانتصار على الشيطان وهوى النفس، لزوم الجماعة الصالحة؛ لأن الخلوة فرصة يتفرد الشيطان فيها بالإنسان^(٢).

المسألة الثالثة: المحاسبة

تعريف المحاسبة لغة: "المحاسبة مفاعلة من الحساب، وهو استيفاء الأعداد فيما للمرء وعليه"^(٣).

تعريف المحاسبة اصطلاحاً: النظر والتأمل فيما عمل المسلم، وما قدم مع النظر في النية، وتشمل الماضي والحاضر والمستقبل^(٤).

ينبغي للعبد أن يحاسب نفسه كل ساعة على أنفاسه وجوارحه وقلبه لكي يزكي نفسه، ويعطيها الحق الكامل في العبادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين، لأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، (ص ٣٢٤).

(٢) انظر: الأخلاق و الآداب، (٤/١٩٣٢).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف "معجم لغوي مصطلحي"، (ص ٦٤٠).

(٤) انظر: منهج الإسلام في تزكية النفس، (١/٣٣٦).

تدعو الآية السابقة المؤمنين إلى محاسبة أنفسهم قبل أن تحاسب، والذي يحاسب نفسه ويخاف مقام ربه لا يقدم على فعل المعاصي والذنوب، ويقوده الخوف إلى الندم على ما فات والتوبة، والخوف من الله تعالى حاجز حصين أمام رغبات النفس والهوى، والإنسان مكلف بأن ينهى نفسه عن اتباع الهوى وله الجنة^(١)، وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَهَيَّ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النَّازِعَات: ٤٠ - ٤١].

المسألة الرابعة: المجاهدة

تعريف المجاهدة لغة: "مفاعلة من الجهد فتحاً وضماً وجهد فلان ألح في الاجتهاد، وهو الإبلاغ في الطاقة والمشقة في العمل، ويستعمل في المحاربة وتدل على المشاركة التي تتم بين طرفين"^(٢).

تعريف المجاهدة اصطلاحاً: "محاربة النفس الأمانة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع"^(٣).

أعظم الجهاد جهاد النفس، وذلك لأن النفس أكثر عرضة للإغراء ووسوسة الشيطان، لذلك ينبغي على الإنسان أن يجاهد نفسه ويؤدبها ويكرهها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وله الأجر العظيم من الله تعالى إذا كان الجهاد خالصاً لله تعالى^(٤)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ولمجاهدة النفس ثمرات إيمانية كثيرة وافرة تنتج عنه، يرتفع بها المجاهد لنفسه أعلى المنازل، فمن هذه الثمرات: السعادة في الدنيا والآخرة والشعور بحلاوة الإيمان والشعور بالعزة والسكينة والسمو والغنى للنفس وتنمي عند المسلم الحكمة والفراسة وحسن الخلق وبذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل^(٥).

(١) انظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (١٠٢/٢٨).

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، (ص ٦٣٨)، وانظر: في رحاب التفسير، (١١٢٧٩/١٨).

(٣) التعريفات، (ص ٢٠٣).

(٤) انظر: في رحاب التفسير، (ص ١١٢٨٥ - ١١٢٨٧).

(٥) انظر: منهج الإسلام في تركية النفس، (٣٨٤/١).

وهناك أسباب تعين على مجاهدة النفس، منها: الصحة الصالحة وطلب العلم ومحاسبة النفس والمحافظة على الطاعات والإكثار من ذكر الله ﷻ وذكر الموت والتدرج في مجاهدة النفس وترويح النفس ومعاقبة النفس والتشديد عليها^(١).

والله تعالى أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من المتيقظين، المبتعدين عن الغفلة والغافلين، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينال رضاه عني إلى يوم الدين.. وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.. إنه سميع عليم.

(١) انظر: منهج الإسلام في تركية النفس، (١ / ٣٨٧ - ٣٩٦) باختصار.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ، بلغ الأمانة، وأدى الرسالة، ونصح للأمة حتى قيام الساعة، وعلى آله وصحبه، ومن سار على هديه، أما بعد : فإني أحمد الله حمداً كثيراً، أن وفقني ، وأعانني على كتابة وإتمام هذا البحث، الذي حمل عنوان: (الغفلة في ضوء القرآن - دراسة قرآنية موضوعية) .

ويمكن الوقوف على أهم النتائج في النقاط التالية:

- ١- تبين من خلال الدراسة، اللغوي والاصطلاحي للفظ الغفلة من خلال المعاجم المختلفة.
- ٢- اتضح أن الاستعمال القرآني للفظ الغفلة حيث ورد خمساً وثلاثين مرة في خمس وثلاثين آية من كتاب الله، وتم معرفة المكي والمدني منها، والوقوف على الصيغ والاشتقاقات الواردة حول الموضوع.
- ٣- تبين أن أكثر ورود للفظ الغفلة في السور المكية، لأن الناس لم يتعمقوا في الدين، ولم يدركوا حقيقته، لانشغالهم في الحياة الدنيا وشهواتها، وبهذا ضيعوا ثواب أعمال الدنيا والآخرة، ورغم ذلك لم يعدم ورود اللفظة في السور المدنية، بل وجدت في ذلك العهد أيضاً.
- ٤- ظهر أن لفظ الغفلة وردت في أغلب الصيغ إلا صيغة الأمر، فلم ترد مطلقاً، فلا يعقل أن يأمر الله عباده الغفلة التي تؤدي بهم إلى الضياع والهلاك، بل يحذرهم منها.
- ٥- برز أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين موضوع الغفلة وواقعنا المعاصر، ودليل هذا الارتباط ما يحصل في هذا الواقع، وهذا دليل على أهمية موضوع الغفلة.
- ٦- تبين أن القرآن الكريم لم يشتمل إلا على لفظة واحدة من نظائر الغفلة وهي النسيان، حيث وردت في عشرين سورة في خمس وأربعين آية في القرآن الكريم، واتضح لنا أن الغفلة والنسيان تشتركان في الكثير من الأسباب والآثار وكذلك طرق العلاج وأنها من أمراض القلوب.
- ٧- اتضح أن أسباب الغفلة كثيرة منها، الكفر بالله تعالى، الاستكبار، الرياء، الظلم، الجهل، اللهو والتفريط وإيثار الحياة الدنيا.
- ٨- تبين خطر الغفلة من خلال تحذير الله ﷻ الشديد للغافلين، كما تبين أن هذا الخطر لا يقع في الحياة الدنيا فقط وإنما في الآخرة أيضاً.

- ٩- برز أهم الأخطار التي يتعرض لها الغافل في الدنيا، والتي منها الصرف عن تدبير آيات الله وفهمها والانتفاع بها، والحرمان من رحمة الله ﷻ وعدم إجابة الدعاء والختم على القلب والسمع والبصر كما أنها تغلق على العبد أبواب الخير وتفتح له أبواب الشر.
- ١٠- تبين أن هناك آثاراً وخيمة للغفلة، من أهمها التكذيب بآيات الله وعدم إدراك الأدلة والبراهين والاتعاظ بها والإعراض عن ذكر الله والضلال.
- ١١- اتضح أن ابتعاد الناس عن القرآن وهديه تسبب في نقشي الغفلة وكثرة مظاهرها في حياتنا المعاصرة.
- ١٢- تبين أن الغفلة من الصفات الذميمة التي ينبغي أن لا يقع فيها المؤمن، بل عليه أن ينتبه لها، ويحذر من أسبابها ويخاف عواقبها، ويلزم الطرق التي تقي من الوقوع فيها.
- ١٣- ظهر أن تحقيق الإيمان، سواء تعلق بالله وآياته ورسوله، أو كان ذلك متمثلاً في إخلاص النية لله ، ودوام الاستقامة على دينه، ومثّل كل ذلك سبيلاً رئيساً من سبل الوقاية من الغفلة.
- ١٤- برز أن القيام بالأعمال الصالحة، سواء تعلقت بالعبادات، أو المعاملات، أو كان ذلك جهاداً بالمال والنفس واللسان، أو التزاماً بالأخلاق والسلوكيات الصالحة، أو فعلاً للقربات ومثّل كل ذلك سبيلاً ثانياً من سبل الوقاية من الغفلة.
- ١٥- اتضح أن اجتناب المنهيات، سواء كانت شركاً بالله، أو فساداً، أو ظلماً، أو شحاً، أو أكلاً للربا، ومثّل كل ذلك سبيلاً ثالثاً من سبل الوقاية من الغفلة.
- ١٦- ظهر أن الالتزام بالمأمورات من طاعة الله ورسوله، والصبر والمصابرة، وتقوى الله، والتوبة إليه، وذكره سبحانه، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر مثّل كل ذلك سبيلاً رابعاً من سبل الوقاية من الغفلة.
- ١٧- اتضح بيان القرآن للطرق التي يتوصل من خلالها إلى علاج الغفلة والنسيان.

التوصيات:

١- أنصح طلبة العلم بالاهتمام بالموضوعات القرآنية، والعناية بها، لكونها ترتبط بكتاب الله، وهي موضوعات مهمة تعالج قضايا بشرية، وأحداث واقعية، وهي تمثل تفسيراً موضوعياً لكتاب الله تعالى.

٢- أنصح الجميع بالعمل للآخرة، وترك الانغماس في شهوات الدنيا وملذاتها، لأن ذلك هو سبيل النجاة من الغفلة في الدنيا والآخرة.

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

خامساً: فهرس الموضوعات

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

سورة البقرة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١-	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ... ﴾	٥-٤	١١٠
٢-	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ... ﴾	٧	٩٧
٣-	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ... ﴾	١٢-١١	١١٧
٤-	﴿ صُمْ بِكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾	١٨	٨٨
٥-	﴿ ... فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٢٢	١١٥
٦-	﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ... ﴾	٢٥	١٠٦
٧-	﴿ وَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ﴾	٢٥	٧٢
٨-	﴿ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ... ﴾	٣٦	٤٩
٩-	﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	٣٨	٦٩
١٠-	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ... ﴾	٦٢	١٠٦
١١-	﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا... ﴾	١٠٦	٢٦
١٢-	﴿ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ... ﴾	١٤٩	١٣
١٣-	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ... ﴾	١٥٣	١٢٢
١٤-	﴿ ... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾	١٥٥	١٢٢
١٥-	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا... ﴾	١٦٨-١٦٩	٧٤
١٦-	﴿ صُمْ بِكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	١٧١	٨٨
١٧-	﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ... ﴾	١٧٧	١٠٦
١٨-	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾	١٨٦	١٤٠
١٩-	﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... ﴾	٢٠٤-٢٠٦	٦٣
٢٠-	﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا... ﴾	٢٠٥	١١٧
٢١-	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	٢٢٢	١٢٤

١٣	٢٥٥	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ... ﴾	-٢٢
١٤٨	٢٥٦	﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنِ بِاللَّهِ ... ﴾	-٢٣
٦١	٢٦٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ ... ﴾	-٢٤
٤٣	٢٨٢	﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا ... ﴾	-٢٥
١٤	٢٨٣	﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾	-٢٦
١٠٧	٢٨٥	﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ... ﴾	-٢٧
٧٣	٢٨٥	﴿ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾	-٢٨
٣٦	٢٨٦	﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ... ﴾	-٢٩
سورة آل عمران			
٧٠	١٤	﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ... ﴾	-٣٠
١٩	٨٩	﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	-٣١
١٢٧	١٠٤	﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾	-٣٢
١٢٧	١١٠	﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾	-٣٣
١٢٤	١٣٦-١٣٣	﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ... ﴾	-٣٤
١٢٢	١٤٦	﴿ ... وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾	-٣٥
٧١	١٥٢	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ مُحْسِنْتُمْ بِأَذْنِهِ ... ﴾	-٣٦
١٢٦	١٩١	﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾	-٣٧
١٠٩	١٩٥-١٩٣	﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ ... ﴾	-٣٨
١٢٤	١٩٨	﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾	-٣٩
١٢٢	٢٠٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ... ﴾	-٤٠
سورة النساء			
٤	١٠٢	﴿ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ ... ﴾	-٤١

سورة المائدة			
٣٣	١٣	﴿ فَبِمَا نَقُضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ... ﴾	-٤٢
١١٩	٣٩	﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ... ﴾	-٤٣
١٠٢	٥١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ... ﴾	-٤٤
١١٨	٦٤	﴿ ... كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ... ﴾	-٤٥
١٠٧	٦٧	﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ... ﴾	-٤٦
١٠٧	٦٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ... ﴾	-٤٧
١١٥	٧٢	﴿ ... إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ... ﴾	-٤٨
١٢٠	١١٧	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ... ﴾	-٤٩
الأنعام			
١٤	١٤	﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	-٥٠
٨١	٢٩	﴿ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾	-٥١
٧٠	٣٢	﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهْوٌ... ﴾	-٥٢
٦٥	٣٣	﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ... ﴾	-٥٣
٣٤	٤٤	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ... ﴾	-٥٤
١٣٦	٥٢	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ... ﴾	-٥٥
٤٠	٦٨ - ٦٩	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ... ﴾	-٥٦
٧٨	١٢٤	﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ... ﴾	-٥٧
١٤٧	١٢٨	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَهْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ ﴾	-٥٨
٤	١٣١	﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾	-٥٩
١٢	١٥٣	﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ... ﴾	-٦٠
٥٧	١٥٦	﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا... ﴾	-٦١
سورة الأعراف			
٤٩	٢٤ - ٢٥	﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ... ﴾	-٦٢

٥٧	٣٧	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ... ﴾	-٦٣
٦٠	٤٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ... ﴾	-٦٤
٦٧	٥١	﴿ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ... ﴾	-٦٥
١١٧	٥٦	﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ... ﴾	-٦٦
٧٨	٩٩	﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾	-٦٧
٨٦	١٣٦-١٣٤	﴿ وَمَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ... ﴾	-٦٨
٩٥	١٣٦-١٣٥	﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى آجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ... ﴾	-٦٩
١٩	١٣٦	﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ... ﴾	-٧٠
٦٠	١٤٦	﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	-٧١
٨٩	١٤٧-١٤٦	﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... ﴾	-٧٢
١٢١	١٥٧	﴿ ... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي ... ﴾	-٧٣
١٢٧	١٥٧	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ... ﴾	-٧٤
٤١	١٦٥	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ... ﴾	-٧٥
٢١	١٧٢	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ... ﴾	-٧٦
٨٨	١٧٩	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ... ﴾	-٧٧
١٤٥	٢٠٠-١٩٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ... ﴾	-٧٨
٢٠	٢٠١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا ... ﴾	-٧٩
١٤٧	٢٠٢	﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾	-٨٠
٢١	٢٠٥	﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا ... ﴾	-٨١
١٣٤	٢٠٦-٢٠٥	﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ ... ﴾	-٨٢
سورة الأنفال			
١٠٥	٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾	-٨٣
١٢٥	٣-٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ... ﴾	-٨٤
٨٨	٢٣	﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا ... ﴾	-٨٥

١٠٧	٢٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾	-٨٦
١٢٦	٤٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَابْتُئُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ ... ﴾	-٨٧
١٢٣	٦٠	﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ... ﴾	-٨٨
سورة التوبة			
١٢٠	٣١	﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾	-٨٩
٣٤	٦٧	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ... ﴾	-٩٠
٤٠	٦٨-٦٧	﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ... ﴾	-٩١
١٢٧	٧١	﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴾	-٩٢
سورة يونس			
٦٩	٨-٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا ... ﴾	-٩٣
١١٩	٥٢	﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ ... ﴾	-٩٤
١٣٨	٥٧	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ... ﴾	-٩٥
١٢٣	٦٢	﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	-٩٦
١٢٤	٦٤-٦٣	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ... ﴾	-٩٧
١١٨	٨٣	﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ ﴾	-٩٨
٩٧	٩٢-٩١	﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ... ﴾	-٩٩
١٠٧	١٠٣	﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	-١٠٠
سورة الرعد			
١٠٧	١٨	﴿ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى ... ﴾	-١٠١
١٢٥	٢٨	﴿ ... أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾	-١٠٢
١١٥	٣٦	﴿ ... قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٌ ﴾	-١٠٣

سورة إبراهيم			
١٤	٤	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾	-١٠٤
٩٨	٢٢	﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ ... ﴾	-١٠٥
٦٥	٤٥ - ٢٤	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ... ﴾	-١٠٦
١١٩	٤٢	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ... ﴾	-١٠٧
سورة الحجر			
١٤٨	٤٠ - ٣٩	﴿ قَالَ رَبِّ بِأَعْوَيْتَنِي لَأَزِيَّنَّ هُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ... ﴾	-١٠٨
٢١	٧٢	﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	-١٠٩
سورة النحل			
١١٩	٤١	﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ... ﴾	-١١٠
٧٧	٤٥	﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَحْسَفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ ... ﴾	-١١١
٥٧	٨٣	﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	-١١٢
١٢٢	٩٦	﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	-١١٣
١٤٨	١٠٠ - ٩٨	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ... ﴾	-١١٤
٨٩	١٠٩ - ١٠٦	﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ... ﴾	-١١٥
٦٩	١٠٧	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ ... ﴾	-١١٦
١٢٢	١٢٦	﴿ ... وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾	-١١٧
١٢٣	١٢٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾	-١١٨
سورة الإسراء			
٥٧	١٥	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	-١١٩
١٤٥	٥٣	﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ... ﴾	-١٢٠
٧٥	٦٢	﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... ﴾	-١٢١

٧٣	٦٣	﴿ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴾	-١٢٢
١١١	٦٥	﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾	-١٢٣
٨٧	٧٢	﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾	-١٢٤
١٣٠	٨٢	﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾	-١٢٥
١٣١	١١٠	﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾	-١٢٦
سورة الكهف			
٣٣	٢٤	﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ... ﴾	-١٢٧
١٣٥	٢٧	﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ... ﴾	-١٢٨
١٣٠	٢٨-٢٧	﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ... ﴾	-١٢٩
٢١	٢٨	﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ... ﴾	-١٣٠
٣٤	٥٧	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ... ﴾	-١٣١
٣٩	٦٣-٦٢	﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ... ﴾	-١٣٢
٥١	٦٤-٦٢	﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنَّا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ... ﴾	-١٣٣
٢٥	٦٣	﴿ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾	-١٣٤
٥١	٧٣-٧٢	﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ... ﴾	-١٣٥
٢٥	٧٣	﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾	-١٣٦
١٢	١٠٤-١٠٣	﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ... ﴾	-١٣٧
٩٥	١٠٥	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ... ﴾	-١٣٨
١١٧	١١٠	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ... ﴾	-١٣٩
سورة مريم			
٥٧	٣٩-٣٧	﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾	-١٤٠
٩١	٣٩	﴿ وَأَنذَرُهم يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ ... ﴾	-١٤١

٢٢	٤٠-٣٩	﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ...﴾	-١٤٢
١٠٩	٦٠	﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ...﴾	-١٤٣
٣٠	٦٤	﴿وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا...﴾	-١٤٤
سورة طه			
٣٠	٥٢	﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾	-١٤٥
٨١	٩٦	﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ...﴾	-١٤٦
٣٣	١١٥	﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾	-١٤٧
٤٨	١٢٧-١١٥	﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾	-١٤٨
٣٩	١٢١-١٢٠	﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ...﴾	-١٤٩
٣٩	١٢١	﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوءُ أُمَّهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾	-١٥٠
٦٩	١٢٣	﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾	-١٥١
٤٩	١٢٧-١٢٣	﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ...﴾	-١٥٢
٣٢	١٢٦	﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾	-١٥٣
٥٧	١٣٤	﴿وَلَوْ أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ...﴾	-١٥٤
١٣٠	١٢٦-١٢٤	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا...﴾	-١٥٥
١٣١	١٣٠	﴿...وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا...﴾	-١٥٦
١٣٣	١٣١	﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾	-١٥٧
سورة الأنبياء			
٤	١	﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾	-١٥٨
٩٠	١	﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾	-١٥٩
٩٩	٢-١	﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ...﴾	-١٦٠

٦٧	٣-١	﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ ... ﴾	-١٦١
٩٧	٣-١	﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ ... ﴾	-١٦٢
٦٤	٩٧	﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴾	-١٦٣
سورة الحج			
٧٥	٤-٣	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ... ﴾	-١٦٤
٣٤	١٠	﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	-١٦٥
٨٨	٤٦	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ... ﴾	-١٦٦
١١٩	٣٩-٣٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ... ﴾	-١٦٧
سورة المؤمنون			
٨١	٣٧	﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾	-١٦٨
٤٤	١١٠-١٠٦	﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ... ﴾	-١٦٩
١٢٢	١١١	﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾	-١٧٠
٧٤	١١٦-١١٥	﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ... ﴾	-١٧١
سورة النور			
٧٥	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ... ﴾	-١٧٢
١٦	٢٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا ... ﴾	-١٧٣
١٢٤	٣١	﴿ ... وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا ﴾	-١٧٤
١٢١	٥١	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ... ﴾	-١٧٥
١٢٣	٥٢	﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾	-١٧٦
سورة الفرقان			
٣٤	١٨-١٧	﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾	-١٧٧
٧٩	٢٧	﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ... ﴾	-١٧٨
١٤٧	٢٩-٢٧	﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ... ﴾	-١٧٩

٨٨	٤٤	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ... ﴾	-١٨٠
١٤٠	٦٤	﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾	-١٨١
سورة الشعراء			
١١٧	١٥٢-١٥١	﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ... ﴾	-١٨٢
١٤	٢١٣	﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾	-١٨٣
١٤٦	٢٢٣-٢٢١	﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ... ﴾	-١٨٤
سورة النمل			
١٣	٩٣	﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	-١٨٥
٧٨	٥١	﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	-١٨٦
سورة القصص			
١٩	١٥	﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا ﴾	-١٨٧
٦٨	٥٠	﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ... ﴾	-١٨٨
١١٠	٦٧	﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَغَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾	-١٨٩
١١٨	٧٧	﴿ ... وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾	-١٩٠
٧١	٨٠-٧٩	﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ... ﴾	-١٩١
١١٨	٨٣	﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ... ﴾	-١٩٢
سورة العنكبوت			
٥٨	٥٢	﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ... ﴾	-١٩٣
١٥٣	٦٩	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	-١٩٤
سورة الروم			
٢١	٧	﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾	-١٩٥
٦٥	٩-٧	﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ... ﴾	-١٩٦
١١٢	٣٨	﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ... ﴾	-١٩٧

٨٢	٤١	﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ... ﴾	-١٩٨
سورة السجدة			
٢٥	١٤	﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ... ﴾	-١٩٩
١٠٥	١٧-١٥	﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا ... ﴾	-٢٠٠
١٤٠	١٧-١٦	﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ... ﴾	-٢٠١
٩٨	٢٢	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ... ﴾	-٢٠٢
سورة الأحزاب			
١٢٦	٤٢-٤١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ... ﴾	-٢٠٣
١٤٧	٦٧	﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾	-٢٠٤
١٢١	٧١	﴿ ... وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	-٢٠٥
سورة فاطر			
٥٨	٣٩	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	-٢٠٦
سورة يس			
٥٦	٦-١	﴿ يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ... ﴾	-٢٠٧
٨٥	٧-٦	﴿ لَتَنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤَهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ... ﴾	-٢٠٨
١٥٠	٦١-٦٠	﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ لَكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ... ﴾	-٢٠٩
سورة ص			
٧٤	٨٣-٧٣	﴿ إِلَّا إِلَهَ إِلَهٍ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ... ﴾	-٢١٠
٧٥	٨٢	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾	-٢١١
١١١	٨٣-٨٢	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا غُورِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ ﴾	-٢١٢
٧٣	٨٤-٨٣	﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ... ﴾	-٢١٣
١١١	٢	﴿ ... فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾	-٢١٤
٣٣	٨	﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ... ﴾	-٢١٥
١٣٦	٩	﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... ﴾	-٢١٦

١٢٢	١٠	﴿ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	-٢١٧
١١١	١١	﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾	-٢١٨
١١١	١٤	﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْهُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾	-٢١٩
١٣٢	٢٢-٢١	﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ... ﴾	-٢٢٠
١٣٩	٥٣	﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ... ﴾	-٢٢١
سورة غافر			
٦٠	٣٥	﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ ... ﴾	-٢٢٢
١١٤	٥٨	﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	-٢٢٣
١٤٠	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... ﴾	-٢٢٤
١١٥	٦٦	﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ... ﴾	-٢٢٥
سورة فصلت			
١٤٧	٢٥	﴿ وَقَفَّضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ ... ﴾	-٢٢٦
٩٧	٢٦	﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	-٢٢٧
١١٢	٣١-٣٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ... ﴾	-٢٢٨
١٤٥	٣٦-٣٤	﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴾	-٢٢٩
١٣٠	٤٤	﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً ﴾	-٢٣٠
١١٤	٤٦	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	-٢٣١
سورة الشورى			
١١٣	١٥	﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ... ﴾	-٢٣٢
١٠٧	٢٦	﴿ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ... ﴾	-٢٣٣
١١٨	٤٢-٤١	﴿ وَلَنْ أَنْتَصِرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ... ﴾	-٢٣٤
سورة الدخان			
١٠٩	٥٧-٥١	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ... ﴾	-٢٣٥

سورة الجاثية			
١١٤	١٥	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾	٢٣٦-
١١٤	٢١	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ... ﴾	٢٣٧-
٦٧	٣٢	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ... ﴾	٢٣٨-
٧١	٢٤	﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ... ﴾	٢٣٩-
١٠٨	٣٠	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ... ﴾	٢٤٠-
٤٣	٣٥-٣١	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنزلُ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ ... ﴾	٢٤١-
سورة الأحقاف			
٩٩	٥	﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ ... ﴾	٢٤٢-
١١٢	١٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... ﴾	٢٤٣-
١١٣	١٤-١٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ... ﴾	٢٤٤-
٨٨	٢٦	﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ ... ﴾	٢٤٥-
١٢٢	٣٥	﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعِزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ... ﴾	٢٤٦-
سورة محمد			
٢١	١٢	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ... ﴾	٢٤٧-
٩٩	١٨	﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ... ﴾	٢٤٨-
سورة الفتح			
١٠٦	٥	﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾	٢٤٩-
سورة الحجرات			
١٢٣	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ ... ﴾	٢٥٠-
سورة ق			
٥٧	٢	﴿ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾	٢٥١-
٩٢	٢٢	﴿ لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَك ... ﴾	٢٥٢-

٩٨	٢٧-٢٢	﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ... ﴾	٢٥٣-
سورة الذاريات			
٧٤	٥٨-٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ... ﴾	٢٥٤-
سورة النجم			
٧١	٣٠-٢٩	﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا... ﴾	٢٥٥-
٣٤	٦٠	﴿ فَأَتَّخِذُوهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴾	٢٥٦-
سورة الحديد			
٧٠	٢٠	﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ... ﴾	٢٥٧-
سورة المجادلة			
٤٧	٦-٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبِتُوا... ﴾	٢٥٨-
١١٥	٨	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ مُمُّوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا مُمُّوا عَنْهُ... ﴾	٢٥٩-
١٣٦	١١	﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ... ﴾	٢٦٠-
٧٦	١٩	﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ... ﴾	٢٦١-
٤٠	١٩	﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ... ﴾	٢٦٢-
سورة الحجر			
١٤٨	٤٠-٣٩	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ... ﴾	٢٦٣-
٢٠	٧٢	﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	٢٦٤-
سورة الممتحنة			
١١٥	٩	﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ... ﴾	٢٦٥-
١٧	١٢	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُسْرِكَنَّ بِاللَّهِ... ﴾	٢٦٦-
سورة الصف			
٥٩	٥	﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾	٢٦٧-
١٠٩	١٢-١١	﴿ تَوَدُّونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ... ﴾	٢٦٨-
سورة الجمعة			

١٢٦	١٠-٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا ... ﴾	-٢٦٩
سورة المنافقون			
٧٢	٩	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾	-٢٧٠
سورة التغابن			
١٠٩	٩	﴿ ... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ ... ﴾	-٢٧١
سورة الطلاق			
٦٦	٩-٨	﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاَهَا ... ﴾	-٢٧٢
٦٦	٩	﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾	-٢٧٣
سورة التحريم			
١٠٨	٦	﴿ ... لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾	-٢٧٤
١٢٥	٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ... ﴾	-٢٧٥
سورة نوح			
١٣٢	١٣-١٠	﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ... ﴾	-٢٧٦
سورة المزمل			
١٤	١١	﴿ وَذُرِّيِّ الْمُكذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلَهُمْ قَلِيلًا ﴾	-٢٧٧
سورة القيامة			
١٠٠	٢١-٢٠	﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذُرُونَ الْآخِرَةَ ﴾	-٢٧٨
سورة الإنسان			
١٠٠	٢٧	﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾	-٢٧٩
سورة النازعات			
٨٠	٤١-٣٧	﴿ فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ... ﴾	-٢٨٠
سورة المطففين			
٨٢	١٤	﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾	-٢٨١
سورة البروج			

١٠٩	١١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ جَنَّاتٌ... ﴾	-٢٨٢
سورة الأعلى			
٢٥	٦	﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴾	-٢٨٣
٣٥	٧-٦	﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾	-٢٨٤
١٢٦	١٥-١٤	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾	-٢٨٥
سورة البينة			
٦١	٥	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾	-٢٨٦
سورة الزلزلة			
١٣	٨-٧	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾	-٢٨٧
سورة التكاثر			
٧٢	٢-١	﴿ أَهَّاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾	-٢٨٨
سورة الماعون			
٦١	٦	﴿ الَّذِينَ هُمْ يِرْءَاؤُونَ ﴾	-٢٨٩
٦١	٧-٤	﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ... ﴾	-٢٩٠

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

رقم الصفحة	درجة الحديث	اسم الكتاب	متن الحديث	م
١٣٧	صحيح	صحيح مسلم	(... خرج رسول الله ﷺ على حَلْفَةٍ من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟...)	-١
١٤٥	صحيح	صحيح البخاري	(... جاءت رسول الله ﷺ تزوره وهو معتكف في المسجد في العشر الأواخر من رمضان...)	-٢
١٤٢	حسنه الألباني	سنن ابن ماجه	(... جاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ ثم قال: يا رسول الله! أي المؤمنين أفضل؟ ...)	-٣
١٤١	حسنه الألباني	سنن النسائي	(... ذاك شهرٌ يغفلُ الناسُ عنه بين رجب ورمضان...)	-٤
١٠٨	قال أبو عيسى: حسن صحيح	سنن الترمذي	(... فقال للنار! أنت عذابي أنتقم بك ممن شئت...)	-٥
٥٥	صحيح	صحيح البخاري	(... كان يسأل الرسول ﷺ عن الشر، مخافة أن يصيبه...)	-٦
١١٩	صحيح	صحيح البخاري	(اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)	-٧
٦٥	صحيح	صحيح مسلم	(اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...)	-٨
١١٥	قال أرناؤوط: الحديث صحيح	مسند أحمد	(اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل...)	-٩
١١٦	صحيح	صحيح البخاري	(اجتنبوا السبع الموبقات...)	-١٠
٨٧	حسنه الألباني	سنن الترمذي	(ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة...)	-١١
٩١	صحيح	صحيح البخاري	(إذا صار أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار...)	-١٢

١٤١	صحيح	صحيح البخاري	(أظنكم قد سمعتم أن أبا عبيدة قد جاء بشيء؟...)	-١٣
١٣٤	صحيح	صحيح مسلم	(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد...)	-١٤
١٤٢	قال الألباني حسن صحيح	سنن الترمذي	(أكثرُوا ذكر هادم اللذات)	-١٥
١٣٢	صحيح	صحيح مسلم	(ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله...)	-١٦
١٣٣	صحيح	صحيح البخاري	(ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟...)	-١٧
٧٠	حسنه الألباني	سنن الترمذي	(ألا إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو عالما، أو متعلما)	-١٨
١٣٤	وقال: حديث حسن صحيح	سنن الترمذي	(الدعاء هو العبادة)	-١٩
٧٩	حسنه الألباني	أبو داود	(الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخال...)	-٢٠
٦٨			(أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله...)	-٢١
٤٣	صحيح	صحيح مسلم	(إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها...)	-٢٢
٦٨	صحيح	صحيح البخاري	(إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه...)	-٢٣
١١١	صحيح	صحيح البخاري	(إنما الأعمال بالنيات...)	-٢٤
١١٩	قال أرناؤوط: حديث صحيح	مسند أحمد	(إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)	-٢٥
١١٩	صحيح	صحيح البخاري	(إياكم والظلم، فإنه ظلمات يوم القيامة...)	-٢٦
٨٣	صحيح	صحيح مسلم	(تُعرضُ الفتنُ على القلوب...)	-٢٧
٤٩	صحيح	صحيح البخاري	(حاجَّ موسى آدمَ، فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنوبك وأشقيتهم؟...)	-٢٨

٨٧	حسنه الألباني	سنن الترمذي	(عليكن بالتسبيح، والتهليل، والتقديس...)	-٢٩
١٢٤	قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب	سنن الترمذي	(قال الله تعالى: يا ابن آدم: إنك ما دعوتني ورجوتني، غفرت لك...)	-٣٠
١١٢	قال الأرنؤوط: إسناده صحيح	مسند أحمد	(قل آمنت بالله ثم استقم...)	-٣١
٨٠	صحيح	صحيح البخاري	(كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا...)	-٣٢
٨٢	صحيح	صحيح البخاري	(كل أمتي معافى إلا المجاهرين...)	-٣٣
١٣٣	صحيح	صحيح البخاري	(كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن...)	-٣٤
١٣٦	صحيح	صحيح مسلم	(كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: أطرده هؤلاء لا يجترئون علينا...)	-٣٥
٩٢	صحيح	صحيح مسلم	(لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم؛ أن يصيبكم ما أصابهم...)	-٣٦
٥٨	صحيح	صحيح مسلم	(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر...)	-٣٧
١٣٢	قال أبو عيسى: حسن	صحيح الترمذي	(لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله)	-٣٨
١٤٥	صحيح	صحيح البخاري	(لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح...)	-٣٩
١٣٤	صحيح	صحيح مسلم	(لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله...)	-٤٠
١٠٢	صحيح	صحيح البخاري	(لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبِيرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ...)	-٤١

١٣٤	وقال: حديث حسن صحيح	سنن الترمذي	(ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها...)	-٤٢
١٢٥	حسنه الألباني	ابن ماجه	(ما من رجل يذنب ذنباً، فيتوضأ...)	-٤٣
١٤٠	صحيح	صحيح البخاري	(ما من مسلم يدعو الله بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعةً رحم إلا أعطاه بها...)	-٤٤
٧٩	صحيح	صحيح البخاري	(مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير...)	-٤٥
١٣٢	صحيح	صحيح البخاري	(مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت)	-٤٦
١٢٠	صحيح	صحيح مسلم	(من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن عصاني فقد عصى الله...)	-٤٧
١١٤	قال الألباني: صحيح	سنن أبو داود	(من تعلم علماً يبتغي به وجه الله...)	-٤٨
١٤٠	قال الألباني: إسناد صحيح	ابن خزيمة	(من حافظ على هؤلاء الصلوات المكتوبات لم يكتب من الغافلين)	-٤٩
١٤٠	قال الإمام المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد	مسند أحمد	(من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة...)	-٥٠
١٠١	صححه الألباني	سنن أبو داود	(مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ غَفَلَ...)	-٥١
١٣٢	صحيح	صحيح البخاري	(من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له...)	-٥٢
١٤١	صححه الألباني	سنن أبو داود	(من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين...)	-٥٣
١٣٩	صححه الألباني	سنن الترمذي	(من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة...)	-٥٤
١٤٠	حسنه الألباني	سنن الترمذي	(من لم يسأل الله يغضب عليه)	-٥٥

١٣٧	صحيح	صحيح البخاري	(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)	-٥٦
١٤٠	صحيح	صحيح البخاري	(والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة)	-٥٧
٩٢	صحيح	صحيح مسلم	(وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر ...)	-٥٨
٢٥	صحيح	صحيح البخاري	(وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا...)	-٥٩
٥١	صحيح	صحيح البخاري	(وَدِدْنَا أَن مُوسَى كَانَ صَبْرًا حَتَّى يَقْصُ اللَّهُ عَلَيْنَا مَنْ خَبَرَهُمَا)	-٦٠
٦٢	صحيح	صحيح مسلم	(وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلِمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ...)	-٦١
٤١	قال أرناؤوط: حديث صحيح	صحيح مسلم	(يا عبادي ! إنني حرمت الظلم على نفسي ...)	-٦٢
٢٢	صحيح	صحيح البخاري	(يُجَاءُ بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ كَبِشٌ أَمْلَحٌ ...)	-٦٣

ثالثاً: فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العلم	م
١٦	ابن جزري	-١
٢٧	ابن مسكويه	-٢
٥٥	أبو إدريس الخولاني	-٣
٦٨	أبو الدرداء	-٤
١٦	أبو جعفر النحاس	-٥
٦٣	الأصمعي	-٦
٥	الإمام الشوكاني	-٧
٥	الإمام الكفوي	-٨
٤	الإمام المناوي	-٩
١١٣	زيد بن أسلم العجلاني	-١٠
٦٣	طاهر بن الحسين	-١١
١٣٢	عبد الله بن بسر	-١٢
٦٣	المروزي	-١٣
١٣٤	النعمان بن بشير	-١٤
٨٧	يُسيرة	-١٥

فهرس المصادر والمراجع

- ١- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المكتبة التجارية الكبرى مصر .
- ٢- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م دار القلم .
- ٣- الأخلاق في الإسلام - د.كايد فرعوس وخالد القضاة وغيرهم - ط ٤ / ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م - دار المناهج ، عمان ، الأردن .
- ٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ؛ للقاضي أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العِمَادِي الحنفي، المتوفى سنة ٩٨٢هـ ٤/٤٤٨، وضع حواشيه عبداللطيف عبدالرحمن، طبع دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م .
- ٥- أسباب النزول - للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي - تحقيق / أيمن صالح شعبان - حقوق الطبع محفوظة / ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م - دار الحديث / القاهرة .
- ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة - لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري - ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٣ م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ت(١٣٢٥ - ١٣٩٣هـ، ١٩٠٧ - ١٩٧٣م).
- ٨- إعراب القرآن؛ لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النَّحاس ، المتوفى سنة ٣٣٨هـ، ٤٣٦/٢، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، مطبعة العاني، بغداد.
- ٩- الأعلام للزركلي، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ، الزركلي دمشقي ، الناشر : دار العلم للملايين .
- ١٠- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان تأليف أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية دار المعرفة بيروت لبنان .
- ١١- آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، الطبعة السابعة، ١٤١٣هـ، ١٩٦١م .
- ١٢- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير - لأبي بكر جابر الجزائري - ط ٢ / ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م - المكتبة العصرية / صيدا ، بيروت.

- ١٣- بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية - لسليمان بن عمر العجلي الشافعي الشهير بالجمال - طبع بمطبعة / عيسى البابي الحلبي وشركاؤه / بمصر .
- ١٤- البحر المحيط في التفسير - لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي طبعة جديدة بعناية / الشيخ زهير جعيد - ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م - دارالفكر / بيروت ، لبنان .
- ١٥- البحر المحيط في التفسير - لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي طبعة جديدة بعناية / الشيخ زهير جعيد - ١٤١٢ هـ ، ١٩٩٢ م - دارالفكر / بيروت ، لبنان .
- ١٦- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
- ١٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
- ١٨- بغية الطالبين من إحياء علوم الدين " مختصر عن إحياء علوم الدين " - للغزالي - للشيخ أحمد محمد عساف - ط ٤ / ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م - دار إحياء العلوم / بيروت / لبنان .
- ١٩- التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.
- ٢٠- التحرير والتنوير؛ لسماحة الأستاذ الإمام محمد الطاهر بن عاشور، المتوفى سنة ١٣٩٣هـ ٢٤٥/١٣، نشر دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس - الجمهورية التونسية.
- ٢١- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلام محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٢٢- تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٢٣- تزكية النفس ، الدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان - عمان ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .
- ٢٤- التسهيل لعلوم التنزيل؛ للإمام العلامة محمد بن جزي الكلبى ، المتوفى سنة ٧٤١هـ ٦٣/٣، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ٢٥- التعريفات، للجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ١٦١.

- ٢٦- تفسير البيضاوي " أنوار التنزيل وأسرار التأويل " - للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله محمد الشيرازي البيضاوي - حققه / الشيخ عبد القادر عرفات العشا حسونة ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٢٧- تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، وجمال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى.
- ٢٨- تفسير الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لفخر الدين الرازي، (ت ٦٠٤)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط جديدة مصححة، (دت).
- ٢٩- تفسير السمرقندي المسمى " بحر العلوم " - لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي - تحقيق / الشيخ علي معوض وآخرون - ط ١ / ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٣ م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٣٠- تفسير الشعراوي - محمد متولي الشعراوي - أخبار اليوم / قطاع الثقافة ، القاهرة.
- ٣١- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - لمحمد رشيد رضا - ط ٢ / ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م - دار المعرفة / بيروت.
- ٣٢- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي، تحقيق: سامي محمد علي سلامة، دار طيبة للنشر، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م: (المصدر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف).
- ٣٣- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
- ٣٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، لوهاب الزحيلي ، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م دار الفكر للنشر .
- ٣٥- التفسير الواضح - للدكتور محمد محمود حجازي - ط ٣ / ١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٦ م - مطبعة الاستقلال الكبرى / شارع نجيب الريحاني.
- ٣٦- تقريب التهذيب، لأبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- ٣٧- تلبيس إبليس ، للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي ، المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، حققه وعلق عليه أيمن صالح شعبان ، دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

- ٣٨- تهذيب الأخلاق، لابن مسكويه، المصدر: موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
- ٣٩- تهذيب اللغة، لأبي هلال العسكري، المصدر: موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
- ٤٠- تهذيب مدارج السالكين : كتبه الإمام ابن القيم الجوزية وهذبه عبد المنعم صالح العلي - دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٤١- التوقيف على مهمات التعاريف ، لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر .
- ٤٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٤٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن؛ لمحمد بن جرير الطَّبْرِي، المتوفى سنة ٣١٠ هـ / ١٨- لبنان، طبع سنة ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م.
- ٤٤- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار السلام . جمهورية مصر العربية ط ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .
- ٤٥- الجامع لأحكام القرآن - للإمام أبو عبيد بن محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي- ط ١ / ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ م- دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان.
- ٤٦- جند الله ثقافة وأخلاقاً - لسعيد حوى - ط ٣ - دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع / بيروت ، لبنان .
- ٤٧- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، الناشر: دار صادر - بيروت.
- ٤٨- خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمانة - للدكتور فضل حسن عباس - ط ١ / ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٢ م - دار البشير للنشر والتوزيع / عمان ، الأردن .
- ٤٩- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للإمام عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي - ضبط النص والتصحيح بإشراف دار الفكر - حقوق الطبع محفوظة / ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٣ م - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٥٠- ذم الهوى للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي دار الكتاب العربي بيروت ط ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .

- ٥١- الرائد معجم لغوي عصري - لجبران مسعود - ط ٣/١٩٧٨م - دار العلم للملايين / بيروت ، لبنان .
- ٥٢- روح البيان في تفسير القرآن - للشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي الخلوتي / ضبطه البروسوي - صححه وخرج آياته / عبد اللطيف حسن عبد الرحمن - ط ١ / ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .
- ٥٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي - صححه / محمد حسين العرب - دار الفكر / بيروت ، لبنان .
- ٥٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين للعلامة محمد بن أبي بكر قيم الجوزية مكتبة الصفا القاهرة، ط ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٥٥- زهرة التفاسير - للإمام محمد أبو زهرة - دار الفكر العربي / مدينة نصر ، القاهرة .
- ٥٦- الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٣م .
- ٥٧- سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- ٥٨- سنن ابن ماجه - لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه - حكم على أحاديثه وعلق عليها / محمد ناصر الدين الألباني - ط ١ / مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد الراشد / الرياض .
- ٥٩- سنن أبي داود - لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني - حكم على أحاديثه وعلق عليها / المحدث محمد ناصر الدين الألباني - ط ١ - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع لصاحبها سعد الراشد / الرياض .
- ٦٠- سنن الترمذي - الجامع المختصر من السنن عن رسول الله ﷺ ومعرفة الصحيح المعلوم وما عليه العمل - للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي - ط ٣ / محرم ١٤٢١ هـ ، إبريل ٢٠٠٠ م - دار السلام للنشر والتوزيع .

- ٦١- سنن النسائي - لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الشهير بالنسائي - حكم على أحاديثه وعلق عليها / محمد ناصر الدين الألباني - ط ١ - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع / الرياض .
- ٦٢- سير أعلام النبلاء للإمام محمد بن أحمد الذهبي مكتبة الصفا - القاهرة، ط ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- ٦٣- شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال؛ عزُّ الدِّين عبد العزيز بن عبد السَّلام السُّلمي، المتوفى سنة ٦٦٠هـ، ص: ١٤٥، تحقيق إياد خالد الطَّبَّاع، طبع دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ودار الفكر، دمشق - سورية، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م.
- ٦٤- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي دار الفجر للتراث - القاهرة ط ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٦٥- شرح جوهرة التوحيد في عقيدة أهل السنة والجماعة - لعبد الكريم تتان ومحمد أديب / الكيلاني - راجعه / عبد الكريم الرفاعي ووهبي سليمان الألباني - ط ١ / ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٤ م - دار البشائر / دمشق .
- ٦٦- صحيح ابن خزيمة، لأبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت.
- ٦٧- صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه - للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، ط ٣ / محرم ١٤٢١ هـ ، إبريل ٢٠٠٠ م دار السلام للنشر والتوزيع .
- ٦٨- صحيح مسلم - المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ط ٣ / محرم ١٤٢١ هـ، إبريل ٢٠٠٠ م دار السلام للنشر والتوزيع.
- ٦٩- صفوة التفاسير - للشيخ محمد علي الصابوني - ط ١ / ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٦ م - دار السلام.
- ٧٠- صيد الخاطر للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي دار الحديث القاهرة ط ١٤١٩ هـ _ ١٩٩٩ م .
- ٧١- الطبقات الكبرى، لأبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.

- ٧٢- طبقات المفسرين للداوودي، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٧٣- عالم الجن والشياطين، الدكتور عمر سليمان عبد الله الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع - عمان، الطبعة العاشرة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٧٤- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية مكتبة الإيمان المنصورة ط ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٧٥- عيوب النفس، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، المحقق: مجدي فتحي السيد، الناشر: مكتبة الصحابة - طنطا.
- ٧٦- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة الأولى عام ١٣٥١هـ.
- ٧٧- غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت ط ٢-١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
- ٧٨- غرائب القرآن و رغائب الفرقان على مصحف التهجد - للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري - ط ١ / ١٤١٦ هـ ، ١٩٩٥ م - دار الصفوة.
- ٧٩- الغفلة، سلسلة أعمال القلوب لمحمد صالح المنجد، مجموعة زاد للنشر ١٤٣٠ هـ ، الطبعة الأولى.
- ٨٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار المنار القاهرة ط ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
- ٨١- فتح البيان في مقاصد القرآن - للإمام أبي الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري - طبعه وراجعه / عبد الله بن إبراهيم الأنصاري - ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م - طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامي / بدولة قطر .
- ٨٢- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: سعيد محمد اللحام، طبع دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ج ٢، ٢٧٢.
- ٨٣- فرائد اللغة، لهنريكوس لا منس اليسوعي ٢٣٥/١، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٨٨٩ م.

- ٨٤- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، موقع يعسوب.
- ٨٥- الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، لنعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
- ٨٦- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ط ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م .
- ٨٧- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.
- ٨٨- قطف دانية من الكتاب والسنة - للدكتور محمود أحمد القيسية - ط ١/١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م - مؤسسة النداء / أبو ظبي ، الإمارات.
- ٨٩- كتاب الأربعين في أصول الدين - للإمام الغزالي - دار الجيل / بيروت.
- ٩٠- كتاب مصرع الشرك والخرافة - للشيخ خالد محمد علي الحاج - حققه / عبد الله بن إبراهيم الأنصاري - من مطبوعات إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر / ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨.
- ٩١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، مكتبة مصر جمهورية مصر العربية .
- ٩٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م، ص ٥٠٦ .
- ٩٣- لباب النقول في أسباب النزول - للإمام جلال الدين السيوطي - تحقيق / د.حمزة النشري وآخرون - المكتبة القيمة / القاهرة .
- ٩٤- لسان العرب - لابن منظور - تحقيق / أ.عبد الله علي الكبير وآخرون - دار المعارف .
- ٩٥- مباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة.
- ٩٦- المبصر لنور القرآن - لنائلة هشام صبري - ط ١ / ١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م - مطبعة الرسالة المقدسية / القدس ، بيت حنينا.
- ٩٧- مجلة هدى الإسلام، العدد الرابع ، السنة الرابعة ، ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ - كانون الأول ١٩٨٥ م .

- ٩٨- مجمل اللغة - لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي - تحقيق / زهير عبد المحسن سلطان - ط ٢ / ١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦ م - مؤسسة الرسالة / بيروت.
- ٩٩- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم ومساعدة ابنه محمد، تصوير الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ، مطابع الرياض، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- ١٠٠- مختصر منهاج القاصدين ، لأحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، دار التوزيع والنشر الإسلامية .
- ١٠١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية مكتبة الإيمان المنصورة ط ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
- ١٠٢- مرض القلوب وشفائها عند شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، مجلة جامعة أم القرى العدد ٢٣، جمع ودراسة: د. سعود بن حمد الصقري.
- ١٠٣- المستخلص في تزكية النفوس - لسعيد حوى - ط ١ / ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م - دار الأرقم / عمان - ودار القبس / بيروت.
- ١٠٤- المستقصى في أمثال العرب - للعلامة أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري - ط ٢/١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - دار الكتب العلمية/ بيروت ، لبنان.
- ١٠٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل - حققه / شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد - ط ١ / ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧ م - مؤسسة الرسالة / بيروت ، لبنان .
- ١٠٦- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي: تأليف أحمد بن محمد المقريء الفيومي، ط الأولى ١٤١٤ هـ/١٩٩٤ م ، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠٧- المصحف المفسر - لمحمد فريد وجدي - صدر في سنة ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٣ م - مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر / بمصر .
- ١٠٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد - للشيخ حافظ بن أحمد حكيمي - ضبط نصه، عمر بن محمود أبو عمر - ط ١، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.
- ١٠٩- معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، ج ٤، ٣٥٨.

- ١١٠- معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ١١١- المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد، للشيخ كامل محمد الجزار، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٧ هـ.
- ١١٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - لمحمد فؤاد عبد الباقي - ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م - دار الحديث / القاهرة.
- ١١٣- المعجم الوسيط - لمجمع اللغة العربية - ط ٣ / ١٩٨٥.
- ١١٤- معجم لغة الفقهاء د. محمد رواس قلجعي تحقيق د. حامد صادق قنبيبي دار النفائس ط ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- ١١٥- معجم مقاييس اللغة؛ لأحمد بن فارس، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ٣٨٦/٤، مادة "عَقَلَ"، بتحقيق عبد السلام محمد هارون، طبع دار الجيل، بيروت. لبنان.
- ١١٦- معرفة الصحابة، لأبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ١١٧- مفاتيح الجنة من الكتاب والسنة - لطفه عبد الله العيفي - دار الاعتصام / القاهرة.
- ١١٨- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق: وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، (دت).
- ١١٩- المقتطف من عيون التفاسير - للعلامة مصطفى الخيري المنصوري - حققه / محمد علي الصابوني - ط ١ / ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م - دار السلام / القاهرة.
- ١٢٠- منهاج المؤمن - للدكتور مصطفى مراد - ط ٢ / ١٤٢٥ هـ، ٢٠٠٤ م - دار الفجر للتراث / القاهرة.
- ١٢١- منهاج الهداية الإسلامية من خلال الخطب الجمعية - لمحمد المختار السلامي - دار الغرب الإسلامي.
- ١٢٢- منهاج الإسلام في تزكية النفس، لأحمد كرزون، ط ٢، ١٤١٨ هـ - ١٩٢ / ٩٧ م، دار ابن حزم للنشر.

١٢٣- موارد الظمان لدروس الزمان "خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان"
- لعبد العزيز محمد السلطان - ط ٢٠ / ١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م ، على نفقة جماعة من
المحسنين .

١٢٤- مواظ للإمام مالك بن دينار ، قام بجمعها صالح أحمد الشامي ، المكتب الإسلامي ،
الطبعة الأولى - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

١٢٥- الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب ، لسعود بن عبد الله الخريمي ، ط ٢٠٠٥ م ،
دار الفجر للنشر .

١٢٦- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لجمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي،
دراسة وتحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١،
١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.

١٢٧- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، لصالح بن عبد الله بن حميد، دار
الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط ٤، ج ١١، ص : ٥٠٩٨ .

١٢٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - برهان الدين أبي الحسن بن عمرو البقاعي - خرج
آياته وأحاديثه / عبد الرزاق غالب المهدي - ط ١ / ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م - دار الكتب
العلمية / بيروت ، لبنان .

١٢٩- النكت والعيون " تفسير الماوردي " - لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي /
البصري - راجعه وعلق عليه / السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم - ط ١ / ١٤١٢ هـ -
١٩٩٢ م - دار الكتب العلمية / بيروت ، لبنان .

١٣٠- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد
بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت،
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

١٣١- نيل الأوطار، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، الناشر: دار
الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

١٣٢- الوايل الصيب من الكلم الطيب ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن
سعد بن خريز بن مكي الدمشقي ابن قيم الجوزية، مطابع المختار الإسلامية - القاهرة ،
الطبعة الخامسة ١٤٠٠ .

خامسًا: فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
أ	إهداء
ب	شكر وتقدير
ج	المقدمة
٢٢-١	الفصل الأول وقفات مع الغفلة ومشتقاتها في القرآن الكريم
٣	المبحث الأول: تعريف الغفلة
٣ - ٤	المطلب الأول: تعريف الغفلة لغة واصطلاحاً
٦	المطلب الثاني: العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للغفلة
٨	المبحث الثاني: لفظ الغفلة ومشتقاتها في السياق القرآني
٨	المطلب الأول: ورود لفظ الغفلة في القرآن الكريم
٨	أولاً: الغفلة في السور المكية
١٠	ثانياً: الغفلة في السور المدنية
١٣	المطلب الثاني: نفي الغفلة عن ذات الله تعالى
١٦	المبحث الثالث: أنواع الغفلة في القرآن الكريم
١٦	المطلب الأول: الغفلة المحمودة في القرآن الكريم
١٩	المطلب الثاني: الغفلة المذمومة في القرآن الكريم وأقسامها
٢١	المطلب الثالث: الموقف الشرعي من الغفلة
٥٢-٢٣	الفصل الثاني نظائر الغفلة في القرآن الكريم
٢٥	المبحث الأول: النسيان في السياق القرآني
٢٥	المطلب الأول: تعريف النسيان لغة واصطلاحاً
٢٦	المطلب الثاني: معاني النسيان في القرآن الكريم
٢٦	المطلب الثالث: علاقة الإنسان بالنسيان
٢٧	المطلب الرابع: الفرق بين الغفلة والنسيان
٢٨	المطلب الخامس: الغفلة والنسيان والسهو وعلاقتها بالقلب

٣٠	المبحث الثاني: حكم النسيان وعاقبته ونفيه عن ذات الله تعالى
٣٠	المطلب الأول: نفي النسيان عن ذات الله تعالى
٣٢	المطلب الثاني: حكم النسيان ونهي الله تعالى عنه
٣٦	المطلب الثالث: عاقبة النسيان
٣٨	المبحث الثالث: أسباب النسيان في القرآن الكريم
٣٨	المطلب الأول: الشيطان
٤٠	المطلب الثاني: الكفر والنفاق
٤١	المطلب الثالث: الظلم
٤٢	المطلب الرابع: الفسوق والفساد والعصيان
٤٢	المطلب الخامس: الغرور بالحياة الدنيا
٤٣	المطلب السادس: الضلال
٤٦	المبحث الرابع: آثار النسيان في القرآن الكريم
٤٦	المطلب الأول: ما يترتب على نسيان الله تعالى ونسيان ذكره
٤٩	المطلب الثاني: آثار النسيان من خلال قصص الأنبياء
٤٩	أولاً: آثار النسيان من خلال قصة آدم عليه السلام مع إبليس
٥٠	ثانياً: آثار النسيان من خلال قصة يوسف عليه السلام
٥١	ثالثاً: آثار النسيان من خلال قصة موسى مع فتاه والرجل الصالح
١٠٢-١٥٣	الفصل الثالث أسباب الغفلة وخطرها وآثارها ومظاهرها في حياتنا المعاصرة
٥٥	المبحث الأول: أسباب الغفلة
٥٦	المطلب الأول: أسباب فطرية لا علاقة للإنسان بها
٥٧	المطلب الثاني: أسباب مكتسبة تؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة
٥٧	المسألة الأولى: الكفر وعدم الإيمان بالله
٥٨	المسألة الثانية: الاستكبار
٦١	المسألة الثالثة: الرياء
٦٤	المطلب الثالث: ضلال السعي في الحياة الدنيا
٦٤	المسألة الأولى: الظلم
٦٥	المسألة الثانية: الجهل
٦٧	المسألة الثالثة: اتباع الهوى واللهو والتفريط

٦٩	المسألة الرابعة: إثثار الحياة الدنيا
٧٣	المطلب الرابع: خلل في الطاعة والاتباع
٧٤	المسألة الأولى: عدم طاعة الله وعبادته
٧٤	المسألة الثانية: اتباع الشيطان وحزبه
٧٧	المسألة الثالثة: الغفلة عن مكر الله
٧٨	المسألة الرابعة: صحبة الغافلين جلساء السوء
٨٠	المسألة الخامسة: النفس الأمانة بالسوء
٨٢	المسألة السادسة: اتباع المعاصي
٨٥	المبحث الثاني: خطر الغفلة
٨٥	المطلب الأول: تحذير الله عز وجل الشديد للغافلين
٨٦	المطلب الثاني: خطر الغفلة في الحياة الدنيا
٩١	المطلب الثالث: خطر الغفلة في الآخرة
٩٥	المبحث الثالث: آثار الغفلة ومظاهرها في حياتنا المعاصرة
٩٥	المطلب الأول: آثار الغفلة
٩٥	المسألة الأولى: التكذيب بآيات الله
٩٦	المسألة الثانية: الطبع على القلوب والأسماع والأبصار
٩٧	المسألة الثالثة: عدم إدراك الأدلة والبراهين والاعتاظ بها
٩٧	المسألة الرابعة: الإعراض عن ذكر الله
٩٨	المسألة الخامسة: الضلال
٩٩	المطلب الثاني: مظاهر الغفلة في حياتنا المعاصرة
٩٩	المسألة الأولى: الغفلة عن أشرار الساعة
١٠٠	المسألة الثانية: الغفلة عن المهمات والأولويات
١٠٠	المسألة الثالثة: الغفلة عن الدار الآخرة والاستعداد لها
١٠٠	المسألة الرابعة: الاستخفاف بأوامر الله ورسوله
١٠١	المسألة الخامسة: الانشغال بالألعاب والرياضات
١٠٢	المسألة السادسة: التقليد الأعمى للكفار
١٠٣-١٥٤	الفصل الرابع سبل الوقاية من الغفلة وطرق علاجها
١٠٥	المبحث الأول: سبل الوقاية من الغفلة

١٠٥	المطلب الأول: تحقيق الإيمان
١٠٧	المسألة الأولى: الإيمان بالله وآياته ورسوله
١١١	المسألة الثانية: إخلاص النية لله
١١٢	المسألة الثالثة: دوام الاستقامة
١١٤	المسألة الرابعة: القيام بالأعمال الصالحة
١١٥	المطلب الثاني: اجتناب المنهيات
١١٥	المسألة الأولى: اجتناب الشرك بالله
١١٧	المسألة الثانية: اجتناب الفساد
١١٨	المسألة الثالثة: اجتناب الظلم
١٢٠	المطلب الثالث: الالتزام بالمأمورات
١٢٠	المسألة الأولى: طاعة الله ورسوله
١٢١	المسألة الثانية: الصبر
١٢٣	المسألة الثالثة: التقوى
١٢٤	المسألة الرابعة: التوبة
١٢٥	المسألة الخامسة: الذكر
١٢٧	المسألة السادسة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٢٩	المبحث الثاني: علاج الغفلة
١٣٠	المطلب الأول: علاج الغفلة في القرآن الكريم
١٣٠	المسألة الأولى: ما ورد في القرآن الكريم من علاج الغفلة
١٣٦	المسألة الثانية: عبادات تساهم في علاج الغفلة
١٤٤	المطلب الثاني: التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه
١٤٤	المسألة الأولى: التحذير من الشيطان وسبل الوقاية منه
١٤٨	المسألة الثانية: وسائل محاربة الشيطان
١٥١	المطلب الثالث: خطوات لتأديب النفس وإصلاحها
١٥١	المسألة الأولى: التوبة
١٥١	المسألة الثانية: المراقبة
١٥٢	المسألة الثالثة: المحاسبة

١٥٣	المسألة الرابعة: المجاهدة
١٥٨	الفهارس
١٥٩	أولاً: فهرس الآيات القرآنية
١٧٥	ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية
١٨٠	ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
١٨١	رابعاً: فهرس المصادر والمراجع
١٩٢	خامساً: فهرس الموضوعات
١٩٧	ملخص الرسالة باللغة العربية
١٩٨	ملخص الرسالة باللغة الانجليزية

الغفلة في ضوء القرآن الكريم

(دراسة موضوعية)

إن الغفلة من أخطر ما يواجهه الإنسان في الدنيا والآخرة، ويكون ذلك بسبب ضلال سعيه، في الحياة الدنيا، أو بسبب كفره وجحوده، أو بسبب خلل في الطاعة والاتباع.

ومن رحمة الله بعباده، أن حذرهم من الغفلة، وبين لهم سبل الوقاية منها، وطرق علاجها، بما يحقق الفلاح والفوز، سواء كان ذلك من خلال الإيمان بالله عز وجل، أو من خلال الأعمال الصالحة، أو من خلال ترك المنهيات، كاجتناب الشرك، الفساد، الظلم، الرياء، أو من خلال المأمورات من طاعة الله ورسوله، وصبر ومصابرة، وتقوى الله والتوبة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد حققت الدراسة أهم النتائج المرجوة، والأهداف المقصودة، حيث ظهر من خلال الدراسة أسباب الغفلة المتعددة، كما ذكرها لنا القرآن الكريم، وتبين أن الغفلة من أخطر ما يهدد حياة الإنسان في عاجل أمره وأجله.

وتبين من خلال الدراسة أن تحقيق الإيمان، والقيام بالأعمال الصالحة، واجتناب المنهيات مع التزام المأمورات، هي أهم وأبرز سبل الوقاية من الغفلة، كما تبين من خلال الدراسة كيفية علاج القرآن الكريم للغفلة.

وقد حققت هذه الدراسة تفسيرا موضوعيا لموضوع قرآني، عالج قضية واقعية، ومشكلة حياتية، فكتاب الله تعالى هو المخرج لنا من كل ما نجد ونعاني وهو سبيل النجاة من الغفلة في الدنيا والآخرة.

Incautiousness in the Light of Holy Qur'an

(Objective Study)

Incautiousness is one of the most serious matters that man faces in both his life and the hereafter. This might be due to straying from the right path, disbelief and apostasy or wrongness in his submissiveness and observance.

It is because of the mercifulness of Allah, He warns his mankind of incautiousness, shows the best ways to avoid it and to treat it in a way that guarantees success. This can be achieved through believing in Allah and good deeds, through the avoidance of forbidden matters such as polytheism, corruption, injustice, hypocrisy or through obeying Allah by adhering to His orders and the orders of Prophet Muhammad Peace Be Upon Him, patience, fear of Allah, repentance and promotion of virtue and prevention of vice.

The study has achieved the most important wished for results. The reasons of multi incautiousness have been highlighted through the study as mentioned in the Holy Qur'an. It was revealed that incautiousness is one of the most serious matters threatening mankind in this life and in the hereafter.

Through the study, it was revealed that achieving true belief, doing good deeds and avoiding vice are the best ways to deal with incautiousness. The study also highlighted how Holy Qur'an treats incautiousness.

The study has an objective explanation for a Qur'anic subject that deals with realistic matter. Holy Qur'an is the resource to which we should resort whenever we suffer or face a problem. It is the salvation of incautiousness in life and the hereafter.